

# إحياء علوم الدين

## للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي  
وفلسفته في الإحياء  
بعض

الدكتور بدوي طهانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي القسري

*From the Library of  
Muhammad T. Hozien*

الجزء الثالث

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع للهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، المطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى في تدبير مملكته عن المشاور والوازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وسائر العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستمداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكأله وغفره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استمداده معرفة بقلبه لا بمجرد من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العاتب وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يغيب وبشي إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن يغمه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقبله بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم اللائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبراعيه ويرصد لما يلوح من خزائن المكوث عليه وفيه فهو بمن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - لمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طرق السالكين . وإذ فرغنا

( كتاب شرح عجائب القلب )

[ الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية ]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبدلية أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مقدارا يعلم أنه

يقيمه ويقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يسقها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القديس

قال أنا عن ابن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجرى على القلب من الصفات للهلكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل الهلكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكمل عن دركه أكثر الأفهام .

( بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء )

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقول العلماء من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشترائها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بضرنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل اللودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبشر ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو الخاطب والمعايب والعائب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تعجرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الأغراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق الاستمعة بالألة بالآلة أو تعلق المتمكن بالممكن وشرح ذلك مما تنوّه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بمعلوم السكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلهام العلوم المعاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصود أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقةها في ذاتها وعلم المعاملة يقتصر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتصر إلى ذكر حقيقةها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا يمتد إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنفضته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين المعالجين لأقارب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . المعنى الثاني هو اللطيفة المعاملة المدركة من الإنسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح منفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا ينفسي بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو خذأرب ويكافئ عليها بأيا كلها

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أراحه الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني نجز أكثر المقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانيه ويتعلق بفرضاتيه مضاف : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »<sup>(١)</sup> . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزال بها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس الطمئة قال الله تعالى في مثلها - يأتينا النفس الطمئة ارجى إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذا لم يتم سكوتها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أوامرأة العزيز - وما أرى نفسي إلا النفس لأماراة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأماراة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لعمان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، وللتعلق بفرضاتنا من جهلتها معنيين : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعنى المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل »<sup>(٢)</sup> فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطأ معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلوم فهذه أربعة معاني يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بحملتها تتوارد عليها المعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه عليها ومملكتها وأطرافها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالسكينة فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجابة  
لأمة والمساكين وأخبرنا  
أبو زرعة إجازة عن  
ابن خلف إجازة عن  
الحسين قال أنا أحمد بن  
علي المقرئ قال أنا محمد  
ابن المنهال قال حدثني  
أبي عن محمد بن جابر  
الجاني عن سليمان بن  
عمرو بن شعيب عن  
أبيه عن جده قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن من  
رأس التواضع أن تبدأ  
بإسلام على من تقبى  
وترد على من سلم  
عليك . وأن ترضى  
بالدور من المجلس وأن  
لا تحب الدعة والتزكية  
والبر » وورد أيضاً عنه  
عليه السلام « طوبى  
لمن تواضع من غير

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه  
محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال  
له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .



والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أي عرش الله ذكره فان ذلك محال بل أراد به أنه مملوكته  
والجبري الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم  
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرضا فلنجاوزه .

### ( بيان جنود القلب )

قال الله تعالى - وما أعلم جنود ربك إلا هو - فحسبنا الله في القلوب والأرواح وغيرها من الموالم جنود مجتدة  
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي ينطق بفرضا  
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم  
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر  
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد  
خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالافتتاح اختفت وإذا أمر  
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء  
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون  
له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم  
السلام عالم بطاعتها وامثالها والأجناف تطيع القلب في الافتتاح والانطباع على سبيل التسخير ولا خبر  
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والراد  
لسفرو الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع النازل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال  
الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب  
التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه  
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى فالدنيا  
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن  
يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعمد البدن وحفظه وإنما  
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك  
فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق  
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلق الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع  
الهساكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع الهساكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد  
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها  
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإنما فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو  
إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه  
الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا نحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في  
كتاب السكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى  
جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالارادة  
والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبنوثة  
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للآشياء كالحواس وهي  
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبنوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك  
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم والحم والنسج

منقصة وذلك في نفسه  
من غير ممكنة - مثل  
الجند عن التواضع  
فقال خضع الجناح  
ولين الجانب . ومثل  
الفضيل عن التواضع  
فقال تخضع للحق  
وتقاد له وتقبله ممن  
قاله وتسمع منه . وقال  
أيضا من رأى لنفسه  
قيمة فليس له في  
التواضع نصيب وقال  
وهب من ماله مكتوب  
في كتب الله إني  
أخرجت الله من  
صلب آدم فلم أجد قلبا  
أعد تواضعا إلى من  
قلب موسى عليه  
السلام فلذلك اصطفت  
وكلمته ، وقيل من  
عرف كوامن نفسه  
لم يطمع في العلو

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظين ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحدس المشترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخييل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخييل لكان الدماغ مخلوعا كما غلوا اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والقحول من العلماء ولنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة بقرب ذلك من أفهامهم .

( بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة )

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اتيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستصيان عليه استعصاء بنى ونمرد حتى يملكاه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة للذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن ملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصانع والعملة والقوة العقلية الممكرة له كالمشير الناصح والوزير المعقل والشهوة له كالعبد السوء يوجب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح ويحت نصحه الشر الجائل والم القاتل وديده وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الهو معرض عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وماسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب والموانئ بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بدمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتببيع مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم - وقال تعالى حواتج هواه فثله كمثل السكاب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيجن نهي النفس عن الهوى

والعزف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو خضص من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا ينكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العبد التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سخي . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد مثل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسأني كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . المثال الثاني : اعلم أن البدن كالدبنة والعقل أعنى للدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بكنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيتة والنفس الأماراة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتفر وتسه كقيم فيه مرابط فإن هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد الله إذا قاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم الله فاستقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم استقم منك (١) كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) المثال الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فلي كان الفارس حاذقا وفرسه مبروضا وكلبه مؤدبا مطعنا كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جوحا والكلب عقورا فللفرسه ينبت تحتة منقادا ولاكلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خلق بأن يعطى فضلا عن أن يتال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه .

### ( بيان خاصة قلب الانسان )

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينا فتعلم عداوته بقلبيها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وزاد المحسوسات ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم السكينة الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعت من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تماطى أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والعاقل يحمد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة يفك عنها سائر الحيوان بل يفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانهما موجودا في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

من بيتك فلا تلق  
أحدا إلا رأيته خيرا  
منك ورأيت شيخنا  
ضياء الدين أبا النجيب  
وحسنت مقامه في  
سفره إلى الشام وقد  
بث بعض أبناء الدنيا  
له طعاما على رهوس  
الأسارى من الأفرنج  
وم في قيودهم فلا  
مدت السفره والأسارى  
يقتظرون الأوانى حتى  
تفرغ قال للخادم  
أحضر الأسارى حتى  
يقعدوا على السفرة مع  
الفقراء فجاء بهم  
وأقدمهم على السفرة  
صفا واحدا وقام الشيخ  
من سجادته ومشى  
إليهم وقعد بينهم  
كالواحد منهم فأكل  
واكلوا وظهر لنا على  
وجهه ما نازل باطنه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعالم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت تمكنة قرية الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالتخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرة للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة للعلوم وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والكشفة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لانهائية لها وأقصى الرتبة التي التي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالذنب كما أنا تؤمن بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المحيز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسبك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للتمرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تفرحوا بها » (١) والتمرض لها بتطهير القلب وتزكيتة من الحبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق الذمومة كما سيأتى بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا » (٢) وبقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا » (٣) كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تختجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والنعم علوا كبيرا ولكن حجب حبث وكدورة وغفل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٤) ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه والاسلاخ من التكبر عليهم بإيمانه وعلوه وعمله . أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في الإنسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إباء . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقاء الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار  
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته  
التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويغتنص عنه بخاصية السكر والفر  
وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصة فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار  
وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصة من  
صفات الملائكة القربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من  
حيث يشغى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته  
فكائنات صورة للنقوشة على الحائط وإعسا خاصيته معرفة حقائق الأشياء فان استعمل جميع أعضائه وقواه  
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة لحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى  
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا  
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى  
حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرهاً كخنزير وإما ضريباً ككلب أو سنوراً وحقوقدا  
كجمل أو متكبراً كذئب أو ذا روغان كعقاب أو يجمع ذلك كله كشیطان مرید وما من عضو من  
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي  
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وحلته  
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه  
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعلى المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجرى  
القوة الخيالية المودنة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بریده إذ تجتمع أخبار الحسوسات عنده ويجرى  
القوة الحافظة التي مكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء  
المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار متفرقة من  
الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر أعضائها  
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد  
واسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها  
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع  
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجلبة  
أو استعملها لسكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه  
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولاً شقيماً كافراً بنعمة  
الله تعالى مضيقاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق الموت والابعاد في القلب  
والنعاد نموذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة  
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه برید  
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي  
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولاحمد من حديث  
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

والنسم على فصله  
والحياء من ربه وقال  
يعني بن معاذ التواضع  
في الخلق حسن ولكن  
في الأغنياء أحسن  
والتكبر مع في الخلق  
ولكن في الفقراء  
أجمع . وقال ذو النون  
ثلاثة من علامات  
التواضع تصغير النفس  
معرفة بالعب و تعظيم  
الناس حرمة للتوحيد  
وقبول الحق والصيحة  
من كل واحد . وقيل  
لأن يزيدي متى يكون  
الرجل متواضعا قال إذا  
لم يرى لنفسه حقما ولا  
حالا من علمه بشرها  
وازدراؤها ولا يرى أن  
في الخلق شرا منه .  
قال بعض الحكماء  
وجدنا التواضع مع  
الجهل والبخل أحمد

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسر فقل أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه مناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

( بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته )

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبية والبهيمية والشيطنية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أهوال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والنم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أهوال البهائم من الشره والحرم والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى لنفسه الربوية ويحب الاستسلام والاستلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربة المبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية ضار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخذاع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطنية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير منموما لونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب المقور ليس كلياً وسبما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السمية الضراوة والعدوان والعقرو في باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والنكرو والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشييطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيط السبع ويضري أحدهما بالآخر ويعسن لها ماها محبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسلط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسلط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهوراً تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدق في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهره واستخدمه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون داعماً في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والمجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه ترك كشف بحقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة وراءها أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره فلهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبهت على القور في خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه مائلاً بين يدي كلب مقور عابداً له مطيعاً مائلاً بما يقتضيه ويتسممه مدقاً

من الكبير مع الأدب  
والسخاء وقيل لبعض  
الحكماء هل تعرف  
نعمة لا يحسد عليها  
وبلاء لا يرسم صاحبه  
عليه قال نعم أما النعمة  
فالتواضع وأما البلاء  
فالكبر . والكشف  
عن حقيقة التواضع  
أن التواضع رغبة  
الاعتدال بين الكبير  
والضعة ذالكبر رفع  
الانسان نفسه فوق  
قدره والضعة وضع  
الانسان نفسه مكاناً  
يزرى به ويغضى إلى  
تضييع حقه وقد اتهم  
من كثير من إشارات  
الشيخ في شرح التواضع  
أشياء إلى حد أقاموا  
التواضع فيه مقام  
الضعة ويلوح فيه  
المسوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويصيحها على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقوده ولينظر بين البصرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول التهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل السالك مملوكا والرب مريوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذا العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ويمتاله أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحجث والتبذير والتفتير والرياء والهنكة والمجانة والبعث والحرص والجشع واللقا والحمد والحمد والشهانة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاطاة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتعقير الخاق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة الكبر والخذاع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبس والتضريب والفتش والحب والحنا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بمقتضى الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانسياط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتياط والعفو والثبات والنبيل والشهامة والوفا وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتتفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصله إلى القلب أما الآثار الحمودة التي ذكرناها فانها تزيد امرأة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى تتألف فيه جليلة الحق وبشكل فيه حقيقة الأمر للطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وأعظام من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الله كقول الله تعالى - ألبذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار اللذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى امرأة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يودّ ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كإربط السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله وعلّمكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصالح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهمّ عليها فاذا قرع صمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخارج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين - يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وأعظام من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض  
التفريط ويوم  
أعراقا عن حد  
الاعتدال ويكون  
تصدم في ذلك البالغة  
في قمع نفوس المرئيين  
خوفا عليهم من العجب  
والكبر فقل أن  
يفتك مريد في مبادئ  
ظهور سلطان الحال  
من العجب حتى لقد  
نقل عن جمع من  
الكبار كلمات مؤذنة  
بالعجاب وكل ما نقل  
من ذلك القليل من  
الشايع لبقايا السكر  
عندهم وانحصارهم في  
مضيق سكر الحال  
وعدم الخروج إلى  
فضاء الصحو في ابتداء  
أمرهم وذلك إذا حقق  
صاحب البصرة نظره  
يعلم أنه من استراق

فاذا هو نزاع وتاب عقل وإن عاد زيد فيها حتى يملؤ قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود من كوس» (١) «فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفحة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أتبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تفسح ويتنفس ثم تفسح فانها لا تغلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود من كوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النافق وقلب مصفح فيه إيمان وثقاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كشل البقلة يدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كشل القرحة يدها القبيح والصديد فأى اللادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب القور الأكبر وهو القور بقاء الله تعالى .

( بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة )

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتنضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هي ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والمعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك حصول مثال العلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتتمثله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لحضة أمور : أحدها نقصان صورتها كجواهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل : والثاني لحبته وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لجنبها مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتعذر بسببه أن يحدى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا يتجلى له المعلومات لقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استقرت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يحفو على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالهجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدى على رقة جميع الأولياء وكقول بعضهم أصرجت وألحت وطففت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى تفرد في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدري وقد تقدم .



لكدورة للعاصي والحث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنباً فارق عقله لا يعود إليه أبداً» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذ غابته أن يتبعه بحسنة يحويه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لامحالة إسراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين وتقصان لاحتية له فليست للراءة التي تزدنس ثم تفسح بالمصقلة كالتي تفسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالأقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب وصفه وقدك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمعلم ورثته الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمراً تمسطر المطلوب بل ربما يكون مستوجب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو تهئية أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فباطنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذا تأمل وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتعصين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في قلوبهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها النور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثها في نفسه ترتباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فمضد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بالتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفعل والأثر ثم كما أن من أراد أن يستخرج مركباً لم يمكنه ذلك من حمار وبعر وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الدكر والأشئ وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو السانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلاً بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة أزاها وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رصها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى للمرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبق صورة القفا في المرآة الهادية للقفا ثم تنطبق صورة

(١) حديث من قارف ذنباً فارق عقله لا يعود إليه أبداً لم أره أصلاً (٢) حديث من عمل بمعلم ورثته الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

استراق النفس السمع  
فليرن ذلك بيزان  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وتواضعهم  
واجتابهم أمثال هذه  
الكلمات واستبهم آدم  
أن يجوز لعبد التظاهر  
بشيء من ذلك ولكن  
يجعل الكلام الصادق  
وجه في الصحة ويقال  
إن ذلك طمع عليهم  
في سكر الحال وكلام  
السكراني يحمل فالمشايخ  
أرباب التمكن لما علوا  
في النفوس هذا الداء  
الدفين بالقوا في شرح  
التواضع إلى حد الحقوه  
بالضمة تدا وبالعمردين  
والاعتدال في التواضع  
أن يرضى الإنسان  
بعزلة دوين ما يستحقه  
ولو أمن الشخص  
جموح النفس لأوقتها

هذه المرأة في المرأة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازورارات وتعريفات أعجب عما ذكرناه في المرأة يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحياة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب السابعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافتك قلب فهو القطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارقي سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار تطبيقاً لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يثبطه عن التهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه <sup>(١)</sup> » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء <sup>(٢)</sup> » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفى السماء ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين <sup>(٣)</sup> » وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسهني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الواعد <sup>(٤)</sup> » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب قليل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد <sup>(٥)</sup> » ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكثاف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالك البصائر فلأنها إلهة نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية عظمة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتركيبه وجلالؤه قد أفلح من زكاهها ومراد تركيبه حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله - أفمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحود في جيلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالصخر فيها نسبة النارية وطلب الاستملاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدأوى بالتواضع وإيقافها ودين ماتستحقه لئلا ينطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخلوقين يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر ابن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الواعد لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التعلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . المرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التكميلين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين ذلك هذه لل مراتب مثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن تخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وأسأصفاته وبشارة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه فلم يحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيسمع من الأحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فتلويب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسلمون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيجزم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يتسبب الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المهاكة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمهاكة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القريين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكميلين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف ، أماد درجات العلوم فمثلا أن يصير زيد في الدار عن قرب وفي محض الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت عتية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوتات للشاهدة للأشياء الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لعمالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

( بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخوية )

اعلم أن القلب بغير رتبه مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تجل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فنحنها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والجماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يحد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - بياقريا وإلا فليس يخفى عليه أن الله هو الذي خلقه وهذه إلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلا قال على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن  
الكبر بقوله تعالى - إنه  
لا يحب للتكبرين -  
وقال تعالى - أليس في  
جهنم مثوى للتكبرين -  
وقد ورد « يقول الله  
تعالى : الكبرياء ردائي  
والعظمة إزارى فمن  
نازعى واحدا منهما  
قصمته » وفي رواية فذنبه  
في نار جهنم . وقال عز  
وجل ردا للإنسان في  
طغيانه إلى حده :  
- ولا تعش في الأرض  
مرحا إنك لن تحرق  
الأرض ولن تبلغ  
الجبال طولا - وقال  
تعالى - فلينظر الإنسان  
مَ خلق خلق من ماء  
دافق - وأبلغ من هذا  
قوله تعالى - قتل الإنسان  
ما أكفره من أي شيء  
خلقه من نطفة خلقه

وأيت العقل عقليين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع  
إذا لم يك مطبوع كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم ي «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» (١) والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم ي «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك» (٢) إذ لا يمكن التقرب بالقرينة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن على الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشتراق الشمس وفيضان نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب النسي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبرأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى أيس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالقارس والبدن كالفرس وعمى القارس أضرب على القارس من عمى الفرس بل لانسبة لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سمى الله تعالى باسمه فقال - ما كذب القواد مارأى - سمى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسمع عن العقل فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مفرور فواك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالغذية والطب الشرعية كالأدوية والشخص الرريض يستغنى بالنعاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفاد من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

قد مرسوق قد قال بعضهم  
لبعض المتكبرين أولئك  
نطفة مذرة وآخرك  
جيفة قدرة وأنت فى  
بين ذلك حامل المذرة  
وقد نظم الشاعر هذا  
اللقى :

كيف يزهو من رجيته  
أبد الدهر ضجيجه  
وإذا ارتحل التواضع  
من القلب وسكن  
الكبر اقتصر أثره فى  
بعض الجوارح وترشح  
الاناء بما فيه فتارة  
يظهر أثره فى العنق  
بالحمائل وتارة فى الحد  
بالصغير قال الله تعالى  
- ولا تصغر خدك  
للناس - وتارة يظهر  
فى الرأس عند استمضاء  
النفس قال الله تعالى  
- لوآوا رءوسهم  
ورأيهم يصدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل الحكيم فى نوادر الأصول باسناد ضعيف  
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من  
حديث على باسناد ضعيف .

لرئيس بمعالجات السادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرضيع بالعداء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عي في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتجرب به فيفسد من الدين انسالال الشعرة من العجين وإنما ذلك لأن هجزة في نفسه خيل إليه نقضا في الدين وهيات وإتساع مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالمعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرية فالدينية كعلم الطب والحساب والهندسة والجور وسائر الحرف والصناعات والأخرية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفة في الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضربتين إذا أرضيت إحداها أضلخت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله (١) » أي البله في أمور الدنيا. وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتهم لقاتم مجانين ولو أدركوكم لقاتوا غياطين فلهما صمت أمرا غريبا من أمور الدين جحد أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك جحودهم عن قبوله إذ من الحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الدين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - الآية وقال تعالى - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للتوידون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار) اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للخلق في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الزرع. والثاني يسمى حيا وتخص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله للكتسب وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله، البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر.

مستكبرون - وكأن  
الكبر له انقسام على  
الجوارح والأعضاء  
تنشعب منه شعب  
فكذلك بعضها كشف  
من البعض كالتيه  
والزهو والعزة وغير  
ذلك إلا أن العزة تشبه  
بالكبر من حيث  
الصورة وتختلف من  
حيث الحقيقة كاشتباه  
التواضع بالضعفة  
والتواضع بمحمود والضعفة  
مذمومة والكبر  
مذموم والعزة محمود  
قال الله تعالى - وقه  
العزة ولرسوله  
والمؤمنين - والعزة  
غير الكبر ولا يهل  
لؤمن أن يذل نفسه  
فالعزة معرفة الإنسان  
بحقيقة نفسه وإكرامها  
أن لا يضمها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنا نحيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب السدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف النظار وينكشف أيضا في اللحظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر القلب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة تزوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللانكسور إليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء - فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرسوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنعه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة الذكورية بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات الذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولي لقلب عبده والتسكف له بتبويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر اللسكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلاأت فيه حقائق الآمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالانصياع المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانه طاع علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره براءة قرآن ولا بالتأمل في تدبر ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يعجز أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يعجز عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضر أفيانه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بموافقه صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتح على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأخر وإن عاد قد ثبت وقد يكون محططا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

حاجة دينية كما أن  
الكبر جهل الإنسان  
بنفسه وإنزالها فوق  
منزلتها . قال بعضهم  
الحسن ما أعظمك في  
نفسك قال لست بعظيم  
ولكني عزيز ولما  
كانت العزة غير  
مذمومة وفيها مشاكلة  
بالكبر قال الله تعالى  
- تستكبرون في  
الأرض بغير الحق -  
فيه إشارة خفية لإثبات  
العزة بالحق فالوقوف  
على حد التواضع من  
غير انحراف إلى الضعة  
وقوف على صراط العزة  
للتصوب على متن نار  
الكبر ولا يؤيد في  
ذلك ولا يثبت عليه  
إلا أقدام العلماء  
الراسخين والسادة  
للقرين ورؤساء  
الابدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار فقط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإنضائه إلى هذا المقصد على الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطوا ثمرته واستمدوا اجتماع شروطه وزعموا أن نحو الملائق إلى ذلك الحد كالمتمذر وإن حصل في حال قيامه أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي ذلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا تشتتال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قهيبًا بالوحي والالهام من غير تكرير وتلقين وأنا أيضًا ربما انتهت في الرياضة والواجبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكدور فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولًا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

( بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس )

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمرائه ونبيه فإن النفس لطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نبيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن انتهت نفسه شيئًا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجهلة ذلك أن يترك مشيئة لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور للشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب

اعلم أن محجبات ألقاب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضًا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نهرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثاليين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضًا محفورًا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يغمر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة آتار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلاوة والمزلة وغض البصر ويصعد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محجبات أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب اللائكة القربين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في ياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورة تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها ، أحمد و ك وصححه من حديث للقناد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الوجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الوجود موافق للنسخة الوجود في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسدي ويتبع وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويقتضيه وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فأنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يبين ذاتك فصبحتك من دهر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوبا كثر الخلق جاهلة بأنفسها وبمعجائنها . ولترجع إلى الغرض المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللائكة وباب مفتوح إلى الحواس المحسوسة المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا ينبغي عليك وأما افتتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فعمله علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق الفردون قيل ومن هم الفردون يا رسول الله ؟ قال المتزهدون بذكر الله تعالى وضع الله لهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم<sup>(١)</sup>» ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب التفتيح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالم الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العاملة فهذا مثال بملك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاءها من غش الكبر والعجب فتلين وتطبع للحق والخلق لها آثاره وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبيتنا عليه السلام في أوطن القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت «وقدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا مني أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد صاجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك

(١) حديث سبق الفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قال الله كرون الله كثيرا والله أكرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم اتقاهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف .



المثال ٢١ : يفرق الفرق بين العاملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصقلها فقط ، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والنصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا يتحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فحجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ قبل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم بتلاً أنه من هجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بعز يد التصقيل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتركته وصفائه حتى يتلاً أنه جليلة الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحي وصفائه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكُل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى إلا بالمسال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسمى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم - وقد روى في الخبر « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام قدميه فيضء مرة ويظن أنه أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا أطفئ قام ومرورهم على السراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاتقاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إبهام قدميه يحب حبا على وجهه وبديه ورجليه يمر بدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب البارئين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة (٢) » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدميه الحديث الطبراني و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

نوراً على إبهام قدميه  
وها أنا ذا بين يديك  
يا عظيم يا غافر يا غائب  
العظيم « وقوله عليه  
السلام » سجد لك  
سواي وخيالي »  
استقصاء في التواضع  
بحجج آثار الوجود حيث  
لم تتخلف ذرة منه عن  
السجود ظاهر أو باطن  
ومنى لم يكن للصوفي  
حظ من التواضع  
الخاص على بساط  
القرب لا يتوفر حظه في  
التواضع للخلق وهذه  
سعادات إن أقبلت  
جاءت بكليتها والتواضع  
من أشرف أخلاق  
الصوفية . ومن أخلاق  
الصوفية : للدائرة  
واحتمال الأذى من  
الخلق وبلغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه وألا وأن من قلبه مثقل ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوثن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأنتم الأعلى إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على السليين وللرأد به للمؤمن العارف دون القلند . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم وبذلك على أن اسم للمؤمن يقع على القلند وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - وقاله يرفع الله العالم فوق المؤمنين بسبعائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال عليه السلام «أكثر أهل الجنة قلبه وعليون لدوى الأبواب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم التبع والحسرة والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كمنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى الغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التبع على من يخسر حظه من ذلك - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

( بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب

المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق العتاد )

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عز وجل ، وشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويغفنه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تتموا الله يجعل لكم فرقا - قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان عليه السلام يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي» (٥) و«مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على صراخ الحق بل وذاه جماعة بأقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصر واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس الجبوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلفظ الإنسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة قلبه وعليون لدوى الأبواب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم يجعل له مخرجا من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٥) حديث اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي (٥) و«مثل متفق عليه من حديث ابن عباس :

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل» (٢) وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من ربه - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - ففهمناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو البرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويهرجه على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فريسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى» (٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للنوسعين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان فلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع» (٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وقد قال عليه السلام «إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» (٦) وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدثين هو اللهم واللهم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يوقنون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما نشأ رضى الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضى الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فخره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شزرا وتاملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين

(١) حديث سئل عن قوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي الاستدراك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب و ك ومحمده وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا فريسة المؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأم محدثون فإن بك في أمي أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال شيء صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أولاً عزرتك فقلت أوحى بدائي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وقراسة صادقة . وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت للمسجد الحرام فראيت قبراً عليه خرفتان فقلت في نفسي هذا وأشابه كل على الناس فناداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فناداني وقال - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو غليل وكان ذاعبال ولم يعرف له سبب يميش به قال فلما قلت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه المهمة الدينية فإن لله تعالى أطافاً خفية . وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتوناً يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جفري غاطري أنك غيل قلت ما أنا غيل فناد من خاطري وقال بل أنت غيل قلت فانتفع اليوم على بشي\* إلا دضنة إلى أول قدير يلتقي قال لما استتم الحاطر حتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً فقال اجلس في مصالحك قال وقلت فأخذتها وخرجت وإذا بفقيه مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الله ناير فقال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك إنك غيل قال فناولتها للزبن فقال للزبن قد عقدنا لما جلس هذا القدير بين أيدينا أن لا تأخذ عليه أجراً قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذهله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده مسلماً عليه فحضرت صلاة للغريب فلم يكده يقرأ القاعة مستوباً فقلت في نفسي ضاعت سفرني فلما سلم خرجت إلى الطيارة فقصدي سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت قصدي سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تترض لضيفان فنحن الأسد فقطرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر غفتم الأسد واشغلنا بتقويم البواطن غافنا الأسد . وما حكى من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الحضرة عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فزون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القريب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكهم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لا يشغل باله نفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القريب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بمقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة ثم لم لا محالة أن يقرباً القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكوت عن داخله القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروح والوحي فإذا أقربهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما ينبغي على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المخرج إلى التعبير وكذلك مثل اللامكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضاً من أسرار هجاب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم الكاشفة فليقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكرى الحقي عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر  
وجوهر الإنسان الغفل  
وجوهر الغفل الصبر .  
أخبرنا أبو زرعة  
طاهر عن أبيه الحافظ  
للقدس قال أنا أبو محمد  
الصريغني قال أنا  
أبو القاسم عبيد الله  
ابن حباب قال أنا  
أبو القاسم عبد الله بن  
محمد بن عبد العزيز قال  
حدثنا علي بن أحمد قال  
أنا شعبة عن الأعمش  
عن يحيى بن وثاب  
عن شيخ من أصحاب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال من  
هو قال ابن عمر عن  
النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال هو المؤمن  
الذي يباشر الناس  
ويصبر على أذى خير  
من الذي لا يباشرهم

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعدك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قبلت السجدة  
تسكين القرائن قالاً بل قلت فيكفيك ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار  
القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من  
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهابه فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى بينه فقال ما تقول رحمك الله ثم  
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعت فسأله عن التفاهة فقال لم يكن  
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الثمال فقال لا أدري فسألت صاحب العيين وهو أعلم منه  
فقال لا أدري فظننت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبته فاذهاو أعلم منها وكان هذا هو معنى قوله عليه  
السلام « إن في أمي حديثين وإن عمر منهن » وفي الأثر : إن الله تعالى يقول أيعا بعد اطلعت على قلبه فرايت  
القالب عليه التمسك بكري تولى سياسة وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني  
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر  
اختراع باب من أبواب القلب إلى جهة للكوكب وللألمى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع  
والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون  
من اللطيفين فاتهم ينجل لهم أمور صادقة . وقاله بعض العلماء يد الله على أغواء الحكماء لا ينطقون إلا  
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الحاشعين على بعض سره .  
( بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها )

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً  
مثال هدف تصب إليه سهام من الخواب أو هو مثال امرأة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة  
فتراى فيها صورة بعد صورة ولا تغلو عنها أو مثال حوض تصب فيه مياه مختلفة فمن أنها مفتوحة  
إليه وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالخواس الخس وأمان  
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالخواس شيئاً  
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة المزاج  
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال  
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والقصود أن القلب  
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر وأعني بالخواطر  
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكاته علومها إما على سبيل التجدد وإما على  
سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي المحركات  
للارادات فان النية والعزم والرغبة إنما تكون بعد خطور النوى بالبال لاجتماع لمبدأ الأفعال  
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء  
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى  
الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود  
يسمى إلهاً والخواطر المنموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة  
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا  
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار  
وأظلم سقفه وأسود بالهـ خان علت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته  
سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا

ولا يصبر على أفامه  
وفي الخبر : أيسر أحدكم  
أن يكون كعابي  
ضمضم قيل ماذا كان  
يصنع أبو ضمضم قال  
كان إذا أصبح قال  
اللهم إني تصدقت  
اليوم برضى على من  
ظلمني فمن ضربني  
لا أضربه ومن شتمني  
لا أشتمه ومن ظلمني  
لا أظلمه . وأخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
قال أنا أبو الفتح  
المروى قال حدثنا  
الرياضى قال أنا الجراحى  
قال أنا المحببى قاله  
أنا أبو عيسى الترمذى  
قال ثنا ابن أبى عمر  
قال ثنا سفيان عن  
محمد بن السكندر عن  
عروة عن عائشة  
رضى الله عنها قالت

واللطيف الذي يهبأ به القلب لقبول الإلهام الخير يسمى توفيقا والذي يهتري بقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان للعاني المختلفة فتتفر إلى أصامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند الهام الخير بالقفر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الاشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولة من العدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - (١) الآية وقال الحسن إنما هما يحولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاء وما كان من عدوه جاهد وتجادب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فانه تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لقعه في الثقبيل والترديد كما أنك تعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل مايفعل باستسغار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلا والقلب بأصله القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يرجح أحدها على الآخر وإنما يرجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدته لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعته وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر للملائكة ومهبطهم ولما كان لا يغلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشبهة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أو أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بفضليات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وحقاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلافا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالسوس الداعية إلى إثارة العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بشئ ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فلأن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو بدعه الناس انشاء لحبه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت واتبع السنة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فاشىء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن السدارة والنفس

(١) حديث في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير الحديث ت وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة . وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به القصوص فإن كان فيه شيء حالجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الحالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتمل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني <sup>(٢)</sup> » وفى الخبر « إن للوسوء شيطانا يقال له الوهمان فاستعينوا بالله منه <sup>(٣)</sup> » ولا يعجز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد جميع وسواس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الدين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطوميه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قابله <sup>(٤)</sup> » وقال ابن وضاح فى حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبى وجهه من لا يفلح <sup>(٥)</sup> وكما أن الشهوات تمزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يحجرى من ابن آدم يحجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع <sup>(٥)</sup> » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأفعلن لهم صراطك المستقيم

[١] حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بينى وبين صلاتى الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن للوسوء شيطانا يقال له الوهمان الحديث م ت من حديث أبى بن كعب وقال غريب وأبى إسناد بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا فى كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى اللوصلى وابن عدى فى الكامل وضعفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبى وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يحجرى من ابن آدم يحجرى الدم تقدم [١] قوله عمرو بن العاص كذا فى النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص ، وفى العراق ما يشير لذلك اهـ .

لازال تشتمر عن  
بكس مرادها  
وبستغرها الفيظ  
والغضب والمداواة قطع  
حمة النفس ورد طيشها  
وتغورها . وقد ورد  
« من كظم غيظا وهو  
يستطيع أن ينفذه  
دعاه الله يوم القيامة على  
رءوس الخلائق حتى  
يخيره فى أى الحول  
شاء » . وروى جابر  
رضى الله عنه عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « ألا أخبركم  
على من تحرم النار ؟ على  
كل هين لين سهل  
قريب » . وروى  
أبو مسعود الأنصارى  
رضى الله عنه قال أتى  
النبي عليه السلام رجل  
فكلمه فأرعد فقال  
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم  
« إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق. قعد له بطريق الإسلام فقال أنسلم وتترك دينك ودين آبائك  
فصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أنتدع أرضك وسماءك فصاه وهاجر ثم قعد له  
بطريق الجهاد فقال آجهاد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح نساؤك ويقسم مالك  
فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن  
يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر  
للمجاهد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا  
الوسواس معلوم بالشاهدة وكل خاطرفه سبب وغتفر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور  
أن يفك عنه آدمي وإنما يختلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله  
شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان  
والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن  
كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العاملة بل  
مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل  
بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فصادمة الخواطر الباعثة على الشر  
قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو  
قد عرف العدو لاهالة ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عدوته في مواضع كثيرة  
من كتابه ليؤمن به ويعتز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو  
حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان  
إنه لكم عدو مبين - فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه  
ومسكنه ، نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك  
كف للأولين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته فمؤذلة منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان العارفين  
التغافلين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العاملة إلى معرفته ، نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم  
إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في  
كونه إلهاما وإلى ما تردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان  
أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك فامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان  
لا يقدر على دعاتهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أمانتظر  
إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تتقدم  
من العاطب بصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف  
تكثر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى الصراط المستقيم ؟  
ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطف الجبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بصد  
ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع  
كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أمثاله يؤكده فيه شواهد  
الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتميز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج

بملك إنما أنا ابن امرأة  
من قريش فكانت  
تأكل القديد وعن  
بعضهم في معنى لين  
جانب الصوفية :  
هينون لينون أيسار  
بنويسر  
سواس مكرمة أبناء  
أيسار  
لا ينطقون عن الفحشاء  
إن نطقوا  
ولا يعارون إن ماروا  
لمكثر  
من تلقى منهم نقل  
لاقت سيدهم  
مثل النجوم التي يسرى  
بها السارى  
وروى أبو الدرداء عن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « من أعطى حظه  
من الرفق فقد أعطى  
حظه من الخير ومن  
حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة ابن أبي فاكه بإسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .



للسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيه لك بسبه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١). «وإن الله ليؤيده هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ولذلك روى أن إبليس لعنه الله مثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات وتليدسات الشيطان من هذا الجنس لا تنهاى وبها يهلك الملاء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسند ذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبيس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الغيبرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده حتى على الصبد أن يقف عند كل مخطر له ليعلم أنه من لمة للملك أولمة الشيطان وأن يعمن النظر فيه بعين البصيرة لاهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أى رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أى ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - قيل هى أعمال ظنوها حسنة فإذا هى سيئات ، وأغضى أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخيل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخيل باطنه في التخييلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قديقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهاود ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدفاع مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لاتنلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدو غير غاقل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن بأيا سعيدي أيتام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لاخلص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بيمره في سفره» (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله ، وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك؟ قال تدينى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يعتذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أغنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التى تنفض إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حظه من  
الخبر « حدثنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
إسحاق قال ثنا أبو  
عبد الرحمن محمد بن  
أبي عبد الله السائي قال  
أنا أبو الحسين  
عبد الرحمن بن أبي  
طلحة الداودي قال أنا  
أبو محمد عبد الله  
الحموي السرخسي  
قال أنا أبو عمران  
عيسى بن محمد  
السمرقندي قال أنا  
عبد الله بن عبد الرحمن  
الدارمي قال أنا محمد بن  
أحمد بن أبي خلف قال  
ثنا عبد الرحمن بن محمد  
عن محمد بن إسحاق قال  
حدثني عبد الله بن أبي  
بكر عن رجل من  
العرب قال زحمت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالبعد فيها للمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليل مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب الصني بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغرير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طريقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا فحلفت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك قتل مانت فقتلها ودقها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال مانت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خفيها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسنجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبرياء وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البهيم إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعوز بالله من تضيق أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

( بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب )

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بخراصة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلجه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وملا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسل وللحاكم نحوه موقوفا على أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطريق في مسنده من حديث على (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من رتب حول الحمى يوشك أن يواقع لفظه .

يوم حنين وفي رجل  
نمل كشيعة فوطئت بها  
على رجل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فتفتحن فتحة بسوط في  
يده وقال باسم الله  
أوجعتني قال فبت  
لنفسى لئلا أقول  
أوجعت رسول الله قال  
فبت بليلة كما يعلم الله  
فلما أصبحنا إذا رجل  
يقول أين فلان قلت هذا  
والله الذي كان معي  
بالأمس قال فانطلقت  
وأنا متخوف فقال لي  
إنك وطئت بملك على  
رجلي بالأمس فأوجعتني  
فتفتحت فتحة بالسوط  
فهذه ثمانون نعمة  
نقذها بها . ومن  
أخلاق الصوفية الإتيار  
والواسة ومحملهم على  
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برمائه وكلنا تمكينا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى رب أن يتوب علي قال موسى نعم فلما صد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة قال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فافى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك مجرى الدم ، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنه فايدري ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها إليك وسو لك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن القرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال أخذه عند الغضب وعند الهوى ، فقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقبل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فهما كان العبد حرصا على كل شيء أهماء حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك لشيء يسمى وبسمه <sup>(١)</sup> » ونور البصيرة هو الذي يبرق مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يصرف غيظه بعيد الشيطان فرصة فيحسن عند الحرص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخالت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم منك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبان هما اللتان لا تخافان بهما أهلك الناس : الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرص فإنه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبحت حاجتي منه بالحرص . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليعي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذا للماليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما شبعت فتقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له علي أن لا أملا بطن من الطعام أبدا فقال له إبليس والله علي أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

(١) حديث حبك الشيء يسمى وبسمه أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة  
اليقين شرماً يؤثرون  
بالموجود ويصبرون على  
اللفقود . قال أبو يزيد  
البيضاوي ما غلبني  
أحد ما غلبني شاب من  
أهل بلخ قدم علينا  
حاجا فقال لي يا أبا يزيد  
ما حسد الزهد عندكم  
قلت إذا وجدنا أكلنا  
وإذا قدنا صبرنا فقال  
هكذا عندنا كلاب  
بلخ قلت له وما حسد  
الزهد عندكم ؟ قال  
إذا قدنا شكرنا وإذا  
وجدنا آثرنا . وقاله  
ذو النون من علامة  
الزاهد الشروح صدره  
ثلاث : تفريق المجموع  
وترك طلب للفقود  
والإيثار بالقوت . روى  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والنياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقفها وحيطانها وتوسيع أبينتها ويدعو إلى التزين بالنياب والدواب ويستخره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر ثم يود بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد الله بن حنظلة قال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لأنسأل أحد أغني الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك الثبات في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والثبات من الله تعالى » (١) وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان عجولا - وقال لنبى صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والمعرفة والتبصرة نحتاج إلى تأمل وتعمل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا لللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبييا قد ولد البارحة ما حملت أنبي قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبوابه العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعت من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواء . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالحجر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمضى ذلك فقال إبليس رويدا بهم عبي الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصار « إن شتمت قسمت للمهاجرين من أموالكم ودياركم ونشاركونهم في هذه القنينة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم هبة من القنينة » فقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالقنينة ولا نشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والثبات من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

فصيب منهم حاجتنا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذني عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وطى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنه الشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الهاد الوثير والقرش الوطيئة والتزهات الطيبة فحق ينشط لعبادة الله تعالى ؟ . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكز والعذاب الأليم وهو اللعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيشمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبنى على ثلاث أن أمره أن يأخذ للنال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأذى واق للجمع النال والأسواق هي معشئ الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزمير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) » ومن أبوابه العظيمة التوصل: التحصن للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفاسق جميعا فان الطعن في الناس والاستغفال بذكر تقصيرهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين قري الواحد منهم يتصب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطابق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوه إذ موالى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحيه . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يمينه فأتى لهذا الفضولى أن يدعى ولاده وجبه ولا يسير بسيرته وتزى فضوليا آخر يتصب لى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ونرى الفاسق لباسا ثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتنف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه ولاده فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر ومهر وعثمان وطى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير واستاده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضا .

أزواجه هل عند كن  
شبه شكلهن قن  
والذى بشك بالحق  
نيا ما عندنا إلا الهاء  
فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما عندنا  
ما نطمعك هذه الليلة  
ثم قال من يضيف  
هذا هذه الليلة رحمه  
الله فقام رجل من  
الأنصار فقال أنا  
يا رسول الله فأتى به  
منزله فقال لأهله هذا  
ضيف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأكرمه  
ولا تدخري عنه شيئا  
فقال ما عندنا إلا قوت  
الصبية فقال قوهي  
عليهم عن قوتهم حتى  
يناموا ولا يطمعون  
شيئا ثم أسرجي فاذا  
أخذ الضيف ليأكل  
قوهي كأنك تصاعين  
السراج فأطفئيه

والقنحمون لحاصي الشرع هم الذين يعزقون الشرع ويقطونه بعقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أوليائه الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماتجبه الصحابة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفهامهم ثم إن الشيطان يغيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تنهم حوله ويغيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لم يلحقه شيء عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضمة منه <sup>(١)</sup> «اعلمي فاني لأغني عنك من الله شيئا <sup>(٢)</sup>» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فما بالك خافني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي القدي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبك كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعت في الدين بصيرتهم وقوت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتصصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينهروهم على مكاييد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عابيه ونسوا أمهات دينهم قد هلكوا وأهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن البصري أن إبليس قال لومة محمد <sup>(٣)</sup> «عاصي قد صموا أظفري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق اللعن فأنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم قواموا يقتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فنفروا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يلبثها أحد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغيل إليهم في الله تعالى خيالات يعال الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح سرور مبهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المرفق والبصرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم إناهما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه <sup>(٤)</sup> » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالم لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونصلي نمنح السنن  
لضيف رسول الله حتى  
يشبع ضيف رسول  
الله قامت إلى الصبية  
فعلتهم حتى ناموا عن  
قوتهم ولم يطعموا شيئا  
ثم قامت فأتت  
وأسرجت فلما أخذ  
الضيف ليا كل قامت  
كانها تصلح السراج  
فأطفأته فجعلها عضفان  
الستة حالضيف رسول  
الله ووطن الضيف أنهما  
ياكلان معهما حتى شبع  
الضيف وباتا طويلا  
فلما أصبحوا غدوا  
إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلما نظر  
إليهما تبسم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثم  
قال لقد عجب الله من  
فلان وفلانة هذه الليلة  
وأنزل الله تعالى -  
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضمة منى متفق عليه من حديث السور بن محزمة (٢) حديث إنى لأغني عنك من الله شيئا قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبرار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيها يتعلق بالعقائد والمذاهب لا يحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن يمتد الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بمقوقه أو يتواني في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لقتلهم فقال صلى الله عليه وسلم «اتموا مواضع التهم» (١) حتى احتراز هو عليه السلام من ذلك روى عن ابن حسين أن صغية بنت حيي بن أخطب أخبرته «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي لم يره رجلان من الأنصار فلما تم انصرفا فناداهما وقال إنها صغية بنت حيي قتالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنني خشيت أن يدخل عليكما» (٢) فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمتة فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان لو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيات شرحه ، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمتد من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بهد عمارة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاساطان له على القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك النبي فقل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويده فاستقر الشيطان في سويده القلب وأما قلوب المتقين الحالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لالشهوات بل لحلوها بالنفث عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خفى الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجده أصلا (٢) حديث صغية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا فأتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضى الله عنه أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جاره فداوله بسبعة أنفاس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكبروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إشارة منه على نفسه . وحكى عن حذيفة المدنى قال انطقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى

الواردة في القدر . قال أبو هريرة النقي شيطان للؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهن مسمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أثنى أعبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل ممي الله فأطعم جاثما وإذا شرب ممي الله فأطعم عطشانا وإذا لبس ممي الله فأطعم عريانا وإذا ادهن ممي الله فأطعم شعثا فقال لكتي مع رجل لا يله مل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به ولباحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعبودنا يرانا هو وقيله من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقطعه منا كما قطعه من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال فتمثل له إبليس يوما في طريق للسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا أعلم هذه الاستعاذة ولا أن عرض لك قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ماشئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يسرج فيها ومن فتق الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفقت شعلته وخر على وجهه <sup>(١)</sup> وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن بكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بشتى بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في المسجد <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر فجاء إلا سلك الشيطان فجاء غير الذي سلكه عمر <sup>(٤)</sup> » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مبرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات لمهما طمعت في أن تدفع الشيطان عنك بمجرد الله كذا كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمدة مشنولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما تنفع الذي شربه بعد الاحتماء وتحلية للعدة والذكر الدواء والتقوى احتفاء وهي تخلى القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا من غير الله كذا اندفع الشيطان كما تدفع العلة بنزول الدواء في العدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

وممي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سبقته ومسحت وجهه فإذا أنا به قتلست أسفك فأشار إلى أن نعم فإذا رجل يقول آم فقال ابن عمي انطلق به إليه فجلت إليه فإذا هو هشام بن العاص قتلست أسفك فسمع هشام آخر يقول آم فقال انطلق به إليه فجلت إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسين البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله - والذين تبوءوا الدار والإيمان - قال ابن

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلًا ولما لك في اللواط نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلًا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارمة عن عياض الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبشي وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن بكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلًا (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلًا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتًا من الجن قفلت على البارحة أو كلمة نحوه ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذته فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضعيف (٤) حديث ما سلك عمر فبجأ إلا سلك الشيطان فجاء غير فبعه متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما لي بك الشيطان سالكا فجا .



عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السمير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط تعلها علماء الدين إلى نفسك فليس الخبر كالبيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراق قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب العائدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت الصلاة بحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتياء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كرفض الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه وبطبع اللعين بعد معرفته بطغيانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الله كروالدعاء ، قل لابراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال عثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بمحدوده وقتلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقتلتم نخبى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأتموه على المعاصى وقتلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقتلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم واقترضتم عيوب الناس أمامكم فأسخطم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزنبور ، فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الرضا يأمر به وزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليب عند ويغضبهم عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فبسيه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد فى ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى اللائكة كثرة ، وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة اللائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا . قال أبو خضص الإيثار هو أن يقدم حظوظه الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقمك ولا تميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف برؤية ملكه إنما الإيثار بمن يرى الأشياء كلها لاحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرده الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عندنا من حديث أنى .

ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة الفصل في اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الشياطين (١) » وقال أبوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تنهني عليه لأتقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيرة سيئة وبالجنة عشرةا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تنهني عليه لأتقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بحيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسادهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) » وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا قبل على أحدهم حتى تقتله وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم تعود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم تغلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهم ما ولا تدرك حقيقة صورتهم ما بالمشاهدة إلا بأتوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأل أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة للعراج عند صدره النشوى وإنما كان يراه في صورة الأدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وطلب في المعجم الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضفه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الأدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله : فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان بمثل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا ورحمة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي<sup>(١)</sup> وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجل شبه البلوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبيه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة فقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعنى ومحكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار هجينة وهي من أسرار محائب القلب ولا يليق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محقة وينفرد بمشاهدته الكاشف دون من حوله كالنائم .

( بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخواطرها

وقصودها وما يعني عنه ولا يؤخذ به )

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مياسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكن به أو تعمل به »<sup>(٢)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسية فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا »<sup>(٣)</sup> وقد خرجته البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكن به أو تعمل به »<sup>(٢)</sup> حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسية

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من محب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالقرء والافتقار والتحقق بالبدل

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كسبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كسبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تسكتب عليه وإن عملها كسبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سبئية فأنا أغفرها له ما لم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على الاخذة فقول سبئانه - إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيفضر لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تحف مالبسك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى - ولا تسكتوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤخذكم الله بالعفو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يورد على القلب الخاطر كالمخطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لراها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبه مبدل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فان الطبع إذا مال لم تنبث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا تسميه بما بالفعل ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الإرادة فرمما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فنقول : أما الخاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله يُرِيدُ « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي . قال مهلا خضاء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج . قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعنيه <sup>(١)</sup> »

فلا تكتبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه م في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الله كـ (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنق النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحيي بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بهت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني لم أؤمر بالرهبانية الحديث وفيه من رغب عن سنق فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاخصيتنا والبقوى والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشق على هذه العزوبة في الغازي فأذن لي يا رسول الله في الخضاء فأخصني قال لا

والإشارة وترك التعرض والاختيار . قبل المسمى بالصوغية وعبر الجنيب بالحقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطح لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفي وله باب مغلق فكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأتقذوه إلى السوق واتخذوا رقما من الثمن وقصدوا في الله فدخل صاحب القلعة ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها

فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالعمل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فلاختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو المهمّ بالفعل فانه . يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والمهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجاءه في غائفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تموق الفعل بعائق أو تركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن هو عملها فاكسبوا له بمثلها وإن تركها فاكسبوا له حسنة إنما تركها من جرأني <sup>(١)</sup> » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فاما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم <sup>(٢)</sup> » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو يزني بأمرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان سيفيهما ذالقاتل والقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل لما بالقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه <sup>(٣)</sup> » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والمهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فاما فوت الراد بعائق فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالأخذ به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليكم يا ابن مظعون بالصيام فانه عجرة وأحمد والطبراني بإسناده جيد من حديث عبد الله بن عمرو خضاع أمق الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله اتدني لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الخفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث . و . بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنن وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زبد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمق الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد <sup>(١)</sup> حديث قالت اللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة <sup>(٢)</sup> حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعشهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعشون على نياتهم <sup>(٣)</sup> حديث إذا التقى المسلمان سيفيهما ذالقاتل والقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا  
فرمت بالكساء وقالت  
هذا أيضا من بنية المتاع  
فيعوء فقال الزوج لها  
لم تكلف هذا باختيارك  
قالت استكثرت مثل  
الشيخ بإسقاطه وبحكم  
علينا وبيننا لنا شيء  
ندخره عنه : وقيل  
مرض قيس بن سعد  
فاستبطأ إخوانه في  
عيادته فسأل عنهم  
فقالوا إنهم يستحيون  
بمالك عليهم من الدين  
فقال أخزى الله ما لا يمنع  
الاخوان عن الزيارة ثم  
أمر مناديا ينادي من  
كان قيس عليه مال  
فهو منه في حل  
فكسرت عتبة داره  
بالعش لكثرة عواده .  
وقيل آتى رجل صديقا  
له ودق عليه الباب  
فما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : كلفنا ما لا نطبق إن أحدنا يحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله : لمosكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا (١) » فأزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله قسا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يخلط وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من السكر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبايا من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي حرم لم يؤخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمأن إليه القلب وإن أدفوك وأتفوك (٤) » حتى إذا تقول إذا حكم القلب الفتى بإعجاب شيء وكان غمضا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تظهر فعله أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعصى بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح -

( بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا )

اعلم أن العلماء الراقين للقلوب الناظرين في صفاتها وعماهاها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والخنس هو السكوت فكأنه يكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالله كركان محجوب عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهجه فانه قديكم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها لقلب فكأنه يوسوس من بعد على ضئف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها تقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكأن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أدفوك وأتفوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أفتاك الناس وأتفوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا -

جنتي ١ قال لأربمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باسحيا فقالت امرأته هلا تملكت حين شق عليك الإجابة فقال إني أبكي لأن لم أنفقد حاله حتى أحتاج أن يغتنحني . وأخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجاني قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن الحمد أباذي قل ثنا أبو البختري قال ثنا أبو أسامة قال ثنا زيد بن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأشعرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه » (١) وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان ترك التمتع بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر أله عظيم فتد هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المصيبة لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالمعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويصده كما تبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه مصيبة وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة مجرد الحواطر وتدكر الأحوال الغالبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويمود ويندفع ويمود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى التراءى وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالشهرت فإنما قد ترقى الستعوب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لسلك مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلطف الآخرة مكان دينه وفيه الحسن بن أحمد بن محمد المروى الساجي الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طعام  
عالمهم جمعوا ما كان  
عندهم في نوب واحد  
اقتسموا في إناء واحد  
بالسوية فهم مني وأنا  
منهم . وحدث جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « أنه إذا أراد  
أن ينزول قال : يا معشر  
المهاجرين والأنصار  
إن من إخوانكم قوما  
ليس لهم مال ولا عدة  
فليضم أحدكم إليه  
الرجل والرجلين  
والثلاثة فلأحدكم من  
ظهر جملة إلا عقبة  
كعقبة أحدكم » قال  
فضممت إلى اثنين  
أو ثلاثة مالي إلا عقبة  
كعقبة أحدكم من جملة .  
وروى أنس قال لما قدم  
عبد الرحمن بن عوف  
المدنية آخى النبي عليه  
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف من وساوس الشيطان بالخواطر وتهيج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روى « أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم روى بذلك التوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتنوني بأنجانته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على التبر ثم روى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) ». وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريكه النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبس ثم روى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالرى والفارقة لادام بملك شيئا وراء حاجته ولودينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يغنيه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يقبأه به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالته في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فإن امتنع أماته من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبي أمره بالتخرج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرججه عن العلم فإن أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا غفيا فتبدل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

( بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في الخير والنيات )

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتشف الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يثأر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتغير صفته فإن نزل به الشيطان قدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهيلا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء الله أقيمه وإن شاء أن يزغه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ك وصححه على شرطه م من حديث النوايس بن ميمان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقيمه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواء البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقاسمك مالي نصفين ولي امرأتان فأطلق إحداها فإذا انقضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفي على الاشارة إلى طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالقلاح لمن يوق الشح وحكم بالقلاح



«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا<sup>(١)</sup>» وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن<sup>(٢)</sup>» وهذه التعليلات وهجاء صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للفرقة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خباثات الأخلاق تنفتح فيه خواطر الخير من خزانة القلب وينبسط مدخل للسكوت فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكتشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحبه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستقبرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا عند ذلك بعمود لا يرى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتأخر إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من الهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمجاهدة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمئن أراد بقوله تعالى - ألا بدكر الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئنة - . القلب الثاني : القلب المخدول المشحون بالهوى الدنس بالأخلاق الذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين السودود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الذرفية أن يتفتح فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتتبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعتة فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والغرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويغيب نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يعلأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عسى عن القهم وصمم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من ظلم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالتدنى يتورع عن بعض الأشياء . ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أحمد وك وقال صحيح على شرطه من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

من ألقى وبذل قال  
سومار زقاهم ينفقون  
أولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم  
الفلحون - والفلاح  
أجمع اسم لسعادة  
الدارين والنهي عليه  
السلام به بقوله ثلاث  
مهلكات ، وثلاث  
منجيات فجعل إحدى  
المهلكات شحا مطاعا  
ولم يقل مجرد الشح  
بكونه مهلكا بل يكون  
مهلكا إذا كان مطاعا  
فأما كونه موجودا في  
النفس غير مطاع فانه  
لا يشكر ذلك لأنه من  
لوازم النفس مستمدا  
من أصل جبلتها التراب  
وفي التراب قبض  
وإمساك وليس ذلك  
بالمعجب من الأدنى  
وهو جبل في وإنما  
المعجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فيأفقه الجلاء والرياسة والكبر ولا يقي معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحق وزكريب من حيوة أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهاك الواله للستهتر فيفسى فيه للرودة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظم وتنطق منه أنواره فينطق نور الحياء والرودة والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقيح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقله أكثراتها بالمواقب تحبيل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التخرج البارد ولم تمتنع عن هؤلاء فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتعجز على نفسك حتى تبقى محروما غنيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أقربيد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اختبرت ولم يمتنعوا أما ترى العالم القلاني ليس يغرر من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه تحبيل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيحمل الملك حمة على الشيطان وغول هل هلك إلا من اتبع لغة الحال ونسى العاقبة أفنقع بلعة بسيرة وترك لغة الجنة ونعيمها أبدأ الآباد أم تستقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستقل ألم النار أنتز بفضلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فخذ ذلك بتمثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجنتين متجاوزا بين الحزين إلى أن يلبس على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للسلكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتعرضه إياه على الحاجة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجنتين وهو الغالب أعنى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب اللاتسكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والماعى تظهر من خزائن النيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن اللسكوت وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق لاجنة يسهل له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسهل له أسباب الماعى وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم بضر الحق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يدهم وعينهم وما يدهم الشيطان لا غرورا - يدهم التوبة وعينهم للنفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهله الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الضرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره لمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . - إن نصركم الله فلا غالب لكم وإن هلككم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - فهو الهادى

في التريزة وهو نفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والابتناء والسخاء ثم وأكل من الجود في مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود بالبخل يتطرق إليها الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الفرائض والله تعالى منزّه عن التريزة والجود يتطرق إليه الرأى ويأتى به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي »<sup>(١)</sup> فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم العامة وإعماذ كرتنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم للعامة وأسرارها ليتنفع بها من لا يفتح بالظواهر ولا يجتري بالتشرع عن الباب بل يشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية لهم ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . تم كتاب عجائب القلب وفي الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

( وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكلات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهد البعد وتشميره واستحثه على تهذيبها وتخفيفه وتغديره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريه ويستشرف حقيقة الحق من مخايله ويتأشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وعمرة مجاهدة المتقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكلات الدامغة والمخازي القاضية والردائل الواضحة والخبائث البعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلاك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة كأن الأخلاق الجلية هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تملطه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فيحتاج البعد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فله الجنة هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاها - وإعمالها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جبل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

الثناء وغيره من  
الحلق والثواب من  
الله تعالى والسخط  
لا يتطرق إليه الرياء  
لأنه ينبع من النفس  
الزكية المرتفعة عن  
الأعواض دنيا وآخرة  
لأن طلب العوض مشعر  
بالخل لكونه معلولا  
بطلب العوض لما  
تحض سخاء فالسخاء  
لأهل الصفاء والابتناء  
لأهل الأنوار ويجوز  
أن يكون قوله تعالى  
- إنما نطمعكم لوجه  
الله لا نريد منكم  
جزاء ولا شكوراً - أنه  
نفي في الآية الإطعام  
لطلب الأعواض حيث  
قال لا نريد بعد  
قوله لوجه الله  
فما كان له لا يشمر  
بطلب العوض بل  
الفرصة لطهارتها  
تتجذب إلى مراد الحق

لألوس وذلك أكل  
السقاء من أطهر  
الترائر. روت أسماء بنت  
أبي بكر قالت : قلت  
يا رسول الله ليس لي من  
شيء إلا ما أدخل على  
الزير فأعطى ، قال نعم  
لأنوكي فيوكي عليك .  
ومن أخلاق الصوفية  
التجاوز والعفو ومقابلة  
السيئة بالحسنة . قال  
سفيان الاحسان أن  
تحسن إلى من أساء  
إليك فإن الاحسان  
إلى الحسن متاجرة  
تكتنف السوق خذ  
شيئا وهات شيئا وقال  
الحسن الاحسان أن  
تحم ولا تخص كالشمس  
والريح والنيث .  
وروى أنس قال  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
« رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خافه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى -خذ العفو- الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عباد وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث أنزل ما يوضع في الميزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشيخ مرسل (٦) حديث ما للشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخافه فقطعه النار تقدم في آداب الصحبة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجہ العراقی ولم ینبہ علیہ وقد تقدم فی باب الصحبة فلیتأمل.

فللهم قوتي قنوا بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوتي قنوا بالبخل وسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينا دينكم بهما (٢) » وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) » وقيل « يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماننا قال أحسنهم خلقا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦) » وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧) » وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (٨) » وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم حسنت خاقي فحسن خلقى (٩) » وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله (١١) » وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما بوضع في الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطني في كتاب السنجد والحرايطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماننا قال أحسنهم خلقا ذلك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماننا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الحرايطى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الحرايطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الحرايطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الحرايطى في مكارم الأخلاق باسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصحبه على شرطم والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تسلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم في آداب الصفة .

على الجنة قلت  
يا جبريل لمن ههنا  
قال للسكاطين النيط  
والعاقين عن الناس  
روى أبو هريرة رضى  
الله عنه « أن أبا بكر  
رضى الله عنه كان  
مع النبي صلى الله  
عليه وسلم في مجلس  
جاء رجلا فوقع في  
أبي بكر وهو ساكت  
والنبي عليه السلام  
يتبسم ثم رد أبو بكر  
عليه بعض الذى قال  
فغضب النبي وقام  
فلحقه أبو بكر فقال  
يارسول الله شتمنى  
وأنت تبسم ثم رددت  
عليه بعض ما قال  
فغضبت وقت فقال  
إنك حيث سكنت  
ساكتا كان معك  
ملك يرد عليه فسا  
تسكنت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»<sup>(١)</sup> وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يمشي به بين الناس»<sup>(٢)</sup> وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»<sup>(٣)</sup> وقال أنس يينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد»<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام «من سعادة الرء حسن الخلق»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «اليمين حسن الخلق»<sup>(٦)</sup> وقال عليه السلام لأبي ذر «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق»<sup>(٧)</sup> وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للراءة يكون لها زوجان في الدنيا فتتوت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تسكون، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بحسرى الدنيا والآخرة»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته»<sup>(٩)</sup> وفي رواية «درجة الظمآن في المواجر» وقال عبد الرحمن بن ممره كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى»<sup>(١٠)</sup> وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة»<sup>(١١)</sup> وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلة فيفوق عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة ينتهي بها وجهه الله إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طس طس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا للطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصلوة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله الحديث الخرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرايطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة الرء حسن الخلق الخرايطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمين حسن الخلق الخرايطي في مكارم الأخلاق من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه جب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للراءة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والخرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لمبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن ممره إني رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصهبانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه "م تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجمت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن آهينني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليك الشيطان قط سالكا لجا لإسلاك لجا غيرك<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا ينفرد وسوء الظن خطيئة تفوح<sup>(٢)</sup>» وقال عليه السلام «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم<sup>(٣)</sup>» الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياة قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نهي تقي لله وولي ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبي عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقبل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقت وخلفه معه لم يفارقه . وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكثاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بانيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالعطفي صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

### ( بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق )

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تضرعوا لحقيقته وإيمانهم ضوا لثمرته ثم لم يستوهبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

- (١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش بكلمنه ويستكره الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا ينفرد الحديث طعن من حديث عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستاده ضعيف (٣) حديث إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيانين من حديث أنس يساند جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بمحدثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال بعض الصعابة «يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيفني فيمربي أفأجزيه قال لا أقربه» وقال الفضيل الفتوة الصفع عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الواصل الكافي» ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الدى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يغاصم ولا يغاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال اللؤم . وقال بضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصعب في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للثمرات حسن الخلق لنفسه ثم ليس هو محيط بجميع الثمرات أيضا وكشف القطاء عن الحقيقة أولى من قتل الأقاويل المختلفة فتقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فبراد بالخلق الصورة الظاهرة وبراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما تبيحة وإما حيلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بأخافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فيه طي أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس في هذا اللقار واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة وبسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجلية الحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال التبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من صدر منه بذلك المال طي النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذلك المال أو السكوت عند الغضب بمجد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجبل والتقيح . والثاني القدرة عليهما . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يندل إما لفقد المال أو للمنافع وربما يكون خلقه البخل وهو يندل إما لباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجليل والتقيح جميعا طي وجه واحد بل هو عبارة عن للمنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن صدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والحد بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناصبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم لحسنها وصلاحتها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والتقيح في الأفعال فاذا

أن تفنو من ذلك  
وتصل من قطعك  
وتعطى من حرمك  
ومن أخلاق الصوفية  
البشر وطلاقة الوجه.  
الصوفي بكاء في خلوته  
وشره وطلاقة وجهه  
مع الناس فالبشر طي  
وجهه من آثار أنوار  
قلبه وقد تنازل باطن  
الصوفي منازل إلهية  
ومواهب قدسية  
يرتوى منها القلب  
ويعتلى فرحا وسورا  
قل بفضل الله وبرحمته  
فذلك فليفرحوا -  
والسرور إذا تمكن من  
القلب فاض طي الوجه  
آثاره قال الله تعالى  
سجود يومئذ مسفرة  
أى مضيئة مشرفة  
مستبشرة ساء فرحة  
فيل أشرفت من طول  
ما غبرت في حيل



صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فمنها في أن يصير انتفاضها وانسائها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة ومنها صلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح الشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال النفذ المعنى لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثالها مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة القضائية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جهودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبا وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتعملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانتباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والفمارة والحق والجنون ، وأعنى بالفمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فتدبكون الإنسان فخر إلى شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأما خلق العفة فهو محمودة وأما إفراطها هو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستسائة والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والدلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانتباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والقناعة والورع والطاعة والساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشرم والوقاحة والخشيت والتبذير والتقصير والرياء والمتكبر والمجانة والعبث والمق والمحدو والشهامة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تنعم القلب بلذيل المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه قال أنضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نظرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرأة الصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقندون به في جميع الأنفال ، ومن اتقك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين البعد فينبغي أن يعد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا لينعم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أو صف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحده الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدّة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استقل المجاهدة والرياضة والاعتغال بتركية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخيب دخلة فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالتغيير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا التبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك التبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضيق زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الخطوط المعالجة وذلك محال وجوده . فتقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والوعاظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البريمة يمكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامسك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلاسة والاعتقاد وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسما والكوأكب بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقاً يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربة إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربة فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا فتحهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلية وامتداده مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أضعف أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى  
- سبحانه في وجوههم  
من آراء السجود وإذا  
تأثر الوجه بسجود  
الظلال وهي القوالب  
في قول الله تعالى  
- وظلالهم بالقصد  
والأصا - كيف لا يتأثر  
بشهود الجمال . أخبرنا  
صيا الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا  
الكرخي قال أنا  
الترياق قال أنا الجراحي  
قال أنا المحبوبي قال أنا  
أبو عيسى الترمذي قال  
ثنا قبيصة قال ثنا  
للكندر بن محمد بن  
النكدر عن أبيه عن  
جابر بن عبد الله قال  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كل معروف  
صدوق وإن من المعروف  
أن تلقى أخاك بوجه  
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث بعثت لأتكم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصعبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما

على التغيير قوة الشهوة فانها أندم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجليل والقيسح بل يبق كالفطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستم شهوته أيضاً باتباع الذات فهذا سريع القبول للملاجج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتطاوله اعتياده لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتقاد للفساد والآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتهم لها بحمد وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للاستحسنة وأنها حق وجيل وتربى عليها فهذا يكاد تنتفع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشته على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى القضيبة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويهاجى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريء . وأما الخيال الآخر الذي استدلووا به وهو قولهم إن الآدمي مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قلع هذه الصفات بالكيفية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلا واسطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الواقع لا تنقطع التمثل ولو انعدم الغضب بالكيفية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إبطاء ذلك بالكيفية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكيفية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر <sup>(١)</sup> » . وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق <sup>(٢)</sup> » وقال تعالى - والكاذمين الغيظ والمافين عن الناس - ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يشلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج به عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إثناء أخيك»  
وقال سعد بن  
عبد الرحمن الزبيدي  
يسجن من القراء كل  
سهل طلق مضحك .  
فأما من تلقاه بالبشر  
ويلقاه بالعبوس كأنه  
يمن عليك فلا أكثر  
الله في القراء مثله ومن  
أخلاق الصوفية السهولة  
ولين الجانب والتزول  
مع الناس إلى أخلاقهم  
وطباعهم وترك  
التعسف والتكلف  
وقد روى في ذلك عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أخبار  
وأخلاق الصوفية  
نحاكي أخلاق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وكان يقول عليه الصلاة  
والسلام «أما إنى أمرح  
ولا أقول إلا حقاً» روى  
«أن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياسة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة وللشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن للطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مفلوطة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك للطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال ﷺ « خير الأمور أوسطها (١) » وهذا ليسر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فإن الحريص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجود وكذلك سائر الأخلاق فكل طرفي الأمور ذميم هذا هو للطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقيع عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء أخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن أن القدر المرخس فيه فإذا قصد قطع الأصل وبالع في ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يخف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

( بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة )

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلهي وكمال فطرته بحيث يخلق الانسان ويولد كاملا العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين متعادلتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ومحيي بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق للطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواطى عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعيا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواطى عليه على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق الحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه قديما فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاها ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصدة قال إذن تهديني كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد نزار بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ للقدس عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة وينتقم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرّة عيني في الصلاة <sup>(١)</sup> » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستئصال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا لاهل الحاشية - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير <sup>(٢)</sup> » ثم لا يكتفي في نيل السعادة بالعودة على حسن الخلق استلذاً للطاعة واستكراه العصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى <sup>(٣)</sup> » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأظهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنمائاً كد تأثيرها بكثرة للمواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللذات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً به مستلذاً له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد نصير هي قرّة العين ومصير العبادات للذيذة فإن العادة تقتضي في النفس محائب أغرب من ذلك فاناقد نرى للولك وللنعمين في أحزان دائمة ونرى القمار للفلس قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه وبلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بألمها لفرحه بالطيور وحر كاتها وطيرانها وتحليقها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياطوطى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك نفراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرباً بإرباطي أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصير على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحاً بما اعتقده كالأول وشجاعة ورجولية قد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرّة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى الخنث في فرح بحاله وافتخار بكاله في نخته يتباهى به مع الخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والبهاة كما يجري بين الملوك والطاء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى اللجاج فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يبل على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرّة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواء القضاء في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ولترمذى من حديث أبي بكره وصححه أي الناس خبر قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطهر بن محمد  
القصير قال أنا أبو  
الحسن قال أنا أبو عمرو  
ابن حكيم قال أنا  
أبو أمية قال حدثنا  
عبيد بن اسحق العطار  
قال ثنا سنان بن  
هرون عن حميد عن  
أنس قال « جاء رجل  
إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال :  
يا رسول الله احملني  
على جبل فقال أحملك  
على ابن الناقة قال أقول  
لك احملني على جبل  
وتقول أحملك على  
ابن الناقة فقال عليه  
السلام فالجبل ابن  
الناقة وروى صهيب  
قال « أتينا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وبين يديه تمر يأكل  
فقال أصب من هذا  
الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن اغذاء القلب الحكمة والعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كإفدي محل للمرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجليلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهائاً وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يخفى أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخدق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجاجة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قهية النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تنمطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قهية النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قهية النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء الوابد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالسكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صفائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قهية النفس بل يظهر قهية النفس عيشاً فشيئاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فلكل واحد منها تأثير فسامن طاعة لإلها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الأثر وكذلك العصية وكمن قهية يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صفائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يخطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتعمد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان ليدو في القلب نكته يضيء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان أيضاً القلب كله وإن النفاق ليدو في القلب نكته سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجليلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجليلة

من التمر فقال أنا كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا دا الأذنين » . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً » وروى أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقت ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك » . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح المحروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حق الجهات الثلاث حتى صار ذات فضيلة طبعا واعتيادا وتلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع وافق له قرناء السوء فعمل منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . - وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . -

### ( بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق )

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس واللبل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له واللبل عن الاعتدال مرض فيه فلتنخذ البدن مثالا . فقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تفتري المدة المضرة بعارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتقاد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالمعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تعهد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة الغيرة لاعتدال البدن الموجبة للرض لا تهالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتريات لمعالج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجهود والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعباد بالله تعالى مرض بدوم بعداوت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من غير العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة الرضى وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ التتبع الذي يطيب نفوس للريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع الرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض للريد وفي حاله وسنه وزاجه وما تحتله يتيه من الرياضة ويبنى على ذلك رياسته فإن كان للريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فعليه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصيبة فيأمره أولا بتركها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراسي

قال أنا أبو العباس

المحبوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال ثنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال ثنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال « إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أبا عمير

ما فعل الخير » والتغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زيرا

رضي الله عنهما فسبقه

الزير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم صاحبه

مرة أخرى فسبقه همر

فقال همر : سبقتك

فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظربقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات ووفر قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للسكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه اللواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتذا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكس المساحات القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تنشوش عليه رعوته في النظافة فإن الدين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون للرضعات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار قلافرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صانعهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطارها مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المرید لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الحلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في الكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيعود الصبر وينكسر شره وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للمل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضيق القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون السكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نسيبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من فقرته على الناس رعونة الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواء النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - والأصل اللهم في المجاهدة الوفاء بالعزم وإداعزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقص عزم

ورب الكعبة وروى  
عبد الله بن عباس  
قال قال لى عمر تعال  
أنا فسك فى الماء أينا  
أطول نقسا ونحن  
محرمون . وروى  
بكر بن عبد الله قال  
كان أصحاب رسول  
الله صلى الله عليه  
وسلم يتناحون حتى  
يتبادحون بالبطيخ  
فاذا كانت الحقائق  
كانوا هم الرجال يقال  
بدح يدح إذا رمى  
أى يترامون بالبطيخ  
وأخبرنا أبو زرعة  
عن أبيه قال أنا الحسن  
ابن أحمد الكرخي  
قال ثنا أبو طالب  
محمد بن محمد بن  
إبراهيم قال ثنا  
أبو بكر محمد بن محمد  
ابن عبد الله قال حدثني  
إسحاق الحارثي قال ثنا



فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب الحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بقوة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة ففسد بها الرياضة بالكلية .

( بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة )

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواء والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس التي لا آدمي ما يتميز بها عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومختزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترصوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للمريض قلما يلتفت إلى علاجه فلماذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً والمدرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد للعلاج فهو أن ينظر في العلة التي بعالجه فإن كان يعالج داء البخل فهو للهلك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإفناقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المهذور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالتألب عليك ذلك الخلق للوجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن التألب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سلباً عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد  
ابن خالد قال أنا عبد بن  
عمرو بن علقمة قال ثنا  
أبو الحسن بن عيصن  
الليثي عن يحيى بن  
عبد الرحمن بن حاطب  
ابن أبي بلتعة قال إن  
عائشة رضى الله عنها  
قالت وأنبئت النبي صلى  
الله عليه وسلم بحرية  
طبختها له وقلت لسودة  
والنبي صلى الله عليه  
وسلم بيني وبينها كلى  
فأبت ققلت لها كلى  
فأبت ققلت لتأكلن  
أو لأطخن بها وجهك  
فأبت فوضعت يدي  
في الحريفة فاططخت بها  
وجهها فضحك النبي  
صلى الله عليه وسلم  
فوضع يده وقال  
لسودة الطخى وجهها  
فلطخت بها وجهي  
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمئة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله للقرينين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية التموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط للمستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط للمستقيم أغنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تجبى الدين انقوا - أى الدين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيئى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية التموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على تحقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتقن كل عبد صفاته وأخلاقه وليتقن بهلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فنسأل الله الكريم أن يمحطنا من التتقين .

( بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه )

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رفيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبه عليه فتهكبا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذى بلغك عنى مما شكره فاستعنى فأخ عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالتهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقير فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيخبر بالعيوب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائق عن حدود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيوب عينا أو عن مدهان يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس قتيلا لم لا تخلص الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبى فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بشيئ غيرهم

عليه وسلم فمر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاعسلا وجهكم فالت عاتية رضي الله عنها فما زلت أهاب عمر لمية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزج عنده ويمزجنا وكننا نخرج من عنده ونعني نضحك وكننا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثاله إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحن ويمرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وغقارب لداغة فلو نهينا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه مئة رفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وإبعادها وقتلها وإعما نكاتها على البدن ويدوم ألمها يوما فاما دونه ونكايه الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بمد لاوت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نقرح بمن ينهينا عليها ولا نشغلنا بازالتها بل نشغل بمقاولة الناصح بمثل معالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كبت وكبت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبال الله عز وجل أن يلمحنا رشدنا ويصيرنا بعبوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوقتنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدى المساويا ، ولعل انتفاع الانسان بمدوة مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويغفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل ما يؤوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخاطب الناس فكل مارآه مذموما فيها بين الخافق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن للؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى لما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليستفقد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب . قيل لميسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شينا عارفا ذكيا بصيرا بعبوب النفس مشفقا ناهما في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناهما لهم لمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يغلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بصدده .

( بيان شواهد الثقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات )

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن مجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأفوايل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى سونى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قبل نزع منهاجبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخفه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه <sup>(١)</sup> » فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخفه الحديث أبو بكر بن لال في

مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نبكى فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتعدونه من للدابة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سمة رحمة الله فاذا خلوا وقوا موقوف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا للنبي على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم متى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب  
للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة  
لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى  
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم  
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك  
ولاتباع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلنم بك بعضا إلا أن ينصر الله تعالى  
ويستر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عجلت شيئا أشد عليّ من نفسي مرة لي ومرة عليّ وكان أبو العباس  
الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجهدين  
كأنني بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس ألا تسبحين وقال الحسن ما الدابة الجرح بأحرج إلى اللجام  
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه  
القوت من الطعام والتمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة  
الطعام موت الشهوات ومن قلة للناس صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال  
الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت  
من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام  
من غممة التهجذ وقلة للناس وضربها بأيدي المحول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن  
من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيا من ظلمة شهواتها فتنبو من عوائل آفاتها فتصير عند ذلك  
نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس القارء  
في الميدان وكذلك التنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس  
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من  
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مفلولا زمامه في يدها  
تجره حيث شاءت تمنع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم  
لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر  
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزن فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبأ  
لذلك . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام ببدأن ملك خزائن الأرض وقعدت له على  
راية الطريق في يوم موكبته وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكته سبعان من جعل  
للملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحر من الشهوة صيرا للملوك عبيدا وذلك جزاء  
المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا للعبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنه من يتق ويصبر  
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة فعمت إلى وردى فلم أجدا الحلاوة التي كنت أجدها  
فأردت أن أنام فلم أقدر فحسنت فلم أطلق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عبادة مطروح على الطريق  
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت باسیدی من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل  
أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل لما حاجتك قال فمضى يصير داء النفس دواها قتلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار  
من ذلك للمريد  
للبتدين لثقة عليهم  
ومعرتهم بالنفس  
وتعديهم حد الاعتدال  
فللنفس في هذه  
للوطن نهضات ووثبات  
تجر إلى الفساد وتجنح  
إلى العناد فالنزول إلى  
طباع الناس يحسن إن  
صعد عنهم وترقى لعلو  
حاله ومقامه فيزل إليهم  
وإلى طباعهم حين  
ينزل بالعلم فأما من لم  
يصعد بصفاء حاله عنهم  
وفيه بقية مزح من  
طباعهم - ونفوسهم  
الجماعة الأماراة بالسوء  
إذا دخلت في هذه  
للدخل أخذت النفس  
حظها واغتنت ما كرها  
واستروحت إلى الرخصة  
والتزول إلى الرخصة  
يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في  
شرح محابب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وضعه وه من  
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولاتباع هواها في معصية الله الحديث  
لم أجده بهذا السياق .

هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعه إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشي إليكم عن الماء البارد في الدنيا لئلا تحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكمم قال إذا اشتئت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتئت الكلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمتنع إلا من كرامتك على ، فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألته فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشي الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعركة الله وجهه والتسكرفيه والاقطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات اللبسة فهو من الصديقين ولا يتقى إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلبت على قلبه فهذا بطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم قواده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فأنك أنت للعاذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة وللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسبب ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل للكلام فرأيت رمانا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركها فرأيت رمانا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحميك من شهوة الرمان فإن لبغ الرمان يحمي الإنسان أله في الآخرة ولبغ الزناير يحمي أله في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزتي في ديبس فما أطمعتها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن النيبية والفضول لطفه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يشككم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يعمل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتي به الحلال هو بينه الذي يشتي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يجردها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة غالب أوقاته  
وليس ذلك شأن  
البتدي فلهووية  
العلماء فيها ذكرته  
تروح يطون حاجة  
القلب إلى ذلك والشيء  
إذا وضع للحاجة يتقدر  
بقدر الحاجة ومعيار  
مقدار الحاجة في ذلك  
علم فامض لا يسل لكل  
أحد قال سعيد بن  
العامر لا يته اقتصدي  
مزاحك فالأفراط فيه  
يذهب بالبهاء ويجري  
عليك السفهاء وتركه  
يفيظ للؤانس  
ويوحش الخاطئين فله  
بضمهم للزاح مسلبة  
للهاء مقطعة للاخاء  
وكما يصعب معرفة  
الاعتدال في ذلك يصعب  
معرفة الاعتدال في  
الضحك والضحك من  
خصائص الانسان

وراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير غلة كالسكران الذي لا يفقه من سكره وذلك القرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر اللوث وأحوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها فتسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية قرة بعبدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفطوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر قطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة قد عذب غفلوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وقلوا بها ما يفعل بالبازي إذ قصد تأديبه وتقله من التوب والاستيحاش إلى الاتقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان آله من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه وبآله إذا دعاه أجابه ومهما جمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا قطعت عن عاداتها بالخلو والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والبكاء ثانيا في الخلو حتى يئسب عليها الأسس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يقتل على المرء في البداية ثم يتنم به في النهاية كالصبي يخطم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يبصر عنه ساعة فلذلك يشتد بكأؤه وجزعه عند الفطام ويشد ظوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسيا يوما فيوما وعظم تبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصبره طبا فلور بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيجبر الثدي ويضاف اللبن وبألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفرعن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذي آلتته بالسلال والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قبل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا بلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أيما قتال فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتمال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا لينتم به سنة أودعها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فتد الصبح بحمد القوم السرى وتذهب عنهم عماية الكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو بالجاء أو بالقبول في الوعظ أو بالمز في القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغى أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فإياك في الآخرة لم ينفس بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو بمن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

وبميزه عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقه تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقبل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفض الضحاك من غير حجب للشاء في خير أرب وكرفرق بين المداعبة وللزاح قبل المداعبة ما لا يضرب جده والزاح ما يضرب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهوة في الصلاة

فليعرض الناس وليفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والامر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولا نزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ويلتزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

( بيان علامات حسن الخلق )

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمؤمنات في كتابه وهي بحملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - الثابتون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة ، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما نقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمن إيماناً أحسنهم أخلاقاً » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة » (٦) وقال « من سرته حسنة وساءت سيئته فهو مؤمن » (٧) وقال « لا يعمل المؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) وقال عليه السلام « لا يعمل المسلم أن يروع مسلماً » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يعمل لأحدهما أن يفتي على أخيه ما يكرهه » (١٠) وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه أيضاً من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمن إيماناً أحسنهم أخلاقاً غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطلقاً فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة (٧) حديث من سرته حسنة وساءت سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وكهجه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك ومجحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يعمل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلان وقد تقدم (٩) حديث لا يعمل المسلم أن يروع مسلماً طبرك من حديث النعمان بن بشير والبراز من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم  
ببطلان الوضوء بها  
وقال يقوم الائم مقام  
خروج الخارج  
فلا اعتدال في المزاج  
والضحك لا يتأتى إلا  
إذا خلص وخرج من  
مضيق الخوف والقبض  
والهيسه فانه يقوم  
بكل مضيق من هذه  
المضايق بعض التفرير  
فيعتدل الحال فيه  
ويستقيم فالبسطة  
والرجاء ينشئان المزاج  
والضحك والخوف  
والقبض يحركان فيه  
بالعدل . ومن أخلاق  
الصوفية ترك التكلف  
وذلك أن التكلف  
تصنع وتعمل وتمايل  
على النفس لأجل الناس  
وذلك يبين حال  
الصوفية وفي بعضه خفي  
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأدب كثير الإصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صورا شكورا راضيا حليما رفيقا عفيفا شافيا لاهنا ولا سبابا ولا انما ولا مفتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب في الله وينفض في الله ويرضى في الله وينضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة (١) » وقال حاتم الأصم للمؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرس والأمل وللمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسوء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويغشى الفساد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما معي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرائي غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) » ولما كثرت قريش إبداءه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعل خلق عظيم - وعك أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فقاطله ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه وردده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزّل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه قتيلا بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه ليس أنتي عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علت أني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه مني الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعا ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعا الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازجر أترجر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه إبانة فزّل عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفذ الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا قليل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصول على الرماد لم يحزله

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة للمؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان معي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرائي غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليهي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بما قسم الجبار  
ويقال التصوف ترك  
التكلف . ويقال  
التكلف تخلف وهو  
تخلف عن شأو  
الصادقين . روى أنس  
ابن مالك قال شهدت  
وليمة لرسول الله ما فيها  
خبز ولا لحم وروى عن  
جابر أنه أتاها ناس من  
أصحابه فاتاهم بخبز  
وخل وقال كلوا فاني  
سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
« نعم الا دام الخل »  
وعن سفيان بن سلمة  
قال دخلت على سلمان  
الفارسي فأخرج إلى  
خبزا وماء وقال كل  
لولا أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم نهانا  
أن يتكلف أحدنا أحد  
تكلفنا لكم والتكلف  
مذموم في جميع



أن يغضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلى الماء فقام على بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقى وسمع كلامه مع على ابن موسى الرضا فخاف وهرب وخلصها فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع مائه عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائدة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يجبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بش ما عملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقها في البئر لئلا يفر بها مسلما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والخمس المندرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بيناه وجالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوق على ابن له صغير فأت فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أويسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كن ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تندموا ساقى فتدعونى عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقى في نفسك شئ فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرائى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنعم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياسة فاعتدت أخلاقها ونقيت من الفسق والعل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يشتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياسة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فاتها درجة رفيعة لا ينالها إلا للمفربون والصديقون .

( بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشورهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم )

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نقيصة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما تنشئ ومائل إلى كل ما يعال به

الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التناقى الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكمن متعلق لا يعرف أنه متعلق ولا يظن له فقد يتعلق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبين لحال الصوفى . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس الحبسوى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن

إليه ونعود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويطلعه بحسن الأخلاق ويحفظه من القراء السوء ولا يعود التثمم ولا يحب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا يركه فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انجست طبيئته من الحبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الحباث ومهما رأى فيه محال التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأهوال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه وأول ما يقلب عليه من الصفات شرم الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحقق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا ياطع يده ولا ثوبه وأن يعود الحبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل الأكل وأن يعجب إليه الاثثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الحشن أي طعام كان وأن يعجب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والخشيت وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبغي أن يستكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التثمم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب رديا الأخلاق كذبا حسودا سروقا غمما لحوحا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في الكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأثمار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأديباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يخرس في قلوب الصبيان بذور الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويهظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفرض بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هية الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وترجره عن القبايح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بذنه فلا يجبر عن التثمم بل يعود الحشونة في الفرش

محمد بن مطرف عن  
حسان بن عطية عن  
أبي أمامة عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال  
«الحياء والعى شعبتان  
من الإيمان والبذاء  
والبيان شعبتان من  
التفاق» البذاء الفحش  
وأراد بالبيان ههنا  
كثرة الكلام والتكاف  
للناس بزيادة تفاق  
وثناء عليهم وإظهار  
التفصح وذلك ليس  
من شأن أهل الصدق  
وحكى عن أبي وائل  
قال مضيت مع صاحب  
لى نزور سلمان فقدم  
إلينا خبز شعير ومأجرا  
جريشا فقال صاحبي  
لو كان في هذا الملح  
سعر كان أطيب فخرج  
سلمان ورهن مطهرته  
وأخذ سعرا فلما أكلنا  
قال صاحبي الحمد لله

واللبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والريضة حتى لا يظلم عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع الشيء ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه شيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ يؤم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة فيسبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يخط ولا يتشاءم بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع العيّن رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وخشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جليلا يستريح إليه من تعب للكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يعبث قلبه ويطل ذكاه وينقص عليه الميثر حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمع في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحجب لبس الدياج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما ينلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا يقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وآنها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوة سالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشربه الطعام واللباس والزينة والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الخائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجوهه خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطنا بما رزقنا  
فقال سلمان لو قنعت  
بما رزقك لم تكن  
مطهرتي مرهونة وفي  
هذا من سلمان ترك  
التكلف قولوا فضلا  
وفي حديث يونس النبي  
عليه السلام أنه زاره  
إخوانه فقدم إليهم  
كسرا من خبز شعير  
وجز لهم قنالا كان  
يزرعهم قال لولا أن  
الله لمن للتكفين  
لتكلفت لكم قال  
بعضهم إذا قصدت  
للزيارة قدم ماحضر  
وإذا استزرت فلاتبقى  
ولا تنذر . وروى الزبير  
ابن العوام قال نادى  
منادى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يوما اللهم اغفر  
للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قفلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قفلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قفلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة قفلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أبصيه إليك والمصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى المكتب قفلت إني لأخشى أن يتفرق على هي ولكن شارطوا العلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فوضيت إلى الكتاب فعملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبر الشعير اثنى عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتييت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسأله عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أتفنع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبغ في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

( بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة )

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خزانة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخزانة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخزانة إلا أنه لا يدرى من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخزانة قد لا يتركها ولا يعظم احتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والطاء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والنبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من يذهبهم فان تنبه منهم متنبه هج عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من الطماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن هج الطريق قصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق الطماء بالهوى سبيل لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتمطلت الطرق لاهالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معصم (١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لأموات أمسى ولا  
يتكفون إلا إني برىء  
من التكلف ومالحو  
أمرى وروى أن عمر  
رضي الله عنه قرأ قوله  
تعالى - فأنبتا فيها حبا  
وعنبا وقضيا وزيتونا  
ونخلًا وحدائق غلبا  
وفاكهة وأبا - ثم قال  
هذا كله قد عرفناه  
فما الأب قال ويبد  
أمر عصاه فضرب بها  
الأرض ثم قال هذا  
لعمر الله هو التكلف  
فخذوا أيها الناس  
ما بين لكم منه فما  
عرقم أعمالوا به ومن لم  
تعرفوا فاسكروا علمه إلى  
الله . ومن أخلاق  
الصوفية الاتفاق من  
ضيق إقتار وترك  
للالادخار وذلك أن  
الهم في يرى خزان  
فضل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سيئته تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والحرب من أسباب التذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لآمن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقد ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً إذ ليس من شرط الريد الانتهاء إلى مذهب معين أصلاً وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الذم على ماضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر للعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عريية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وأخيراً ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقة لا محالة فمن سلك سبيل البوادي الهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون للسبيل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحجب على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتعصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسكينة ولا يغالقه في ورعه ولا صدره ولا يتيق في متابته شيئاً ولا يذير وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التمسك وجب على مقتضاه أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوة والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه لي شاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق المتكة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال أبداً إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسبب ان يان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب النرى والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبى على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر الساء في قربته وراويته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملسكان ياديان فيقول أحدهما اللهم أعظم نفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا نفقا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لند » . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فاطم خادمه طيراً فلما كان الضد أتاه به فقال رسول الله ألم أنك أن تحباً شيئاً لند فان الله تعالى يأتي

الحق وشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسير أيضا نتيجة الجوع فان السير مع الشبع غير ممكن والنوم يقضى القلب ويمتعه إلا إذا كان جدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن للمزلة لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرا به وتدير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا جدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وتسر القلب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويجلب الورع ويصلم التقوى . وأما الخلوة فالتدبى دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهلز القلب والقلب فى حكم حوض تصب إليه مياه كربة كدرة قدرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه للماء التنظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا من قنن الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة فى بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه فى جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار فى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق وشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها للمزمل يا أيها للدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عتبة على طريق الله تعالى لإلصاف القلب التى سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب فى قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهى تلك الصفات أعنى أسرار العلائق التى قطعها فى أول الارادة وآثارها أعنى للال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى للعاصى فلا بد أن يغلى الباطن عن آثارها كما أغلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك أوضف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام وينمعه من تكثير الأوراد والظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمر بها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلى للحصرى إن كان يخطر بقلبك من الجملة التى تأتيني فيها إلى الجملة الأخرى شئ عسى الله تعالى لغرام عليك أن تأمئني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق للسهر الذى ليس له إلا م واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية يفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .  
وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه « أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم دخل على  
بلال وعنده صبرة من  
تمر فقال ماهذا يا بلال  
قال أدخر يا رسول  
الله قال أما تخشى أنفق  
بلالا ولا تخشى من  
ذى العرش إقلا .

وروى أن عيسى ابن  
مريم صلى الله عليه  
وسلم كان يأكل الشجر  
ويلبس الشعر ويبيت  
حيث أمسى ولم يكن  
له ولد يموت ولا يات  
يخرب ولا يغبا شيئا  
لقد فالصوفى كل خبايا  
فى خزائن الله لصدق  
يوكله وتقه بره  
فالدنيا للصوفى كدار  
الترية ليس له فيها  
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها للمزمل يا أيها للدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأثبت خديجة قفلت دثروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال قزلت يا أيها للدثر وفى رواية قفلت زمولنى زمولنى ولها من حديث عائشة قتال زمولنى زمولنى فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالباً عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لعمالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتلقى بالدنيا وما يتذكر فيه مما قدم من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلّقه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصصاً فيلجئ في دفع ذلك ومهما دفع الوسوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسوس من هذه الكلمة وأنها مأى ومأى قولنا الله ولأى معنى كان إلهاً وكان معبوداً ويستره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمرًا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما يترغّبك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه مسمع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو اتفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدًا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لوركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فقلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجّاز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فان لم يكن ذكياً فطنا متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يردّه إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواترة أو يشغله بخدمة للتجريد للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقى القوم ويعهد دوابهم ليحضر يوم القيامة في زميرتهم وتعمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين العجّاز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لعمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان ينهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استنكار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصاً وتروح بطائناً» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلاسان

لا يبلغ درجتهم ثم اللريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقفا بل يئبى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العُطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله لا يتطلع من الخلق إلى الحق والحلوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال للنقطيين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن يكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له داني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر إلى الخلق فان النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فان السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للذكير فتجد النفس فيه لغة ليس وراءها لغة فدعوه تلك اللغة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللغات وتحسين الألفاظ للعبارة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين منة الكلام لتقبل إليه القلوب والأسماع فربما يغفل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب اللوحيين الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنفك فيه لغة وتضع كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأندى على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كيد القبول وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرطا لجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من بينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمهيون لهم ففي كثيرهم استرواح وتناصر فينبى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبى أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اتفحت له أوائل الطريق فان إشار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثر الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة اللريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاء وإذا طلب للمال والجاء حدث فيه الكبر والعجب والرياضة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين السكتين أن نستكمل ربع الملهكات بثانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في لم الدنيا

عن الدارمي قال أنا  
يعقوب بن حميد قال  
أنا عبد العزيز بن  
محمد عن ابن أخي  
الزهري قال إن جبريل  
عليه السلام قال ما في  
الأرض أهل عشرة  
من آيات إلا قلبهم  
لها وجدت أحدا أشد  
إشفاقا لهذا المال من  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم [ ومن  
أخلاق الصوفية القناعة  
باليسير من الدنيا ] .  
قال ذو النون المصري :  
من قنع استراح من  
أهل زمانه واستطاع  
على أقرانه وقال جرير  
ابن الحرث لو لم يكن  
في القناعة إلا التمتع بالعرز  
لكفى صاحبه وقال  
بنان الحال :

الحرم عبد ما طمع  
والبصد حر ما قنع



وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وضم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والنهجات وما ذكرناه في الكتاب الثانى هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتى في هذه الكتب إن شاء الله تعالى. تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

### ﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

( وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتفديس والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينفع بأمانه فهو الذى يرشده ويهديه وهو الذى يمتنه ويغنيه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذى يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذى يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرمه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه وبكسره شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلذ به ويشفيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما بهواه وينتجبه وكيف يحفظ أوامره ويتمسك عن نواهيهِ ويواظب على طاعته وينجز عن معاصيه والصلاة على محمد عبده وآله وسوله الوجه صلاة تزلقه وتحظيه وترفع منزلته وتعلمه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[ أما بعد ] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فلما بهما مشروهما حتى أكلا منها فبدت لهما مساوئهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يقبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنسكاح شدة الرغبة في الجاه والمسال الذين هم وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعمات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكثار والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل البدن نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأدعت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار المعالجة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فسادها وأرغيا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتقم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المراغى الماعلى من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ودبر أمر الآخرة بالحرص والتجمل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يصاد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما طي المرید في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلته من مخالفته شهوة البطن والفرج والعين .

### ( بيان فضيلة الجوع وذم الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل يارسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضاكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أ كول شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه ومشر به في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا ياملائكي ما من أكلة يدعوها إلا أبدلتها بدرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وترفهم بقاع الأرض ونحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس الفرش الوثيرة واقترشوا الجياد والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الأرض إذا قدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا» ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه وطى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم أجده لهذه الأحاديث التقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن عهدا عليه السلام كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أتف له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث التقديم وقد تقدم.

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكلموا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق شعنا غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيته في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يذهب الله قوماً فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض أعظم لنفسك إخوانا عسى أن تجوهم وإن استطعت أن يأنيك اللوت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فاقبل فانك تترك بذلك شرف للنازل وتخل مع النبيين وتفرح بقدم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار (١) .

روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الخواريين أجمعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينقض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصاً بالجيز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى ينقض القارئ السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليحرق من ابن آدم يجري الدم فضيقوا بجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن يأكل في معنى واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته وذكر للمع كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المع وليس للمع زيادة عدد معي للنافق على معنى المؤمن . وروى الحسن بن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلقت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللطائف وفيه حباب بن عبد الله بن جيلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضاً ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طاوس مرسل أجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضاً (٤) حديث إن الشيطان ليحرق من ابن آدم يجري الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل والرسول رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضاً (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلاً (٦) حديث المؤمن يأكل في معنى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث حمير وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن بن عائشة أديبوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضاً (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا البقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عندنا وحسنه وه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن  
حمير رضي الله عنه أنه  
قال كونوا أوعية  
الكتاب وينابيع  
الحكمة وعدوا أعضكم  
في اللوت واسألوا الله  
تعالى الرزق يوماً يوم  
ولا يضركم أن لا يكثر  
لكم . وأخبرنا  
أبو زرعة طاهر عن أبي  
الفضل والده قال أنا  
أبو القاسم إسماعيل بن  
عبد الله الشاوي قال أنا  
أحمد بن علي الحافظ قال  
أنا أبو حمير بن حمدان  
قال حدثنا الحسن بن  
سفيان قال حدثنا عمرو  
ابن مالك البصري قال  
حدثنا مروان بن  
معاوية قال حدثنا  
عبد الرحمن بن أبي  
سلة الأنصاري قال  
أخبرني سلة بن  
عبد الله بن محسن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلى قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى الزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضروا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي استحي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أيا ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١) وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتميتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثه أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للتخمون الملامى وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تغل في الحياة تنق في المات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الحلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين تخافين أن تجوعى لا تخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجتنى وأعزيتي وفي ظلم الليالي بلامصباح أجلسني فبأي وسيلة بلفتني ما بلفتني وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تغفل بأوليائك فبأي عمل أؤدى شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غيلة تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجتنى وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلامصباح وإنما تغفل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياحة وجوع الزاهدين حكمة وفي الزوراة اتق الله وإذا شبت فاذا ذكر الجيع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطفه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكل شبعاً أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنحينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعله بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك للرأه والمجادلة والغضب والإيق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظهر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلى شبعاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طبوأبو بصير في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[١] وجد بهامش العراقي ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدين مطولاً في كتاب استجلاء الموت وأوردته عياض في الشفاء ١٥ .

المصيبة والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام لمن زاد عليه فأنما يأكل من حسناته»<sup>(١)</sup> وسئل عن الزيادة فقال لا يبعد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا باخماس البطون والسهر والصمت والحلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسوس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقال اعلوا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فلم ينفع من المصيبة وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أتيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها باخمال الله كروتك المزوضرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجس آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها غلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكي مثل البطن مثل للزهر وهو العود المجهود والأوتار إنما حسن صوته لحفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر به ياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغب موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة خطر يبالي الحبز فاقطعت عن فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر يبالي منذ عرفتك فلا تنظر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب به الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

#### (بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك»<sup>[٩]</sup> ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن ينظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمة وتناوله الأشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعة لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذاق وهو غلط بل نفسه في خاصية في الدواء وليس لكونه مراوئعاً بقف على تلك الخاصة الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سمسرة العلماء ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى لا يرفع الله الدين آمنوا منكم والذين آمنوا العلم درجات. فنقول في الجوع عشر فوائد : القائمة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإيقاد البصيرة فإن الشبع يورث البلاء ويحمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن السكر فيقتل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم.

[٩] «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش»

في المارين والصوفي  
كلما رأى حسن صاحبه  
ظاهرة قابلها بالقلب  
وإذا قبولت النفس  
بالقلب ذهب الوحشة  
وانطفاأت الفتنة قال  
الله تعالى تعلوا لعباده  
- ادفع بالتي هي أحسن  
فاذا الذي بينك وبينه  
عداوة كأنه ولي  
حميم ولا ينزع الراء إلا  
من قوس زكية انتزع  
منها العل ووجود العل  
في النفوس مراد الباطن  
وإذا انتزع المرء من  
الباطن ذهب من  
الظاهر أيضاً وتكون  
العل في النفس مع من  
يشاكله ويمائله لوجود  
للفاسدة ومن استقصى  
في تذويب النفس بنار  
الزهادة في الدنيا ينمحي  
العل من باطنه ولا يبقى  
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السامى وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق » (١) . ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمنطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » (٢) . وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) . وقال الشبلى ما جمعت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة مارأيت قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بمقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالجوع أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يابن إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سعاب فإذا جاع البعد أطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب الساكين والدنو منهم . لا تشبعوا فتنفتوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح » (٤) . الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاءه الذى به ينهأ لأدراك لذة الثابتة والتأثر بالدكر فكمن ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالدكر وتلذذه بالناجاة وخلق المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتسكون إلى العبادة إذا التصق ظهري بيطنى . وقال الجنيد يحمل أحدهم بينه وبين صدره عجلة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة الناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عوى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة الناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشهر الذى هو مبدأ الظناني والفنلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذلل بشيء كما تذلل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخضع له وتقف على عجزها وذلتها إذ ضعفت منها وضاعت حيلها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جمعت صبرتي وتضرعت وإذا شبعت شكرت » (٥) . أو كما قال فالبلطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق لم أجده أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لسل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب الساكين والدنو منهم من حديث أبي هريرة في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند

في حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة للثقلين - ونزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبقى القلب في قلوب اتلفت بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتبعين على الكلمة الواحدة ومن التزم شروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلا ن : رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانسكار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .  
 الفائدة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشيعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الفساق والهمل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهيج الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد حجة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوסף عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزانة الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائمين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشيعان في غفلة عن ألم الجائع . الفائدة الخامسة : وهي من أكبر القوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاعماله الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجروح إلا بضعف الجوع فإذا شبت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لا تشهد بدنك . وقد أهدى فقال لأنه سريع المرح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبت قط إلا غصيت أو هممت بمصيبة . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة القوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزانة الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والتمية وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة يفتنكه لاعماله بأعراض الناس ولا يكب أناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزي كما أن الفرج يزي فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الحبر البحث سنة لا يخطأ به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . الفائدة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدن لا تأكلوا كثيرا فتكربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فالله محقق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل فإن هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بضاً ورجل مفتتن بشيء من حجة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق لها للصوفى مع هذا منافسة لأنه زهد فيها فيه رغب فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه عجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعله يظهور نفسه الأمارة بالسوء في المراء والمجادلة . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التمزب إذا نام على الشبع احتلم ويمتنع ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يتدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الفسل في كل حال فالنوم منبغ الآفات والشبع عجلة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للمواظبة على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر ترداده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قنلت ماحمك على هذا قال إني حسبت ما بين للضع إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة نقيصة لقيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة للسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة . ومن جملة الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة الناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتدل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلط في المعدة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج بنفس المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت . وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس <sup>(١)</sup> » فمعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد <sup>(٢)</sup> » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المهاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأعار أخاك ولا تعد موعدا فتخلفه » وفي الخبر « من ترك للرءاء وهو مبطل بن له بيت في ربيع الجنة ومن ترك للرءاء وهو محق بن له في وسطها ومن حسن خلقه بن له في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا



من أكل خبز الحنطة بحثا بأدب لم يستل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أشنع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الدالح ولأن يملأ من الدالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريبا ملازما له آخذاً بمنخفه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرمان فيحصى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والقماء والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأقضى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستغنى من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي قتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سمر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديعوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتغلى لبيادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإعما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فقلبه لاهماله . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على يتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر فإياك الله كان خزائنه الكثيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال التمام الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأمنوا براذنين وأهزلوا دينهم وأتبعوا أنفسهم بالنسوة والرواح إلى باب السلاطن يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عتبة بن رافع وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن السهروردي محمد بن أبي عبد الله السالبي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد الحوي قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى ابن حمزة قال حدثنا النعمان ابن مكيحول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم ليهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبسني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يشكى على  
شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكفة ونزلت به البطنة قال  
يا غلام اتقني بشئ أهضم به طعامي بالكع أطعامك تهضم إيمانك تهضم أين الفقير أين الأرملة  
أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل  
الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل معين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير  
هذا لكان خيرا لك (١) أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت  
أقواما كان الرجل منهم يسعى وعنده من الطعام ما يكفي ولوشاء لأكله فيقول والله لأجعل هذا  
كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها  
ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزنة عظيمة لقوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح  
الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها  
وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا  
وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة للمقربين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

( بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن )

اعلم أن على المرید في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العبادة مع  
أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تنجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال  
والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته  
في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل  
الطعام فببيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يمتحمله  
مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا  
من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل  
يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا  
فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة  
فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أصاها أن يرد نفسه  
إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ  
قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف البعد على اثنين منها وهي الحياة  
والعقل أكل وأفطر إن كان صائما ونكف الطلبي إن كان قفيرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة  
قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل  
من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسهل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل  
سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ ب درهم دبا وب درهم دقيق الأرز . وب درهم صننا وأخط الجميع وأسوأ  
منه ثلثائة وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقبله فالساعة كيف تأكل قاله بغير حد  
ولا توقيت . ويعك عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية  
أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الأربعة منه منا

جعل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم للمارة  
مع السفهاء سببا  
لدخول النار وذلك  
بظهور نفوسهم في طلب  
القهو والغلبة والقهر  
والغلبة من صفات  
الشيطنة في آدمي .

قال بعضهم : المجادل  
للماري يضع في نفسه  
عنه الخوض في  
الجدال أن لا يقنع  
بشئ ومن لا يقنع إلا  
أن لا يقنع لها إلى  
قناعته سبيل فنفس  
الصوفي تبدلت صفاتها  
وذهب عنه صفة  
الشيطنة والسبعية  
وتبدل باللين والرفق  
والسهولة والطمأنينة  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال «والذي نفسي  
بيده لا يسلم عبد

(١) حديث نظر إلى رجل معين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان  
خيرا لك أحمد و ك في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد .

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقبات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على المد إلى الن و يشبه أن يكون ما وراء الن إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أعنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسّن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا يتدبر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أى خبز كان فلهما طلبت نفسه خبزاً بينه أو طلبت أداماً فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصبق فلا يقع الدباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه التقدير الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من خنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الخنطة أربعة أمداً فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأنى سمعته يقول « أقربكم منى مجلساً يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم <sup>(١)</sup> » وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيّرتم نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدامن تمرين اثنين في كل يوم <sup>(٢)</sup> والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل الضيفة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلعاً بلعاً وسطاً سطراً لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عيطا لكان قوت المؤمن منها حالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخير فيه أيضاً أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التمداد حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء بكثير عددهم منهم محمد بن عمرو والقرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصمى والمسلم ابن سعيد وزهير وسلمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى سنة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم منى مجلساً يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدامن تمرين اثنين في كل يوم ك وصحح إسناده من حديث طلحة البصري .

حقى يسم قلبه ولسانه  
ولا يؤمن حق يأمن  
جاره بوائقه « انظر  
صكيف جعل النبي  
صلى الله عليه وسلم من  
شرط الاسلام سلامة  
القلب واللسان وروى  
عنه عليه السلام أنه  
مر بقوم وهم يعدون  
حجراً قال ما هذا قالوا  
هذا حجر الأشداء  
قال ألا أخبركم بأشد  
من هذا رجل كان  
بينه وبين أخيه غضب  
فأتاه قلب شيطانه  
وشيطان أخيه فكلمه  
وروى أنه جاء غلام  
لأبي ذر وقد كسر  
رجل شاة فقال أبو ذر  
من كسر رجل هذه  
الشاة فقال أنا قال ولم  
فعلت ذلك قال عمدا  
فعلت قال ولم قال  
أغيطك تضربني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعملون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أى كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر برأهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الفروع فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الرأهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا للنبي أو صديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ! قال نعم فجنس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتمجّب الرأهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلبسها لا مكاشف محمول شغل عشايدة ما قطعه عن طبعه وعاداته واستوفى نفسه في لدته وأنساء جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهى أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة وإياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو الحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجّد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تنازعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماء وما واصل وما لكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يثلث قلب الصائم بعد القرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجّد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجّد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجّد والثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبي سعيد الخدرى كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد لم أجده أصلا  
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماء رواه عن مختصرا كان صلى الله عليه وسلم حتى تزلع قدماء وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فعله وإنما هو من قوله فأبيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه عن حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

تأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حذك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه عن الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهي الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره اللوت ولفاء الله تعالى وتسير الدنيا جنة في حقه ويكون اللوت سجناء وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجناء عليه ومضيقاته فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون اللوت إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول باعادته فذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات وعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة <sup>(١)</sup> » وهذا ليس بنحرهم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يضر ومن دأب عليه أيضا فلا يضره يتناوله ولكن تربي نفسه بالتعيم فتأنس بالدنيا وتآلف اللذات وتسمى في طائها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين غدوا بالتعيم ونبتت عليه أجسامهم <sup>(٢)</sup> » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشققون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة وتعمير النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاء فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتاء فلان العابد فم هذا تنبيه على أن تبيد أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسبل وقال اعزلوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى بمكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فضوت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفنها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتبهت بمكة كذا وكذا فلم نجد لها فلبا وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نطفيه بمنها فقال لفها وادفنها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها واتي بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمي الدين غدوا بالتعيم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسل قال الدارقطني في العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى بمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

وثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات غشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم برآئ أمير على نفسه بصرفها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب .  
تسل أنهم كانوا يتوسأون عن إيداء السلم يقول بعضهم لأن أنوساً من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أنوساً من طعام طيب . وقال عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار<sup>(١)</sup> أشار إلى أن القصور ددت ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون  
التنعم ببلدات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر  
لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثيرد لحم  
فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريه وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام  
بعد طعام والذي نفس حمريه لئن خالفتكم عن ستمم ليخالفن بكم عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير  
قال ما غلت لمر دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويحفظه في  
الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حق تنبأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز  
فينرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخرته لك وبردت  
لك الماء فيقول لها يأم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم  
ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس بناحية من الطريق  
فمدت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعادته مرة واثنين وثلاثا  
فقال يا شقيق استر على قفلى يا أخى قل ماشئت فقال لي اشئت تسمى منذ ثلاثين سنة سكباجا فتمتها  
جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذا أنا بقى شاب بيده قنح أخضر يملو  
منه بخار ورائحة سكباجا قال فاجتمعت بهمى عنه قربه وقال يا إبراهيم كل قفلى ما أكل قد تركته  
فله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب إلا أتى بكيت فقال لي كل رحمك الله قفلى  
قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيتني قفلى يا أخضر اذهب  
بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منها . اعلم  
يا إبراهيم أتى سمعت اللانكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قفلى إن كان كذلك فما أنا  
بين يديك لأجل المقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بقى آخر ناوله شيئا وقال يا أخضر لقمه أنت فلم  
يزل يلقمى حتى نمت فانتبهت وحلاوته في فمى ، قال شقيق قفلى أرنى كفك فأخذت بكفه قبلتها  
وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا اللع يا من يتدح في الضمير اليقين يا من يشقى قلوبهم من  
عجته آرى لشقيق عندك حالا ثم رفست يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر  
صاحبه وبالوجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق  
ذلك قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشهى لبنا  
فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فإذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري :  
اشهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يسكن وقال  
عجلت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشقوتى قد عزمت على التوبة فأقلى قال أحمد فأرايته أكل للطح  
حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي تسمى  
لوأطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة  
خمسین سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة  
ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ  
خمسین سنة اشتيت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق باقه تعالى وقال حماد بن أبي  
حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعت يقول تسمى اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من  
فرجك وحدث من  
فيك فلا يحل حبة  
الموقار والحلم إلا الغضب  
ويخرج عن حد العدل  
إلى العدوان يتجاوز  
الحد في الغضب يشوردم  
القلب فان كان الغضب  
على من فوقه مما يجز  
عن إثم الغضب فيه  
ذهب الدم من ظاهر  
الجلد واجتمع في القلب  
وبصر منه الهم والحزن  
والانكد ولا ينطوى  
السوق على مثل هذا  
لأنه يرى الحوادث  
والإعراض من الله  
تعالى فلا يتكد ولا يتم  
والصوفى صاحب الرضا  
صاحب الروح والراحة  
والنبي عليه السلام  
أخبر أن الهم والحزن  
في الشك والسخط .  
مثل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور  
الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بأسناد ضيف .

اشتهت تمرًا فآليت أن لاتأكله أبدا فسلمت ودخلت فإذا هو وحده وممرًا أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشترها فقال لانه اشتراها من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لامة - اربعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشج أنه قال قسى تشهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال تسمى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت منى إلا الله حتى تروى في أرويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من تسمى أن أدافها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشوينا وتركناها على رغيف فلقيت صبيًا قتلنا ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولته إياها قالوا وأقبل يكي ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشهى تمرًا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرًا بغيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبغت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا فزعج الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراأتى عليك وشرأتى التمر بالغيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائي بنصف فاس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا تفرا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يكي فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أكل التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيذ أن أشتري له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعتها في فمه ثم ألقاها وجعل يكي ثم قال أحمله قتلته في ذلك فقال هتب في هانف أما تستحي تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح للرئى قلت لعطاء السلمي إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى فقال أفضل ما تريد قال فبعت إليه مع ابنى شربة من سويق قد لثته بسمن وعسل ققلت لاتبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسؤوك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت وثلث في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة في ديس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا يقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرض ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذى يعمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للاء من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - (١)

عباس رضى الله عنهما  
عن التم والغضب قال  
مخرجهما واحدا والفظ  
يختلف فمن نازع من  
يقوى عليه أظهره  
غضبا ومن نازع من  
لا يقوى عليه كتمه  
حزنا والحرد غضب  
أيضا ولكن يستعمل  
إذا قصد الغضب عليه  
وإن كان الغضب على  
من يشاكله وبعائه  
من يردد في الانتقام  
منه يتردد القلب بين  
الانقباض والانبساط  
فيتولد منه الغل والحقد  
ولا يأتى مثل هذا إلى  
قلب الصوفى قال الله  
تعالى - ونزعنا ما فى  
صدورهم من غل -  
وسلامة قلب الصوفى  
وحاله يذف زبد الغل  
والحقد كما يذف البحر  
الزبد لما فيه من تلاطم

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل

وقال بعضهم أنبت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أي شيء؟ هو فقال أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأي شيء تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات فقال تسألني فإذا وصف لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكرنجينا وتمص سرفجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكنجين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال المهدبا بالخل ثم قال أنصرف شيئا أقل من السرفجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامي قال خصرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء اللحم بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الحبز وماوراء الحبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا يهلك في الشهوات فكفي بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم . قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما قسا قلبه ، وقيل إن المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وثابت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيمتد القتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيووا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان مفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما أشرى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الحبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . فظهر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له أبدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحبز بجمده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بجمده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطالب بعض أنواع الحبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمه الله عليهما ماتا ثبينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحبز فرأى ذلك الحبز طاكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات والمباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نفس خبز أرز ومكأ ففنتها فتويت مطالبها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز ومكأ وقال كل اليوم شهوتك ههنا خير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا ههنا

أرواح الأنس والهية وإن كان الغضب على من دونه من يقدز على الاتزام منه نار دم القلب والقلب إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تجمر الوجتان لأن الدم في القلب نار وطلب الاستملاء وانتفخت منه المروق فظهر حكمه وأثره على الحد فيتمدى الحدود حينئذ بالضرب والشم ولا يكون هذا في الصوفي إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .



عسا أسلفتم في الأيام الخالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أتفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقتنا الله لما يرضيه .

( بيان اختلاف حكم الجوع وفضايته واختلاف أحوال الناس فيه )

اعلم أن الطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوصى إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النع منه على وجه يومي عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة ما يفضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع يبنئ أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتنافسان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه<sup>(١)</sup> فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل العدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل العدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يثقل للمأكل فيه أثر ليسكون متشبهًا بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالجوع إلى الوسط مثال غلة أقيت في وسط حلقة محمية على الدار ومطر وحة على الأرض فان الغلة تهزب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها واضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالغلة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يقتشه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها »<sup>(٢)</sup> وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بالجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحًا منشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا يفهمها بل لا بد من المبالغة في إيلاها بالجوع كما يبالغ في إيلاها الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلاها ولأجل هذا السر بأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمتنعه الفواكه والشهوات وقد لا يتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجراح والامتناع عن العبادة كان الأصح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه والمقصود أن تتكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث النهي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها

البرقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل  
وبتهم النفس بعدم  
الرضا بالقضاء ، قيل  
لبعضهم : من أقهر  
الناس لنفسه قال  
أرضاهم بالمقدور  
وقال بعضهم أصبحت  
ومالي سرور إلا مواقع  
القضاء وإذا اتهم  
الصوفي النفس عند  
الغضب تداركه العلم  
وإذا لاح علم العلم  
قوى القلب وسكنت  
النفس وعاد دم القلب  
إلى موضعه ومقره  
واعتدل الحال وغاضت  
حرارة الخلد وبانت  
فضيلة العلم قال عليه  
السلام « السم  
الحسن والتؤدة  
والاقتصاد جزء من  
أربعة وعشرين جزءا  
من النبوة » . وروى  
حارثة بن قدامة قال

يبتنع من ملازمة الجوع من سألني طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستثنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس قلما تتأدب تتأدبا كاملا وكثيرا ماتت فتنظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالثة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم <sup>(١)</sup> وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شيء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم <sup>(٢)</sup> وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل <sup>(٣)</sup> » وخرج <sup>(٤)</sup> يوما وقال « إني صائم » فقال له عائشة رضي الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه <sup>(٥)</sup> » ولذلك حكى عن سهل أنه قبله كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قليل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلا حد ولا توقيت أي آكل كثيرا بل آتي لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل قليل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخي بشرا قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواليا قليل يأبأ إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يأبأ إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل قيراه متناقضا فيتخير أو يقطع بأن أحدهما مخطيء والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة المارقين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المعتمين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم دت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتي (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند م قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ للبيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لملأ أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام « إن الغضب حجرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجالس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح المروزي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فأقصدى بهم وأرفع التقدير في مأ كولي فأنا أبحاضيف في دارمولاي فبالى  
وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه  
واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل  
الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنوبة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله  
واتقائه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله  
إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يعلم الحزم من  
عمر رضى الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه  
عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مزوجة بعسل جعل يدبر الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب  
حلاوتها وتبقى نبعثا اعزلوا عن حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مریده  
بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقتصر لاحتالة عما يدعو إليه فينبغي  
أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة  
فإن الشيطان يحمد متعلقاً من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة  
والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها  
كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة  
وإصلاح القبر لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاتهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم  
للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن  
لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحماً  
مأدوماً بسمن فعلاه بالذرة وقال لأم لك كل يوماً خبزاً ولحماً ويوماً خبزاً وصمناً  
ويوماً خبزاً وزيتاً ويوماً خبزاً وملحاً ويوماً خبزاً فقاراً وهذا هو الاعتدال فأما اللواظبة على اللحم  
والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

( بيان آفة الرياء للتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقل الطعام )

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن  
لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتقتربها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهىها فيخفى  
الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحقيقى . سئل بعض العلماء عن  
بعض الزهاد فسكت عنه فقبله هل تعلم به بأساً قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة  
عظيمة بل حتى الصبد إذا ابتلى بالشهوات وحياً أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن  
فوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار صفة من الكمال هو تصانن متضاعفان والكذب  
مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتبين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر  
الناقين فقال تعالى - إن الناقين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر  
ومترف كان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخلقين  
فما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والنفى والاختفاء بل  
كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمزله من قلوب الخلق وكان  
بعضهم يشترى الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل  
الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه .

عنهما أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال  
لا شئ عيبه الفيس  
« إن فيك خصلتين  
يحبهما الله تعالى الحلم  
والأناة » ومن أخلاق  
الصوفية التودد  
والتألف والمواظبة مع  
الاخوان وترك الخالفة  
قال الله تعالى في وصف  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
- أشداء على الكفار  
رحماء بينهم - وقال الله  
تعالى - لو أنشئت مائة  
الأرض جميعاً ما ألقت  
بين قلوبهم ولكن الله  
ألف بينهم - والتودد  
والتألف من اختلاف  
الأرواح على ما ورد  
في الخبر الذى أوردناه  
فما نعارف منها اتلف  
قال الله تعالى -  
فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فتهابة الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس بتقليد وجبرها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميها فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالقلل جهرا وبالفقر سرا لمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته وتقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يفتره قوله الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره أصلا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد وبروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك تعل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام قليلا كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تمط نفسك منها فتكون قد استقطعت عن نفسك الشهوة وتكون قد نعتت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطمعتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفرغ إلى حية لأن شهوة الرياء أضرك كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

## (القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لقائدين : إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار وألامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معاناة الغلبة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله <sup>(١)</sup> » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وجصري وقلبي وهني ومني <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام « النساء حبال الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال <sup>(٣)</sup> » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حيالك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لم تر تلك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمن إذا اتقى مثل البدين تغل أحدهما الأخرى وما اتقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إنني أحببك في الله فقال أبشر ثم أبشر فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الله ذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إنني أعوذ بك من شر سمعي وجصري وقلبي وديني تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حبال الشيطان الأصفيان في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا منه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبت نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر  
ثلاثاً لا تغل بامرأة لا تغل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أقتنه بها  
وأقتنها به ولا تقاهد الله عهداً إلا أوفيت به ولا تخرج صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها  
إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بهائم ولي وهو يقول يا ويلناه علم موسى ما يحذر  
به بني آدم . وعن سعيد بن السيب قال ما بعث الله نبياً فيها خلا إلا لم يأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا  
شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يتيق ويتابني أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال  
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع  
سرى وأنت رسولي في حاجتي فصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء  
وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يهجر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى  
الاستمتاع بالنساء والمجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يهجر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش  
وقد يتهدى إنراطها بطائفة إلى أمرين شذيين : أحدهما أن يتناول ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من  
الوقوع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة لتعظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كمن ابتلى  
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتمل لإثارتها وتهيجها ثم يشتغل بإصلاحها  
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقوع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب  
الخلاص . فان قلت فقد روى في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى  
جبرائيل ضعف الوقوع فأمرني بأكل الهريسة <sup>(١)</sup>» فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحتة تسع نسوة  
ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره تكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا الامتناع .  
والأمر الثاني أنه قد تنتهى هذه الشهوة يهض الضلال إلى العشق وهو غاية الجبل بمباضع له الوقوع وهو  
مجاوزه في البيمية لحد البهائم لأن العشق ليس يقنع براقعة شهوة الوقوع وهي أقبح الشهوات وأجدرها  
أن يستجبا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى إلا من محل واحد والبيمة تقضى الشهوة أين اتفق  
فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى  
يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما  
العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك  
معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه فيكذلك عشق السال والجاه والمقار والأولاد حتى  
حب اللعب بالطيور والزرد والشطرنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم  
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف  
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يمالجها بعد  
استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنوبها ويجرها إلى ورانها وما أعظم  
التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج  
إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يضل العقل إلى هذا الحد وهو  
مذموم جداً وتفریطها بالنعاة أو بالضعف عن امتناع التكرحة وهو أيضاً مذموم وإنما الحمد ودأن تكون  
معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في اقتضاها وانسائها ومنها أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقوع فأمرني بأكل الهريسة العقيل في الضمفاء طس من  
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وهم لا يفرعون ويخاف  
الناس وهم لا يخافون  
وهم أولياء الله الذين  
لا خوف عليهم ولا هم  
يخزنون قيل من هؤلاء  
يا رسول الله . قال  
التحابون في الله . وقيل  
لوتحاب الناس وتعاطوا  
أسباب المحبة لاستغفروا  
بها عن العدالة . وقيل  
العدالة حليفة المحبة  
تستعمل حيث لا توجد  
المحبة وقيل طاعة المحبة  
أفضل من طاعة الرهبة  
فان طاعة المحبة من  
داخل وطاعة الرهبة  
من خارج ولهذا المعنى  
كانت محبة الصوفية  
مؤثرة من البعض في  
البعض لأنهم لما تعابوا  
في الله تواصوا بمحاسن  
الأخلاق ووقع القبول  
بينهم لوجود المحبة  
فاتسع لذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالبائة فمن لم يستطع فليبه بالصوم فالصوم له وجاء <sup>(١)</sup> » .  
( بيان ماطى الريد في ترك الزوج وفه )

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالزوج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يخرجه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى <sup>(٢)</sup> فلا تقاس لللائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الهاراني من زوج قد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتني الله بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يحنى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فبهدهم فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلبني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قلبه عنه <sup>(٣)</sup> فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقا يبدنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال <sup>(٤)</sup> حتى يعود إلى ما هو قرة عينه <sup>(٥)</sup> فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تنصر عن الوقوف على أسرار أنفاله صلى الله عليه وسلم فشرط الريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المراقبة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالتكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره . ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدى على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبير إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتحنى . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسى القديعة وسهمى الذى لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء <sup>(٨)</sup> » وقال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فاعلم ان

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمرا لله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا والذى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن عيسى الزياى قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكهم التكاك فليزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلبني يا عائشة لم أجده أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظره سهم مسوم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبى سعيد الخدرى .

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها الشئ والقم زنى وزناه القبله والقلب بهم أو يمتنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب<sup>(١)</sup> وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه؟<sup>(٢)</sup> وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في الآثم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما جواز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بهما صورة الأمر بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللتحي لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجليل والقبیح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فأقول لست أعنى تفرقة العين قط بل ينبنى أن يكون إدراكه التفرقة كما إدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداها بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتبه ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشبهة الحسنة قد تميل العين إليها وتذكر التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجليل وبين النبات الحسن والأثواب النقشة والسقوف الذهبية فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويحرم ذلك إلى العاطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواط . وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصافون وصنف يملون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما عجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح قرب نفس لا يمكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثر الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أعجب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدرى يغطيني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فأنقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج للريد إلى النكاح فلا ينبنى أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتداءه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فضلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن يكبح قهيرة متدبنة ولا يطلب

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعريان تزيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الكرماني قال حدثنا يحيى الكرماني قال حدثنا حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن ابن ساعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألا إن مثل المؤمنيين في توادهم وتحابهم وتراحهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرهُ بالسهر والحمى» والتسآلف والتودد يؤكدان أسباب الصلحة والصلحة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل لقاء الإخوان لقاح ولا شك أن البواطن تلقح ويطهروى البعض البعض بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسيوف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ماذا ذهبت إلى الحلاء قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبلها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقبله في ذلك فقال تصدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقبله قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقبله لم لا تطلقها فقال أختي أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فإن تزوج الريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا عليهم على راحة العذوبة رحما الله تعالى فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى آتئها مائة ألف دنانير أصبر لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث لهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فبني زادك وقسم لمادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أو صيائك فيقتسموا روائك فسم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلأن الله تعالى خولي أمثال الذي خولك وأضعافه ما سئرتني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليتنظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغش البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل سادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن المسيب ما أبس إليس من أحد إلا وأناة من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشو بالأخرى ماشي أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما أتيت قال أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهادنا قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت ونفعل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقامت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفسر من أخذ ومن أستدين فضليت القرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزينا وإذا باني يقرع قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بداله فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأتيتك فقال لأنت أحق أن تؤتي قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فزوجت فكبرهت أن أيتك الليلة وحدك وهذه اسراتك وإذا هي قائمة خلفه في طولها ثم أخذ بيدها

صلاحا والظرف في الصور  
بؤثر أخلاقا مناسبة  
لخلق المنظور إليه  
كدوام النظر إلى  
المحزون يحزن ودوام  
النظر إلى السرور  
يسر . وقد قيل من  
لا ينفك لحظه لا ينفك  
لفظه والجلل السرود  
يصير ذلولا بمقارنة الجلل  
القلول فالمقارنة لها تأثير  
في الحيوان والنبات  
والجماد والماء والهواء  
يغسدان بمقارنة الجيف  
والزروع تنقي عن أنواع  
العروق في الأرض  
والنبات لموضع الافساد  
بالمقارنة وإذا كانت  
المقارنة مؤثرة في هذه  
الأشياء ففي النفوس  
الشريفة البشرية  
أكثر تأثيرا وسمى  
الانسان إنسانا لأنه  
يأس بما يراه من خير



فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت ويحك زوجي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أو سعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصاحبها إلى ثلاثة أيام قال فأثقت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشفت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيت به وهو في حلقة فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدوئك والمصا فانصرفت إلى منزلي فوجهه إلى بشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

( بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين )

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحي منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لجزأ والحوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من المصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الالتم فان من ترك الزنا اندفع عنه إجمه بأى سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق نكف فكتم لمات فهو شهيد <sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدة منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين <sup>(٢)</sup> » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همدت وأنت سليمان الذي لم تنهم إني أقول له أنت يوسف قال نعم . ولقد همدت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجيب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليتاع شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به أعراية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والتقاوان فأسفرت عن وجهها كأنه فائمة ثم وقالت

(١) حديث من عشق نكف فكتم لمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي درس ورمح غزوت سويداً ورواه الحرائطي من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشروا ألف والتودد  
مستجلب للمزيد وإنما  
العزلة والوحدة أحمد  
بالنسبة إلى أرذل  
الناس وأهل الشر  
فأما أهل العلم والصفاء  
والوفاء والأخلاق  
الحيدة فينتهم مقارنتهم  
والاستئناس بهم  
استئناس بالله تعالى  
كما أن محبتهم حجة الله  
والجامع معهم رابطة  
الحق ومع غيرهم رابطة  
الطبع فالصوفى مع غير  
الجنس كائن بأن ومع  
الجنس كائن مغايرين  
وللؤمن مرآة المؤمن  
إذا نظر إلى أخيه  
يستشف من وراء أقواله  
وأعماله وأحواله  
تجليات إلهية وتمريخات  
وتلويحات من الله  
الكريم خفية ثابتة  
عن الأغيار وأمدكها

أهتني فظن أنها تريد طاماً فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحجب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجمة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأن أختي أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتجى بثوبه فأخذته عنقه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورأحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعذرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبليهما أهلاً ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى تأما فلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبليهما أهلاً ولا مالا فلبت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الخاتم إلا بحقه فتمرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطينيهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتجزأني فقلت لا أستجزئ بك غنمة فاستأقاه وأخذته كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عيشون <sup>(١)</sup> فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة ففزع وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا لحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤخذ بها والمعاودة يؤخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى وعليك الثانية <sup>(٢)</sup> » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلب يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فلهما تغايل إليه الحسن ماضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاسمحس ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في صحبتته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » وقال « ما نفقني مال كمال أبي بكر » فالخاق حجوا عن الله بالخاق في النع والعطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فذكرا الحديث بطوله رواه البخاري (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث بريدة قاله لملي قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استقبح لم ياتد وتأنم لأنه قصد الانداز فقد فعل ما آله فلا يحلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التحكك بذلك يستدعي غاية القوة ونهاية الزوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حبا لك منك لي ولكن أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لأخافه فرجع تابياً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعالى حق ندعو الله بأن نظننا سحابة حق ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى انتهى إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة ثم بعثت لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت على الطريق وهو يريد السجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت ففعل ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له والله ما وقفت موقف في هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف المباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنهم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يسيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحي كلها مشغولة بك فإله الله في أمري وأمرك قال ففضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أيها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ماذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجنو الأم لصولة الجبار العظيم وإنى والله قد ضعف عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري وإن كان ماذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم والمرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فأقصد به بصدق السألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالم للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - فأين للهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى ثم بكيت بكاء شديداً وقالت أسأل الله الذي بيده معاصي قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبعته وقالت آمين على بموعظة أحملها عنك وأوصى برصيه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنار - قال فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أفافت ولزمت بيها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يفتى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجوداً في النعم والنعاء بعد أن يرى السبب أولاً ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الآرامه والتسدين فيكون شكره لاحقاً لأنه للنعم والمعطى والسبب

ذلك حق ماتت كمدا فكان اللقي بذكرها بعد موتها ثم يكي فيقال له م بكائك وأنت قد أبأسنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

### ( كتاب آفات اللسان )

( وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألهمه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلنه البيان قدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمد بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه عترة الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأضح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم به وجهه ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مغنون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويترخص له بانبات أونفي فإن كل ما يتناول العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رجب لليدان ليس له مرد ولا لهالة منتهى وحده له في الحيز مجال رجب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخص الغنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكتب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيد بجمام الترع فلا يطلقه إلا قيا ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يهشئ فآلته في حاجه وآجله وعلم ما يهشئ فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحيالته وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونهين بتوفيق الله وحسن تديره تفصل بجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونزده بدكر آفة الكلام فيما لا يبيى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفرع في الكلام بالتشديد وتكلف الجمع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التفاهمين المدعين للخطابة ثم آفة النقص والسب وبداءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يهرم من الفناء

( كتاب آفات اللسان )

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحادون الذين يمدحون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجس أو قبال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يعم عليه بنعمة الحمد لله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها محتمل أن يرخص الخلق بها شكرا ومحتمل أن الحمد أفضل منها لعمه

وما يحل فلا يفيد ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد بالكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النجاسة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين فيكم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في لغوى الكلام لاسيما فيما يتناقى بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أمي قديعة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجعلها عشر من آفة ونسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

### ( بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت )

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصريح الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجأ »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله »<sup>(٢)</sup> أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتني فأوماً يده إلى لسانه »<sup>(٣)</sup> وقال عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »<sup>(٤)</sup> وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شقيقه وذبحه وقلقه فقد وفى الشر كله »<sup>(٦)</sup> القيقب هو البطن والذبذبة الفرج والقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج »<sup>(٧)</sup> فيجتمعا أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يا رسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »<sup>(٨)</sup> وقال عبد الله الثقفي قلت « يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا »<sup>(٩)</sup> وروى أن معاذاً قال « يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

تكون نعمة الحد  
أفضل من النعمة التي  
حد عليها فإذا شكروا  
النعم الأول يشكرون  
الواسطة للنعم من  
الناس ويدعون له .  
روى أنس رضي الله  
عنه قال كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
إذا أفطر عند قوم  
قال « أفطر عندكم  
الصائمون وأكل طعامكم  
الأبرار ونزلت عليكم  
البركة » . أخبرنا  
أبو زرعة عن أبيه  
قال أنا أحمد بن محمد  
ابن أحمد البزار قال أنا  
أبو حفص عمر بن  
إبراهيم قال حدثنا  
عبد الله بن محمد  
البغوي قال أنا عمرو  
ابن زرارة قال ثنا عيسى  
ابن يونس عن موسى  
ابن عبيدة عن محمد بن

(١) حديث من صمت نجأت من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثقفي أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك الحديث صحيح وهو . وهو عند دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امكك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة رواه بخ (٦) حديث من وفى شقيقه وذبحه وقلقه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ قد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث صحيح وهو من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم صحيح وهو ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثقفي قال يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه<sup>(١)</sup> وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ «من سره أن يسلم فليزِم الصمت»<sup>(٣)</sup> وعن سعيد بن جبيرة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقممت استقمنا وإن اعوججت اعوجبنا»<sup>(٤)</sup> وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ماتمنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني الوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»<sup>(٥)</sup> وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تتدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء نقوله أو شيء سمعت؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»<sup>(٦)</sup> وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه صتر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قيل الله عذره»<sup>(٧)</sup> وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني» قال : اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللوث وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه<sup>(٨)</sup> وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق»<sup>(٩)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشاء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للأخوان والمسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والعاون في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومعالجتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحاصل عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

ومعوضاً والصواب مفيان بن عبد الله الثقفي كإرواء ت وصححه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحرائط في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزِم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رحمه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبيرة مرفوعاً وإمما هو عن سعيد بن جبيرة عن أبي سعيد رحمه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر أطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ماتمنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني الوارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وهم على الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه صتر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت (١) » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدًا تكلم فتم أو سكت فسلم (٢) » وقيل ليسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بغيره ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطمع الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن الشكر فإن لم تنطق فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقل الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يغرض في الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان النافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثرت سقطته ومن كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » . الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لسانى صبح إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يضيئه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

- (١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .
- (٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدًا تكلم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطمع الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في العجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد تقدم .
- (٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثرت سقطته الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن سمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبهقي في الشعب موقفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوج الناس . وقال عطاء لأن برأى الرجل سنين فيكتبسبهاها يعيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتن به خلق من الجهال الدعين ولا يصلح هذا إلا لبعيد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والسال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلى أثون بوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لمالك بن دينار يا أبا يعي حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأخنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تسكلم فقال له أخفى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقبصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقول، وقال الآخر إنى إذا تسكلمت بكلمة ملكك ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها لم ملكها ولم تعلمك، وقال الثالث عجبت لتسكلم إن رجعت عليه كله ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقول أقدر منى على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن العز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ماتكلم الريح بن خيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقرأ قبل ما يتكلم به كتيبه ثم يحاسب نفسه عند النساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والفيهة والفيجة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والحوض في الباطل والحسومة والفضول والتعريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تشغل عليه ولها حلالة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائف فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب وبكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الحوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، وهذا مافيه من جمع الملم ودوام الوقار والفراخ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وبذلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تبنى بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يخرج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والفيهة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يغنى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئله كره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجما » (١) فلو تأدق والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ما نعت أحادكاته من بحار المانى إلا خواص العلماء وفيما سئله من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها وترقى إلى الأغلف قليلا ونؤخر الكلام فى الفيهة والفيجة والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بهون الله تعالى.

( الآفة الأولى : الكلام فيما لا يبينك )

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الفيهة والفيجة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجما تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم م من حديث أبى هريرة وقد تقدم.

( الآفة الأولى الكلام فيما لا يبينك )

الصادقين يفسلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى برأيه منهم فيدخلون فى الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة ويند الجاه يدخلون فى ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رفقوا إلى مقام البقاء فيحكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم إرتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد فى خفى الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته



وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفسك ربما كان ينفع لك من نعمات رحمة الله عند الفسك ما يعظم جدواه ولو هلك الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا ينفعه فانه وإن لم يأتهم فقد خسر حيث فاتته الرجح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون محبة إلا فكريا ونظرة الإعبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينفعه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه » (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينفعه وينزع ما لا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أخبر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله ؟ قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا ينفعه أو منع ما لا ينفعه » (٤) ومعناه أنه إنما تنهأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا ينفعه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنهأ الجنة مع التناقض في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجوه به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينفعني » (٥) وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الوزن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم للوقوف لا تتكلم فيما لا ينفعك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينفعك حتى تجد له موضعا فانه رب يتكلم في أمر ينفعه

(١) حديث المؤمن لا يكون محبة إلا فكريا ونظرة الإعبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكريا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه وقال غريب و من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا ينفعه وينزع ما لا يضره من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا ينفعه أو منع ما لا ينفعه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا ينفعني ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نعيم اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من  
القطار إلا واحد  
متحقق بهذا الحال .  
قال أبو عثمان الحيري  
لا يكمل الرجل حتى  
يستوى قلبه في أربعة  
أشياء للنعم والعطاء  
والعز والذل ولثل هذا  
الرجل يصلح بذلك  
الجاه والدخول فيها  
ذكرناه . قال سهل  
ابن عبد الله لا يستحق  
الإنسان الرياسة حتى  
تجتمع فيه ثلاث  
خصال : يصرف جهه  
عن الناس ويحتمل  
جهل الناس ويترك  
ما في أيديهم ويذل  
ما في يده لهم وهذه  
الرياسة ليست عين  
الرياسة التي زهد فيها  
وتمن الزهد فيها  
لضرورة صدق  
وسلوكة وإنما هذه

قد وضعه في غير موضعه ففنت ولا تمار حليها ولا سفيها فان الحليم يهلك والسفيه يؤذيكم واذكر أخاك  
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه عما تحب أن يفيك منه وطامل أخاك بما تحب أن  
يملكك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقيمان الحكيم ما حكمتك  
قال لا أسألك عما كفيت ولا أنكلف ما لا يهينني . وقال موريق العجلي : أمرنا في طلبه منذ عشرين سنة  
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يهينني . وقال عمر رضي الله عنه  
لا تعرض لما لا يهينك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي  
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سره واستشر في أمرك الذين يغشون  
الله تعالى . وحد الكلام في لاينيك أن تتكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال .  
مثاله أن يجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع  
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت  
عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالفت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تركية نفس  
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتيال لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى  
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلها أن تسأل غيرك  
عما لا يهينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألبأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا  
كان الشيء مما لا ينطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن  
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرًا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل  
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبًا  
وإن سكنت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداغة الجواب انقصر إلى جهد وتعب فيه قد  
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر  
عباداته وكذلك سؤالك عن العاصي وعن كل ما يغيبه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك  
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرما بمنعه مانع من  
ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل  
عن مسألة لا حاجة بك إليها والمثول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجيب عن غير بصيرة  
ولست أعني بالتكلم فيما لا يهين هذه الأجناس فإن هذا ينطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يهين  
ما روى أن لقيمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم  
فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك ففنته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ  
قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للعرب فقال لقيمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من  
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال  
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يهين  
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه  
أو البساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا قائمة فيها . وعلاج ذلك  
كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أعفاه رأس ماله وأن لسانه خبيثة  
يقدر على أن يقتنص بها الجور المين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم  
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصع حصة فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يهين  
حتى يتاد اللسان ترك ما لا يهين ويضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

رياسة أقامها الحق  
لصلاح خلقه فهو فيها  
بالله يقوم بواجب حقها  
وشكر نعمتها لله  
تعالى .

[ الباب الحادي  
والثلاثون في ذكر  
الأدب ومكانه من  
التصوف ]

روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « أدبني ربِّي  
فأحسن تأديبي »  
فالأدب تهذيب الظاهر  
والباطن فإذا تهذب  
ظاهر العبد وباطنه  
صار صوفيا أديبا وإنما  
سميت للأدبة مأدبة  
لإجتماعها على أشياء  
ولا يتكامل الأدب في  
العبد إلا بتكامل مكارم  
الأخلاق ومكارم  
الأخلاق مجموعها من  
تحسين الخلق فالخلق

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يبنى والزيادة فيما يبنى على قدر الحاجة فإن من يبنى أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره وبهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قلبكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيًا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أنتكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن الجين وعن العمال قعيد ما يلفظ من قول إلأله رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثرها فيها ليس من أمر دينه ولادنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل اللهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله <sup>(١)</sup> » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستوي بينكم الشيطان <sup>(٢)</sup> إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخفى أن يستويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ماسكان كريمين يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريتيه وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هجيت من اللائكة على رموس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما يعملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله البخارى وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخارى لا أدري مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له حجة ورواه البراء من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن في اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ النصف

صورة الانسان  
والخلق معناه فقال  
بعضهم الخلق لاسبيل  
إلى تغييره كالخلق وقد  
ورد « فرغ ربكم من  
الخلق والخلق والرزق  
والأجل » وقد قال تعالى  
- لا تبديل لخلق الله -  
والأصح أن تبديل  
الأخلق يمكن مقدور  
عليه بخلاف الخلق  
وقد روى عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « حسنوا  
أخلاقكم » وذلك أن  
الله تعالى خلق الانسان  
وهيأه لقبول الصلاح  
والفساد وجعله أهلا  
للأدب ومكارم الأخلاق  
ووجود الأهلية فيه  
كوجود النار في الزناد  
ووجود النخل في النوى  
ثم إن الله تعالى بقدرته  
أهم الانسان ومكنه

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسنانى قال أما كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١)» وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستتر في الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليمتنى من كثير من الكلام خوف الباهة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكنا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسيبه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يبنى .

### ( الآفة الثالثة : الخوض في الباطل )

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتم الأغنياء ونهيب الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم الكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يبنى فهو ترك الأولى ولا تخبر فيه ثم من يكثر الكلام فيما لا يبنى لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يمدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنيها فذلك لا يخلص منها إلا بالاقتصار على ما يبنى من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لينكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل لينكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة (٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منفيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لينكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣)» وقال أبو هريرة : إن الرجل لينكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل لينكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفقه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل (٤)» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخائضين - وبقوله تعالى - فلا تفعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في محبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضحوا فإن بعض ما يقولون شر من الحديث فهذا هو الخوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلنا ورجاله ثقات .

### ( الآفة الثالثة : الخوض في الباطل )

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل لينكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن صحيح (٣) حديث إن الرجل لينكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وث إن الرجل لينكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلنا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالتربية إلى أن يسير النوى غخلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار وكما جعل في نفس الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والإفساد فقال سبحانه وتعالى - ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها - فتدبورها بصلاحياتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل - قد أفلق من زكاهما وقد خاب من دساها - فإذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة ونهذبت الأخلاق وسكونت الآداب فالأدب استخراج ما في القوة إلى العمل وهذا

وراء ماسياتي من الفية والنيمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها. ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون باطقة وكرمه .

### ( الآفة الرابعة المراء والجدال )

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته »<sup>(٢)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في رضى الجنة<sup>(٣)</sup> . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال »<sup>(٤)</sup> . وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلا أوتوا الجدل »<sup>(٥)</sup> . وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للمراء وإن كان محقا »<sup>(٦)</sup> . وقال أيضا « ست من كن في بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتجميل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على السكاره وترك المراء وهو صادق »<sup>(٧)</sup> . وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار يا كرم المراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يفسد القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمة توك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لوطخالت أخی فی رمانه فقال حلوة وقلت حامضة لسعي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليز منك بداهية تمتك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبی فلما أن أکذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثمًا أن لا تزال مماريا

### ( الآفة الرابعة المراء والمجادلة )

(١) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم  
(٢) حديث ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك واثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في الراسيل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة ومحمه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره الصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن الم . بدحق يترك الكذب في المزاخاة والمراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخبر الحديث .

يكون لمن ركب  
السجية الصالحة فيه  
والسجية فصل الحق  
لا قدرة للبشر على  
تكوينها كتكون  
النار في الزناد إذ هو  
فصل الله المحض  
واستخراجه بكسب  
الآدمي فهكذا الآداب  
منبها السجيا الصالحة  
والمسح الإلهية ولما هبأ  
الله تعالى بواطن  
الصوفية بتكميل  
السجيا فيها تواصلوا  
بحسن الممارسة والرياضة  
إلى استخراج ماله  
النفوس وهو مركوز  
بخلق الله تعالى إلى  
الفعل فصاروا مؤديين  
مهذبين والآداب تقع  
في حق بعض الأشخاص  
من غير زيادة ممارسة  
وربما القوة ما أودع  
الله تعالى في غرائزهم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان (١) » وقال عمر رضى الله عنه لا تعلم العلم ثلاث ولا تترك ثلاث لا تعلمه لتتارى به ولا لتباهى به ولا لتأتى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاهى الرجال سقطت مروءته ومن كثرهمه مقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقول لميخون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قتي قال لأنى لا أشاركه ولا أماريه وما ورد فى ذم للراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده الراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد التكميم وترك الراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام ممتعه فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاستكت عنه والطمأن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العريية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاطهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فقل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لاهى وجه العناد والسكرارة أو التلطف فى التعريف لاهى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إغغام الغير وتمجيذه وتقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو المظهر له خطا لئلا يفضله نفسه وتقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به ولو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصصه وهما شهيوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يعزق غيره ويقصمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما الراء والجدال فالواجب على الراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو حصية مهلكة فيه إيذاء الغير ولا تفك للماراة عن الإيذاء وتهيج الغضب وحمل المعارض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين التمارين كما يثور الهراش بين السكبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى فى الإغغام والإجامة وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كاسيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة باماطة سببها وسبب الراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجمله عادة وطبعه حتى يتمسك من النفس ويصبر الصبر عنه . روى أن أباحنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الأزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسككهم قال ففعلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصبر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يضل ذلك فى الذهاب والعقائد فإن للراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتماون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لفحص قوى أصولها فى العريضة فلهذا احتاج للريدون إلى محبة للشايع لتكون الصحبة والتمسك عونا على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهوههم وأدبهم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يغيل إليه أنها حيلة منه في التلبس وأن ذلك منعة بقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتأكده فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا فويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحسب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجادتها فكيف بمجموعها .

( الآفة الخامسة : الخصومة )

وهي أيضا دمومة وهي وراء الجدال وللراء فالمرء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تغيير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار للذهاب وتقريرها والخصومة لحاج في الكلام ليستوفي به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي بدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل لقلب من الخصومة قال قمت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فإذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تندم خصومته ، فاعلم أن هذا اللطم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة بعض العناد لتهرا الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عياده وكسر عرضه وإنى إن أخذت منه هذا المال ربحا ربيت به في بر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة والابجاج وهو مذموم جدا فأما الظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لحاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلنظر رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضيف جدا .

( الآفة الخامسة : الخصومة )

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وخ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمعي في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى صنفة الجمهور .

بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط عنها

وإيذاء فعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الحصومة على حد الاعتدال متعذر والحصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاجم الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالحصومة قد تعرض لهذه المهدورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب فالحصومة مبدأ كل شر وكذا للرأ والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة يفتنى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الحصومة وذلك متدرجا فمن اتصم على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا تدم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الحصومة فيها خصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، نعم أقل ما يفوته في الحصومة والرأ والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الواقعة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي لحاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) وقد قال تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فارد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لعرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدتها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل ياروح الله أنقول هذا الخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة» (٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا بكلمة طيبة» (٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يفسل الضغائن المستكنة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسيطر ربك إلا أنك ترضى به جليستك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه لعله يحوزك منه ثواب الحسين وهذا كله في فضل الكلام العليب وتضاده الحصومة والرأ والجدال والاجاج فإنه الكلام المستكره للوحتى للوذي للقلب للنفس للعيش للهميج للغضب للوغل للصدر نسال الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

( الآفة السادسة )

التعمر في الكلام بالتشديق وتكاف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيات والتقدمات وما جرت به عادة المتفامحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المحقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمقي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا التثارون التفتيقون للتشدقون في الكلام» (٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لعرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

( الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشديق )

(٥) حديث إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا التثارون التفتيقون للتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بمخاض الكعبة وربما كنت أستلقى وأمدت رجلى فجاءتني عائشة الكعبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لأجمله إلا بأدب وإلا فيعصى اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «أهلك التتعدون ثلاث مرات»<sup>(٢)</sup> والتتعد هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاء بالسنتها»<sup>(٣)</sup> وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب وللقدمة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل قال أسجعا كسجج الأعراب»<sup>(٤)</sup> وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للعرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرشارة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويؤجر عنه .

#### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

وهو مذموم ومنه عنه ومصدره الحبث والأؤم . قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش»<sup>(٥)</sup> ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للؤم بالطعان ولا للعان ولا للفاحش ولا البذي»<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بإفظ إن أبغضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتتعدون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاء بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثمرة بن شعبة وأبي هريرة وأصاهما عند خ أيضا .

#### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في السكبر في التفسير والحاكم ومحمه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في آب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤم بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومحمه وروى موقوفًا قال الدارقطني في الطل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبء  
مأمور بملازمة الأدب  
والنفس تجري بطباعها  
في ميدان المخالفة  
والعبء يردها بمحمده  
إلى حسن المطالبة  
فمن أعرض عن  
الجهد قد أطاق  
عنان النفس وغفل  
عن الرعاية ومهما  
أعانها فهو شريكها وقال  
الجنيذ من أعان نفسه  
على هواها قد أشرك  
في قتل نفسه لأن  
العبودية ملازمة الأدب  
والطغيان سوء الأدب  
أخبرنا الشيخ العالم  
صفيه الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المحروي قال أنا  
أبو النصر الترياقى قال  
أنا أبو محمد الجراحي قال  
أنا أبو العباس المحبوبي  
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والنبور : رجل يسيل فوه قبيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قدعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لماشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « البذاء والبيان شعبتان من شعب التفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أسمع العوام أولى من البالغة في يانه إذ قد يشور من غاية البيان فيه عكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من يانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة فقال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألا أخبركم بأدوا الله الله اللسان البذي والخلق الذنى ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للمستقبعة بالمبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتعاشون عنها بل يكونونها عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم يفخر ويكنو كنى باللسن عن الجماع فالسب واللعن والدخول والصحة كتابات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستحب ذكرها وبسعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها معظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالكنية بقضاء الحاجة عن البول والفاضل أولى من لفظ التغوط والحراء وغيرها فان هذا أيضا مما يغنى وكل ما يغنى يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه أغشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذى يشكوه وما يجرى من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في محبته فذكره أبو نعيم في الصعابة وذكره مع حب في التابئين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من التفاق وحسنه وك صححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولقطراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش المتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن التعفى والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا كنية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولله خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والدولة من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز ينحفظ في منطقته غفرج تحت إبطه خراج فأثبناه نسأله لئرى مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياذ بالحاصل من مخالطة الفساق وأهل الحبث واللؤم ومن عاداتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسين شيئا قال لما سببت شيئا بعده <sup>(١)</sup> » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال اللسان شيطانان يتعاونان ويتهارجان <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه <sup>(٤)</sup> » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخرا أباه » .

## ( الآفة الثامنة الامن )

إما لحوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلاعنوا جلثة الله ولا بغضه ولا بهجنم <sup>(٢)</sup> » وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار جلى ناقة لها فضجرت منها فلعننها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة <sup>(٣)</sup> » قال فكانني أنظر إلى تلك الناقة تمنى بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانه . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولعائنين كلا ورب السكبة مرتين أو ثلاثا <sup>(٤)</sup> » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال اللسان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث اللسان ما قالوا فلي البادئ حتى يعتدي الظلوم ، م من حديث أبي هريرة وقال لم يعتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو ( الآفة الثامنة الامن )

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن باللعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لا تلاعنوا بلعة الله الحديث ت د من حديث حمزة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار جلى ناقة لها فضجرت منها فلعننها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعائنين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأنني رأيت غير مستند فتحنى عن الوسادة قليلا فتوجهت أنه توقي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم أزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلعن بئره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون » (٢) وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من انصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ التسرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات التي تنضية لللعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعي والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والحوارج والروافض أو على الزناة والظلة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فإن قلت يلحق بكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتت له الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد البدع أولى فلحق الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه إذ روى « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فتركه الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يذهبهم فانهم ظالمون » (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلعن بئره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فتركه الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذ كوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن الحيان . ورعا الحديث

ظاهره وباطنا فأساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمرد فظفر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غيبا ولو بعد سنين قال فوجدت غيبا بعد عشرين سنة أن نسيت القرآن . وقال سري صليت وردى ليلة من الليالي ومددت رجلي في المهراب فوديت يا سري هكذا نجالت الملوكة فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لامددت رجلي أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا . قال عبد الله ابن المبارك من تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وراز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجوز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى تحافة فقال أبو بكر يكلفنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبى بكر فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فمضوا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء للأباء فكف الناس عن ذلك (١)» وشرب نيمان الخمر عدة مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفى رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله قتله عن ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة فى لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر فى السكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن القلعة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بنفسه أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفره إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر فيدعه أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - لفظ م (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث د فى الرسائل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنه سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم للشركين فسبوم جميعاً (٢) حديث شرب نيمان الخمر عدة مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفى رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً ومحمد هذا ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمداً وكناه عبد الملك والبخارى من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جله فى الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجله فقال رجل من القوم اللهم الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلنوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفى رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخارى من حديث أبى ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفره إياه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان  
السنن ومن تهاون  
بالسنن عوقب بحرمان  
القرائض ومن تهاون  
بالقراض عوقب  
بحرمان المعرفة . وسئل  
السرى عن مسألة  
فى الصبر فجعل يتكلم  
فيها فذهب على رجله  
عقرب فجعلت تضربه  
بأبرتها فقبل له ألا  
تدفعها عن نفسك  
قال أستمحى من الله  
أن أتكم فى حال  
ثم أخالف ما أعلم فيه  
وقيل من أدب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال  
«زويت لى الأرض  
فأريت مشارقها  
ومغاربها» ولم يقل  
رأيت . وقال أنس  
ابن مالك الأدب  
فى العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للأموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولاتسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فإن قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسد التوبة فإن وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهى إلى رتبة الكفر فإذا لم يقيد بالتوبة وأطاق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص العيينين فالاشتغال بذكر الله أولى فإن لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكين إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلغونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكرك لما ارتكبت منك فقال إنما هما كلمتان تخرجان من مصنف يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من مصنف لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صرح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فإن ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد والرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنساء من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصنى قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبرانى وابن أبى عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرهم الهجيمى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبى عاصم (٦) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل والترمذى من حديث عائشة بسد ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انصر .

المعمل . وقال ابن  
عطاء الأدب الوقوف  
مع المستحسنات  
قبل مامنه قال أن  
تعامل الله سرا وعلنا  
بالأدب فإذا كنت  
كذلك كنت أدياً  
وإن كنت أهجياً ثم  
أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل  
ملحة

وإن سكنت جاءت  
بكل ملح

وقال الجري من  
عشرين سنة ممددت

رجلى في الخلوة فإن  
حسن الأدب مع الله

أحسن وأولى . وقال  
أبو على ترك الأدب

موجب للطرد فمن أساء  
الأدب على البساط رد

إلى الباب ومن أساء  
الأدب على الباب رد

( الآفة التاسعة الفناء والشعر )

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الفناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير له من أن يتلى شعرا » (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه قبله في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في مصنف شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وطى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٢) نعم مقصود الشعر للدخ والقدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في الدخ (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليقت الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبع لوجد فيها مثل ذلك فلم ينفع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت قفقت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفناء يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

( الآفة التاسعة الفناء والشعر )

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص وافق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان إهجمهم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سبابة الدواب .

[ الباب الثاني

والثلاثون في آداب

الحضرة الالهية لأهل

القرب ]

كل الآداب تتلقى من

رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانه عليه

السلام مجمع الآداب

ظاهرا وباطنا وأخبر

الله تعالى عن حسن

أدبه في الحضرة بقوله

تعالى - مازاغ البصر

وما طفى - وهنه

غامضة من غوامض

الآداب اختص بها

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر الله

تعالى عن اعتدال

قلبه القدس في

الإعراض والإقبال

أعرض عما سوى الله

وتوجه إلى الله وترك

وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فجعل يتذر إليه ويقول باني أنت وأمي إني لأجد للشعر دينيا على لسان كديب النمل ثم يقرصني كما قرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين<sup>(١)</sup>.

( الآفة العاشرة الزاح )

وأصله مذموم منهي عنه إلا قدر أسير استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا عار أخاك ولا تمارحه<sup>(٢)</sup> » فان قلت الماراة فيها إيذاء لأن فيها تكديبا للأخ والصديق أو تجهيلا له ، وأما الزاح فطائية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهي عنه ؟ فاعلم أن النهي عنه الإفراط فيه أو الداومة عليه أما الداومة فلا أنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن الواطبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما غلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمزح ولا أقول إلا حقا<sup>(٣)</sup> » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا ضحك باب الزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لينسلكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من الثريا<sup>(٤)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الفلفة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكينم كثيرا لضحكم قليلا<sup>(٥)</sup> » وقال رجل لأخيه يا أخى هل أتاك أنك واد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارؤى ضاحكا حتى مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا أهل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا أهل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي جلي يقول أنضحك ولعل أكنافك

والله العاجلة محطوطها  
والسموات والهار  
الآخرة محطوطها فمسا  
الضغ إلى ما عرض  
عنه ولا لطفه الأسف  
على الغالب في إعراضه  
قال الله تعالى - لكيلا  
تأسوا على ما فاتكم -  
فهذا الخطاب للعموم  
وما زانغ البصر إخبار  
عن حال النبي عليه  
السلام بوصف خلص  
من معنى ما خاطب به  
العموم فكان ما زانغ  
البصر حاله في طرف  
الاعراض وفي طرف  
الاقبال تلقى ما ورد  
عليه في مقام قاب  
قوسين بالروح والقلب  
ثم فر من الله تعالى  
حياء منه وهية  
وإجلالا وطوى نفسه  
بغراره في مطاوى  
انكساره وانقاره

(١) حديث لما قسم الفانم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلانس وفي آخره شعره :

وما كان بدوم ولا حابس يسودان مرداس في مجمع  
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العيب مد بين عينة والأقرع  
وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع  
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علانة مائة وأما زيادة إقطعوا عنى لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

( الآفة العاشرة الزاح )

(٢) حديث لا عار أخاك ولا تمارحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني أمزح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل لينسلكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم.

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكم قليلا ولبكينم كثيرا متفق عليه من حديث أنس ومائسة .



قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبيك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يبيك ألسنتك تعجب من بكائه ؟ قيل بلى قل فالتى يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوب له صعب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مراراً ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه وقد هلك فقال نعم وأفواهم ملائ من دمه <sup>(٢)</sup> وأما أداء المزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضى الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لى أمى يابنى لا تمزح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابنى لا تمزح الشريف فيحقد عليك ولا الله نى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح تعذبوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم خفيث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضى الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذور وبذور العداوة المزاح ويقال الزاح . سلبه للنهى مقطعة للأصدقاء . فإن قلت قد ثقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذى قلباً ولا تنفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الدور فلا خرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهارة مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا <sup>(٣)</sup> نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لا أقول إلا حقاً <sup>(٤)</sup> وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيل كذيل العروس <sup>(٥)</sup> وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه <sup>(٦)</sup> وروى أنه كان كثير التبسم <sup>(٧)</sup> وعن الحسن قال أنت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً - <sup>(٨)</sup> وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صعب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فهلك قال نعم وأفواهم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرافق وهو محصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذى وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلا تبسط النفس  
تطغى فان الطغيان  
عند الاستثناء وصف  
النفس قال الله تعالى  
- كلا إن الإنسان  
ليطغى أن رآه استغنى -  
والنفس عند الواهب  
الواردة على الروح  
والقلب تسترق السمع  
ومضى نالت قسطاً من  
الفتح استغنت وطننت  
والطغيان بظهر منه  
فرط البسط والإفراط  
في البسط يست باب  
الزبد وطنيان النفس  
لنسيق وعائها عن  
الواهب فوسى عليه  
السلام صح له في  
الحضرة أحد طرفي  
ما زاغ البصر وما التفت  
إلى ما فاتته وما طغى  
متأسفا لحسن أدبه  
ولكن امتلا من اللعج  
واسترقت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «فقلت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه يياض قالت والله ما بعينه يياض فقال بل إن بعينه يياضا فقلت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا بعينه يياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نعملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم : مامن بعير إلا وهو ابن بعير (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣)» لغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسابقك فشدت درعي على بطني ثم خططنا خطا فعمنا عليه واستبقينا فسبقني وقال هذه مكان ذى المجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطنيه فأبيت وسعيت وسمي في أترى فلم يدركني وقالت أيضا «سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه بتلك (٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطنخن به وجهك فقالت ما أنا بذاتقة فأخذت يدي من الصحيفة شيئا منه فلوطنخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغضب لها رسول الله ركبته لتستفيد مني فتناولت من الصحيفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٦)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلاني كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)». وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن علي عليه السلام فيرى الصبي لسانه فيمش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن

الترمذي في الشبائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزناح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استحمته نعملك على ابن البعير الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولده الذاقة (٣) حديث أنس بأبعمير ماضل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقة صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده أصلًا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقني فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في النكاح (٦) حديث عائشة في لطنخ وجه سودة بحريرة ولطنخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلاني قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو مضافًا للدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

ونظامت إلى القسط والخط فلما حظيت النمس استغنت وطمع عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرني أنظر إليك فتمنع ولم يطلق في قضاء الزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد في وجبه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بايقاف التازل من المنع على الخروج

لى الابن قد زرع وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم <sup>(١)</sup> »  
 فأكثر هذه العظائم منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف  
 قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا  
 «أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> »  
 قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسًا إلى نساء  
 من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرًا  
 للجل لى شرود قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل  
 الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنفصر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت للمدينة  
 وبعد ما قدمت المدينة قال فرأى فى المسجد يوما أصلى فجالس إلى فطولت فقال لا تطول فاني ألتظرك  
 فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك  
 أنفصر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أمارك ذلك  
 الجل الشراد بعد قتل والدك بالشق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد  
 أبا عبد الله قال حسن إسلامه وهداه الله <sup>(٣)</sup> » وكان نعيان رجلًا مزاحًا فكان يشرب الخمر  
 فى المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بهله ويأمر أصحابه فيضربونه بهلهم فلما كثر  
 ذلك منه قال له رجل من الصحابة لئنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله  
 وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يا رسول الله هذا قد  
 اشترته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول  
 الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندي  
 ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه <sup>(٤)</sup> فهذه مطايات

(١) حديث أبى سلمة عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن على فيرى  
 الصبي لسانه فيرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكون لى الابن رجلاً قد خرج وجهه  
 وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة  
 ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى اللبهات قولين فى قائل  
 ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثانى أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن  
 أبى سلمة عن أبى هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال  
 إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم <sup>(٢)</sup> حديث  
 قال لصهيب وبه رمد أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله  
 عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات <sup>(٣)</sup> حديث إن خوات بن جبير كان  
 جالسًا إلى نساء من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله  
 مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرًا للجل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن  
 أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة  
 ابن عمرو <sup>(٤)</sup> حديث كان نعيان رجلًا مزاحًا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله  
 عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشيء ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم  
 يجيىء صاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن  
 عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على  
 الروح والقلب بما  
 ذكرناه من حال النبي  
 عليه السلام من تعيب  
 النفس فى مطاوى  
 الانكسار فتلك الفرار  
 من الله إلى الله وهو غاية  
 الأدب حظى به رسول  
 الله عليه الصلاة  
 والسلام فما قوبل  
 بالقبض فدام مريده  
 وكان قاب قوسين  
 أو أدنى ويشاكل  
 الشرح الذى شرحناه  
 قول أبى العباس بن  
 عطاء فى قوله تعالى  
 - ما زاغ البصر  
 وما طغى - قال لم يره  
 بطغيان عيىل بل رآه على  
 شرط انتدال القوى  
 وقال سهل بن عبد الله  
 التستري لم يرجع  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على الدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المحيت للقلب .

### ( الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كقَالَ تعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبية على العيوب والتفائس على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا »<sup>(١)</sup> وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا ويلتئذ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسم بالاستهزاء بالؤمن والكبيرة التفهيم بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكر به وغمه فاذا أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فيجى بكر به وغمه فاذا أغلق دونه لما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتيه<sup>(٣)</sup> » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمل<sup>(٤)</sup> » وكل هذا يرجع إلى اسحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقره استصغارا فقله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطى فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا أو ناقصا لعييب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المارفين والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

### ( الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبدالله بن زمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكر به وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلا وروناه فى ثمانيات النجيب من رواية أبى هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمل الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بم متصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكنيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فمضى أمانة<sup>(١)</sup> » وقال طلقا « الحديث بينكم أمانة<sup>(٢)</sup> » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يأبى أن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال فقلت يأبى وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يابى ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرق قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رقي الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولزم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

( الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل<sup>(٤)</sup> » والوأي الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد فوالله لألقى الله بثلاث انفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبدالله بن أبي الحنفية قال « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يافى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك<sup>(٥)</sup> » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجمى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى<sup>(٦)</sup> وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يشذروا فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يبنى فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان<sup>(٧)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فمضى أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث

جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا -

( الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يابى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا  
أبو الطيب السكي عن  
أبي محمد الجريري قال  
التسرع إلى استدراك  
علم الإقطاع وسيلة  
والوقوف على حد  
الانحصار نجاة واللباد  
بالهرب من علم الدنو  
وصلة واستقباح ترك  
الجواب ذخيرة  
والاعتصام من قبول  
دواعي استماع الخطاب  
تكلف وخوف فوت  
علم ما انطوى من  
فصاحة الفهم في حيز  
الإقبال مساءة والإصغاء  
إلى تلقى ما ينفصل عن  
معدته بمد والاستسلام  
عند التلاقى جراءة  
والانبطاس في محل  
الأنس غرة وهذه  
السلكات كلها من  
آداب الحضرة لأربابها  
وفي قوله تعالى - وما زاع

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) « وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقة ولا ينبغي أن يجعل نفسه معنورا من غير ضرورة حاضرة قد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي قد ذكر مواعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم (٢) « فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من مواعده له مع أنها كانت تدير الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بعين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال هي لك وقال احتكمت يسيرا (٣) « واصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما احتكم به حتى جعل مثاقيل أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) « وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلائمه عليه .

( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط صحت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب فانه مع القجور وها في النار (٥) « وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) « وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذي بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن في كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بعين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلائمه عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنهما قالا فلم يفت .

( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائى في اليوم والليلة وجهه المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طفى -  
وجه آخر أطفأ -  
سبق : مازاغ البصر  
حيث لم يخاف عن  
البصيرة ولم يتأخر  
وما طفى لم يسبق البصر  
البصيرة فيتجاوز حده  
ويتعدى مقامه بل  
استقام البصر مع  
البصيرة والظاهر  
مع الباطن والقلب مع  
القلب والنظر مع القدم  
ففي تقدم النظر على القدم  
طفيان والمعنى بالنظر  
علم بالقدم حال القالب  
فلم يتقدم النظر على  
القدم فيكون طفيانا  
ولم يتخلف القدم عن  
النظر فيكون تقصيرا  
فلما اعتدلت الأحوال  
وصار قلبه كقالبه  
وقالبه كقلبه وظاهره  
كباطنه وباطنه  
كظاهره وبصره  
كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق و نلت به كاذب»<sup>(١)</sup> وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»<sup>(٢)</sup> . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»<sup>(٤)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار هم القليل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكمهم يملفون فيأعون ويحدثون فيكذبون»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : اللنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكثة في قلبه إلى يوم القيامة»<sup>(٧)</sup> وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فذهب نعره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظمن ورجل كان معه قوم في سفر أو سيرة فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسنوا الأرض فقلوا فتسحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف والفقر المحتال والبخل للنان»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»<sup>(٩)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضعيف جدا ويفنى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق وأنت له كاذب البخارى في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضمه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث من رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخارى هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصمانيين من حديث أبي هريرة وروينا كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم اللنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكثة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحسن ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البائع الخلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذى وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره غلبت انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث العراج فكان البراق بقاله مشا كلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث العراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماه بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون قوله -أرأيت أنظر إليك- تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه ويلقعه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يذهب في قبره إلى يوم القيامة (١) » وعن عبد الله بن جرادة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) » وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تضل لكتب عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جبانا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « وكان منكم من قال ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الإصرار بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال : ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أنقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

القدم وتخافا للقدم  
عن النظر وهذا هو  
الاختلال بأحد الوصفين  
من قوله تعالى - ما زاغ  
البصر وما طغى -  
فرسول الله حمل مقترنا  
قدمه ونظره في حبال  
الحياء والتواضع ناظرا  
إلى قدمه قادمًا على  
نظره ولو خرج عن  
حبال الحياء والتواضع  
وتطاول بالنظر متديا  
حد القدم تعوق في  
بعض السموات  
كتعوق غيره من  
الأنبياء فلم يزل صلى  
الله عليه وسلم متجاسي  
حجابه في خفارة أدب  
حاله حتى خرق حجب  
السموات فانصبت إليه  
أقسام القرب انصبابا  
وانشمت عنه  
سحاب الحجب حجبا  
حجبا حتى استقام حتى

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس ييد القائم كلوب من حديد يلقيه في شقوق الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في السمات مقتصرًا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب وهكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإعماها عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعمل من الزنا وعين من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تضل لكتب عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ماتت إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أنقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحرانطي في مكارم الأخلاق وفيه سمدن ستان ضمه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال



« إن للشيطان كلاً ولعوقاً ونشوقاً أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كُله فالنوم <sup>(١)</sup> »  
 وخطب عمر رضي الله عنه يوماً فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقياي هذا فيكم فقال  
 « أحسنوا إلى أئمتي ثم الذين يلونهم ثم يفسو الكذب حتى يغلف الرجل على اليمين ولم يستحلف  
 ويشهد ولم يستشهد <sup>(٢)</sup> » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأنم ليقطع بها مال امرئ  
 مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان <sup>(٤)</sup> » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها  
 السلم إلا الحيانة والكذب <sup>(٦)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل  
 من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها <sup>(٧)</sup> »  
 وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملاً ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه  
 ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهي كلهم الصغور عما قيل يلقاه  
 صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا  
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه <sup>(٨)</sup> » وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة  
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى  
 وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة <sup>(٩)</sup> » وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح <sup>(١٠)</sup> »

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلاً ولعوقاً الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند  
 ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يفسو الكذب الترمذي وصححه  
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على  
 يمين يأنم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل لا موسى  
 روى معمر عنه من أكبر قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن  
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل  
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضاً وأبي أمامة أيضاً ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من  
 حديث سعد مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في المثل (٧) حديث ما كان  
 من خلق الله شيء أشدّ عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على  
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة منها توبة أحمد من  
 حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات  
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك  
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخراطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو  
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة ابن ماجه والنسائي في  
 اليوم والليلة وقد تقدم بعضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق  
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - مازاغ البصر  
 وما طغى - فمر كالبرق  
 الحافظ إلى مخدع  
 الوصل واللطائف وهذا  
 غاية في الأدب ونهاية في  
 الأرب . قال أبو محمد  
 ابن رويم حين سئل  
 عن أدب السافر فقال  
 لا يجاوزهم قدمه حيث  
 وقف قلبه يكون مقرة  
 أخبرنا شيخنا ضياء  
 الدين أبو النجيب إجازة  
 قال أنا عمر بن أحمد قال  
 أنا أبو بكر بن خلف  
 قال أنا أبو عبد الرحمن  
 السلي قال ثنا القاضي  
 أبو محمد يحيى بن  
 منصور قال حدثنا  
 أبو عبد الله محمد بن  
 علي الترمذي قال حدثنا  
 محمد بن رزام الأيلي قال  
 حدثنا محمد بن عطاء  
 المجيمي قال حدثنا  
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ عدت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إلينا ما لم تركم أحسنكم إنما فاذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأثبت على حرف إن أنا كتبت زيفت الكتاب وكنت قد كذبت فضمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما رأني أوجر على ترك الكذب لأنني إنما أدعه أفنة ، وقيل لحاتم بن مبيح أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كما قرضنا بنتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

( بيان ما رخص فيه من الكذب )

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سمى خلف إنسان بالسيف ليقطعه فدخل دارا فأنهى إليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا أليس تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فتقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبة فلهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصودا للحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخس في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما قتل مالك وقتلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « رب آرنى أنظر إليك » - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخس في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والتى قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد زيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعت يمحسن عليه السلام ثم أتيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطفاها ثم قلت أهألمكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس <sup>(١)</sup> أي ولوبا بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك <sup>(٢)</sup> » وروى أن ابن أبي نذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوية يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لا مراثة أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي نذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت بئى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فخرجت أن أ كذب فأ كذب يأمر المؤمنين فقال نعم فأ كذبى فان كانت إحداكن لا تحب أحدا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذى يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لاعمالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحاء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها <sup>(٣)</sup> » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا أو قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلائن آخر من السماء أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ماله فمثل أن يأخذ ظما ويسأله عن ماله فله أن يذكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زينت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله <sup>(٤)</sup> » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فالرجل أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر اكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبها لقلبها أو يمتد إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذية أن الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع تولد منه محذور فيبغى أن يقابل أحدها بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذى يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار وهو في اللوطان عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تنبأهمون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشئ منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الديسوية  
حتى رفته الحق مقاما  
في القرب وأذن له في  
الانسياط وقال اطلب  
منى ولو ملحا لمجيتك  
فلما بسط انبسط وقال  
- رب إنى لما أنزلت  
إلى من خير فقير -  
لأنه كان يسأل حوائج  
الآخرة ويستعظم  
الحضرة أن يسأل  
حوائج الدنيا لحقارتها  
وهو في حجاب الحشمة  
عن سؤال المحقرات  
ولهذا مثال في الشاهد  
فإن الملك العظيم يسأل  
العظماء ويحتشم في  
طلب المحقرات فلما رفع  
بساط حجاب الحشمة  
صار في مقام خاص من  
القرب يسأل الحقير كما  
يسأل الخطير قال  
ذو النون المصري أدب  
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقفا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة إليه فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم فهو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس قوتها محذورا حتى إن للرأفة لتحكي عن زوجها ما فخر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكر من زوجي بما لم يفعل أضرارها بذلك فهل طي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشبع عالم يعطى كلابس ثوبي زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا قنوى العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذي لا يلتفت له إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكشف من أن يقول لا أدري وهذا حرام وبما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكتب إلا بوعده أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا، نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا وإن الكذب الباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أيسر بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فقباه ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر طي الأسماع وسقط وقعه وما هو جدي فوقعه أعظم فهذا هو السبب إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى الله تعالى ويؤدى فتح بابيه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

( بيان الحذر من الكذب بالمعاريض )

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرا فدخل طي زياد فاستبطأه فتملج بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من طعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفة مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أئتمته القيام مع أسماي وصفان أئتمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذات أئتمته العطب . فاختار أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالثناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقاله أبو عسلى الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا ما رُفِعَني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حُرفَني عند السمع وعنده للإيهام - وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمرو بن عبد الله رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتانا شيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعت عمرو معك ضاغطا وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمرو فلما بلغه ذلك دعا معاذاً وقال بعت معك ضاغطاً قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمرو رضي الله عنه وأعطاه شيئاً فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطاً حتى رقيها وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكراً بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكراً فإنه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من بكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عليه نقرجت وعلى نوب فجعل الناس يقولون هذا كساك أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أشبهه فهاهنا عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه، نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة عجوز» (١) وقوله لأخرى «الذي في عين زوجك يياض» وللأخرى «نعملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب المصريح كما فعله نيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرر إذ قال له إنه نيمان وكما يتأده الناس من ملاعبة الحق بتقريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابقتها فلا بوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحتى يجتنب الكذب في مزاحه (٢) «وأما قوله عليه السلام» إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا (٣) «أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح. ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالغة كقوله طابك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم البالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتأده مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب وبما يتأده الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث في عين زوجك يياض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التماري وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللهادقني في المؤلفات والختلاف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة.

إذ نادى ربه أن  
معنى الضر وأنت  
أرحم الراحمين لم يقل  
أرحمني لأنه حفظ أدب  
الخطاب وقال عيسى  
عليه السلام - إن كنت  
قلته فقد علمته - ولم  
يقول لم أقل رعاية لأدب  
الحضرة . وقال  
أبو نصر السراج أدب  
أهل الخصوصية من  
أهل الدين في طهارة  
القلوب ومراعاة  
الأسرار والوفاء بالعهود  
وحفظ الوقت وقلة  
الالتفات إلى الحواطر  
والعوارض والبوادي  
والعوائق واستواء  
السر والملاينة وحسن  
الأدب في مواقف  
الطلب ومقامات القرب  
وأوقات الحضور .  
والأدب أدبان أدب  
قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قد حامن ابن فشرى ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لأتردى بد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه طي حياء فشرى منه ثم قال ناولي صواحبك قتلن لا تشبهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداها كفى تشبيهه لأشبهيه أيسد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبية (١) « وقد كان أهل الورع يعترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب ترمض حتى يبلغ الرمض خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأنس عينيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه أنسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائلة لابن له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضيت به قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والام فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم ير أو يقول طي ما لم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقدين شيرتين وإيس باقدين بها بدأ (٣) » .

( الآفة الخامسة عشرة الغيبة )

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والغيبة تقنول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام « لا تحادوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تداخروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد زنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هي أمها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساء الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث إن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم ير أو يقول طي ما لم أقل البخاري من حديث وثالة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينه ما لم يريا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقدين شيرتين البخاري من حديث ابن عباس .

( الآفة الخامسة عشرة الغيبة )

(٤) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحادوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصجبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير .

تخرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال الثوري من لم يتأدب لا وقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مرت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظافيرهم قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يتأبون الناس ويقعون في أعراضهم» (١) وقال سليم بن جابر «أثبت النبي عليه الصلاة والسلام قلت علمني خيرا أتضع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يمشي حسن وإن أدبر فلا تتأبه» (٢) وقال البراء «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته» (٣) وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تألبا من القية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراعا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمي فيقول يا رسول الله ظلمت صائعا فاذن لي لأفطر فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فنانان من أهلك ظلمتا صائعتين وإنهما يستحيان أن يأتاياك فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظلم نهاره بأكل لحم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائعتين أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاء فاستقاء كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار» (٤) وفي رواية «أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم لتتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فقال لإحداهما قئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قئى فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس» (٥) وقال أنس «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنها الرجل وأربنى الربا عرض السلم» (٦) وقال جابر «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يقاتب الناس وأما الآخر فكان لا يستزه من بوله فدعا بجريدة رطبة وأجر يدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مستندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت علمني خيرا ينفخ الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث المرأتين الذكوريتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل البهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأربنى الربا عرض الرجل السلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجهاة إلا ويضمها بصرح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بآداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .  
[ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها ]  
قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب الطاهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مام ييسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخرًا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال انتهتا منها فقالا يارسول الله نهش حيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند القية ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة الناقضين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله فنضج ويكلع (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرجما رجل كان عنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصليا مع الناس خالف في أنفسهما ما قالنا فأثبا عطاء فألأه فأمرهما أن يجيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائعين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة القذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من القية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله لقية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجفنع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الخواريون بحيفة كلب فقال الخواريون : ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشد يابض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يخطب آخر فقال له إياك والقية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

( بيان معنى القية وحدودها )

اعلم أن حد القية أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغ فسواذ كرهته في بدنه أو نسله أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وديارته . أما البدن فكذلك كرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يندب صاحبهما فقال أما إنهما لعذبان وما يندبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في السمعت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل القية . وللطائفي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر بن نعيم باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بحيفة فقال انتهتا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوف وفيه محمد بن إسحاق روله بالسنعة .

النجاسة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما زلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أمضى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى زلت الآية في أهل قباء . قيل لسلطان قد علم نبيكم كل شيء حتى الحراة فقال لسلطان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجي بالجمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو



وأما النسب فبأن تقول أبوه يبطي أو هندی أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كبقها كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرأء شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما في أفعاله المتعاقبة بالدين فسكفة ذلك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فسكفة ذلك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكفة ذلك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم مآذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »<sup>(١)</sup> وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن »<sup>(٢)</sup> فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا محتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقاً فهو به مقتاب عاص لربه وأكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أ رأيت إن كان في أخى ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »<sup>(٣)</sup> وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتهم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »<sup>(٤)</sup> وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها »<sup>(٥)</sup> وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إني أراي قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يبتائن أحدكم أحداً فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي « الفظي الفظي فلعلت مضغة لحم »<sup>(٦)</sup>

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاحها لكن تؤذى جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن شعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحيح لابن أبي الدنيا والبصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي الفظي فلعلت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا أعرفها .

عظم . حدثنا شيخنا  
صبياء الدين أبو النجيب  
إسلام قال أنا  
أبو منصور الحريري  
قال أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمر والهاشمي  
قال أنا أبو طي اللؤلؤي  
قال أنا أبو داود قال  
حدثنا عبد الله بن محمد  
قال حدثنا ابن المبارك  
عن ابن عجلان عن  
القمامة عن أبي صالح  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أنه قال : قال  
صلى الله عليه وسلم  
« إنما أنا لكم بمنزلة  
الوالد أعلمكم فإذا  
أتى أحدكم الغائط  
فلا يستقبل القبلة  
ولا يستدبرها ولا  
يستطيب يمينه » وكان  
يأمر بثلاثة أحجار  
ويهي عن الروث  
والرمة . والفرس في

( بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان )

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها »<sup>(١)</sup> ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنني أتى حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا »<sup>(٢)</sup> وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر الصنف شخصاً معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما محي وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان مخاطب يفهم منه شخصاً معيناً لأن المحدث تفهمه دون ما به التفهم فأما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا »<sup>(٣)</sup> فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأجبت أنواع الغيبة غيبة القراء للرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التهف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجملهم أنهم جموعاً بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طاب الحطام أو يقول نفوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصمنا منها وإنا قصد أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يذم نفسه فيكون مفتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه فجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهله بظن أنه من الصالحين المتعقبين عن الغيبة ولذلك يابس الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده عمائم وينضح عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصنى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تحقير خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً وكذلك يقول ساءنى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاعتماد وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوته عقيب صلاته ولو كان يفتن به لا غتم أيضاً بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لفتنة أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط الغتاب

الاستنجاء شيئان إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجيعاً وهو الروث ولا مستعملاً مرة أخرى ولا مرة وهي عظم اللبسة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يتطهروا - ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضاً طاهرة وزاباً طاهراً . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قيل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن غارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم قتات (٢) حديث ما يسنني أتى حاكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئاً قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعيره ورجاله رجال الصحيح .

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للعنتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك للعنتاب قال صلى الله عليه وسلم «الستمع أحد القتاين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ لئلا يلا به الخبر فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتمنا؟ فقالا مانله قال بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وذل للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص الكلب «انهم شامن هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فلمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشتبه لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذل عند مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصلوة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

#### (بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة يختص بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية : فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يتمتع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة. الثاني موافقة الأذنان وبجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكحون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع الخماس استقلوه ونفروا عنه فيأعدهم ويرى ذلك من حسن العاشرة ويظن أنه

(١) حديث المستمع أحد القتاين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا؟ فقالا مانله فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مراسلنا نحوه (٣) حديث انهم شامن هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص كما يقمص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذل عند مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة في الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسامة بنت زيد.

ملاقة النجاسة ويمر بالمسح ويدبر الحجر في مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر الخرج ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويدبره حول السربة وإن استجمر بحجر ذى ثلاث شهب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يندفق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويغتاط في الاستبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحى ثلاثا لأن العروق ممتدة من الخلق إلى الذكور وبالتنحى تتحرك

بحاملة في الصلابة وقد يغضب رفاقؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر الصوب والساوي . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليستقط أثر شهادته أو يتدنى به ذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طادني الصكذب فاني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر القدي فعله وكان من حقه أن يبري نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتفقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقبح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقبح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من الغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللب والهزل والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المأكاة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقاقا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أخصها وأدقها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خبر ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما تعجب ملأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكرو ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يغم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاعتماد وطلبه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتماد يمكن دون ذكر اسمه فيهبجه الشيطان على ذكر اسمه ليطول به ثواب اغتيامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو بستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن وثالة « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجالس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاء وسأله فقال قد قلت ذلك

وتغذف مافي مجرى البسول فان منى خطئوات وزاد في التنصح فلا بأس ولكن براعى حد العلم ولا يحصل للشيطان عليه سبيلا بالسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الله كثر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة . وشبه بعضهم الله كثر بالصرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة مادام يجد فبراعى الحد في ذلك وبراعى الور في ذلك أيضا والمسحات تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لضربه فلأخذ الحجر باليمين واليد كثر اليسار ويمسح على الحجر وتصكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله بار - ول الله هل رأي أني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فأسأله قل لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأي قط أفطرت فيه أو بقعت من حقه شيئا فأسأله عنه فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأي قمعت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسألها فأسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فله خير منك (١) .

( بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية )

اعلم أن ساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنمحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن النية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تمرنه لسخط الله تعالى بغيته بهذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المحاسبة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في الييس بأسرع من النية في حسنات العبد » (٢) وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تتعاقب فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فلهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في النية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بسبب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس » (٣) ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل يبغي أن يتحقق أن يحجز غيره عن نفسه في التزهد عن ذلك العيب كمجزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل للحكيم ياقبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم الميوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيته كئأله بغيته غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يفتاب فيذبح أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على النية فإن علاج العلة بقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما التذنب فيما لجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنني إذا أمضيت غضبي عليه قلل الله تعالى بعضي غمته على بسبب النية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث عامر بن وائلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إنني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في الييس بأسرع من النية في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لاليمين فلا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر ويقنع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ ولا يستتره من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له لا تخفف عنهما ما لم يبسا » والمسيب الجريد وإذا

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على ردوس الخلائق حتى يخبره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أحق . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضا لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لقت الحاقق أشد من التعرض لقت المخلوقين وأنت بالذية متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخاص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدما وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخللان . وأما عندك كقولك إن أكانت الحرام ففلان يأكله وإن قلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقعه ولو واقفته لسفه عقلك فيها ذكركه غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين العصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجبل فوسى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالمعذر وصرحت بالمعذر وقالت العزى أكيستنى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنك تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك . وأما قصدك الباهظة وتركبة النفس بزيادة الفضل بأن تقدم في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرك به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعث ما عند الحاقق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا . وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد لما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصررت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين السكابين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديق وعدو نفسك إذ لا تضرم غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقد حرك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حشود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شقي غيظه بمعصية الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه في الأربعين البلدانية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء بعد من العيون . روى جابر رضى الله عنه « أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراهم أحد » وروى للقيصة بن شعبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد في الذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يتبوأ حاجته كما يتبوأ الرجل للزول ، وكان يستتر بهائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل بإحاطته في الصحراء أو بذييله إذا حفظ أثوبه من الرعاس ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تسكرت في حشرتك وجنايتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيتك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمته فهو حسن ولكن حسدك إيليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجرك وقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حجب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضا لمقت الله عز وجل بالنية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدينه وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة قط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن الغيبة لاعالة .

### ( بيان تحريم الغيبة بالقلب )

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك واتىء الظن بأخيك ولست أعنى به الإعتد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويعيل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك ببيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق إيليس وإن كان ثم محبة تدل على فساد واحتمل خلافة لم يجوز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تخمض بالخمر ومجها وما شر بها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لاعالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقه بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء <sup>(١)</sup> » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيت منه بمحمل الخير والشر . فان قلت فهذا يعرف عقد الظن والشكوك تحتاج والنفس تحدث . فقول : أماره عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نقورا ما ويستقله ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاغتنام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :  
« كنت مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فأراد أن يبول فأتى  
دمثا في أصل جدار  
فقال ثم قال : إذا أراد  
أحدكم أن يبول  
فليترد لبوله » وينبغي  
أن لا يستقبل القبلة  
ولا يستدبرها ولا  
يستقبل الشمس والقمر  
ولا يكره استقبال القبلة  
في البنيان والأولى  
اجتنابه للذهب بمص  
الفضة إلى كراهية  
ذلك في البنيان أيضا  
ولا يرفع ثوبه حتى  
يدنو من الأرض  
ويجنب مهابة الريح  
احترازا من الرشاش  
قال رجس ل بعض  
الصحابه من الأعراب  
وقد خاصمه لأحسبك  
تحسن الحرامه فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج لمخرجه من سوء الظن أن لا يحققة<sup>(١)</sup>» أي لا يحققة في نفسه بمقدور ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشیطان قد يقرر على القلب بأدنى غيلة مساءة الناس ويطبق إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق «نظر ضرور الشيطان وظلمته» وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتمت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو<sup>(٢)</sup> فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهرا العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن القتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتادات تساهلوا في أمر النية ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بدوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا تخدعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نفسه لينظر إليك بعين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الالتم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيته وأجر الاعانة له على دينه، ومن ممرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف بحكم التجسس وحقيقته .

### ( بيان الأعذار الرخصة في النية )

اعلم أن للرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به في دفع ذلك إثم النية وهي ستة أمور : الأول الظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مفتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما للظلم من جهة القاضي فله أن ينظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لصاحب الحق مقالا»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام

(١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف  
(٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعفه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجهود حدا ولا ذي غمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا ينادي داود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأبيك إني بها لحاذق قال فصفها لي قال أبعده البشر وأعد للعدو استقبل الشيخ واستدبر الرمح وأقوى إقواء الظبي وأجفل إجمال النعام يعني استقبل أصول النبات من الشيع وغيره واستدبر الرمح احترازا من الرشاش والإقواء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه . ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وظهر قلبي من الرياء وحسن فرجي من القواحيش ويكره أن يول الرجل في الغنسل . روى عبد الله ابن مغفل أن النبي عليه السلام : «نهى أن



« مظل النقي ظلم <sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه <sup>(٢)</sup> » الثانى الاستماعة على  
تفسير المنكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على  
طاعة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء  
أبو بكر إليه لصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا  
جندل قد عاقر الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم  
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر بمن أبلمه غيبة إذ كان قصده  
أن يشكر عليه ذلك فينفضه نصحه ما لا ينفضه نصح غيره وإنما بإباحة هذا بالصد الصحيح فإن لم يكن ذلك  
هو المقصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمنفق ظلمنى أبى أو زوجتى أو أختى فكيف طريقى  
في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن  
التمتين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا  
سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتيك  
وولده بالمعروف <sup>(٣)</sup> » فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها  
الاستفتاء . الرابع تحذير السلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى  
إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سزاية  
البدعة والفسق لا غيره وذلك موانع الفرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك  
بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقه أو بالفسق أو بسب  
آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للشترى وفي ذكره ضرر العبد والشرى أولى  
بمراعاة جانبه وكذلك المزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئنا وكذلك للمستشار في  
التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لاعلى قصد الوفاء فإن علم أنه  
يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح  
بفيه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آتوا عن ذكر الفاجر اهتكوه  
حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس <sup>(٤)</sup> » وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام  
الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بقلب يعرب عن عيبه كالأعرج  
والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج ولسان عن الأعمش وما يجري مجراه  
قد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن  
قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال  
لالأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخثث وصاحب  
الساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر  
له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مظل النقي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عرضه وعقوبته  
أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن  
أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آتوا عن ذكر الفاجر  
اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى  
من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن  
أبى الدنيا في الصمت .

يول الرجل في مستحبه  
وقال: إن عامة الوسواس  
منه وقال ابن المبارك:  
يوسع في البول في  
المستحم إذا جرى فيه  
الماء وإذا كان في  
البيان يقدم رجليه  
اليسرى لدخول الخلاء  
ويقول قبل الدخول:  
باسم الله أعوذ بالله  
من الخبث والخبائث.  
حدثنا شيخنا شيخ  
الاسلام أبو النجيب  
السهروردي قال أنا  
أبو منصور المقرئ قال  
أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمرو  
المهاشمي قال أنا أبو طي  
اللوؤي قال أنا أبو داود  
قال حدثنا عمر وهو  
ابن مرزوق البصري  
قال حدثنا شعبة عن  
قادة عن النضر  
ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له (١) » وقال عمر رضي الله عنه ليس لأفاجر حرمة وأراد به المجرم نفسه دون اللستر إذ المستر لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بجوره ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بنفسه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وبما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينقم للحجاج من اغتابه كما ينقم من الحجاج من ظلمه وإنك إذا لعيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

( بيان كفارة القية )

اعلم أن الواجب على الغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ويخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينفي أن يستحل وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرأى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى .

وقال الحسن يكفي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتابه أن تستغفر له (٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من القية قال أن تعشى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتبنت للطالبة . - بل في الحديث الصحيح ما روى أنه ﷺ قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستهحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة الذيل قد اغتبت بها فاستحلها فاذا ن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالي في الثناء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حنة محسوبة له يعاقب بها سيئة القية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحال . قال سعيد بن السيب لا أحلل من ظلمي وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم القية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به العفو عن الظلمة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل القية فإنه لا يجوز له أن يحال لغيره القية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الحبث والحبائث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحبث جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجفوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا ينكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب نواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتابه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمم والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليستهحل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس البزار وابن السني في اليوم والآلة والمعالي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه إن لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فالانصر القبية حالاً به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا أخاصم فإن رجعت وأخاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأمام بين يدي الله عز وجل يوم القيامة فودوا ليقيم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل**ين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم **« يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك »**(١) . وزوي عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فإني لأقدر أن أكافئك على التمام .

### ( الآفة السادسة عشرة النجعة )

قال الله تعالى - هازم مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيم - قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيم - والزنيم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لمرة - قيل الهمزة الغام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى - نفاقها فلم يخبا عنهما من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم **« لا يدخل الجنة نمام »**(٢) وفي حديث آخر **« لا يدخل الجنة قتات »** والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً الموطنون أكنافاً الذين يأنفون ويؤلقون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنجعة المرفقون بين الإخوان المنحسون للبراء الفترات »**(٣) وقال صلى الله عليه وسلم **« ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنجعة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب »**(٤) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة »**(٥) وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ **« أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار »**(٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإسماء ورجل من كان قبلنا كما عند البزار والعلقبى (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

### ( الآفة السادسة عشرة النجعة )

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبهكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً الموطنون أكنافاً الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصعبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للمشاءون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأعمري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال **« لا يخرج الرجلان يضربان الفائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فإن الله تعالى يمقت على ذلك »** ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصعب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبي بكر رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فإني لأدخل الصنيفة فألرق ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربى عز وجل .

[ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره ] إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »<sup>(١)</sup> ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النجعة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به »<sup>(٢)</sup> وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات فلما استقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولئن معك وفيكم نمام قد أصرّ على النجعة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن النجعة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكما سبع مائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إنى جئت لك لذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقى منه وعن النار وما أحرّ منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرى أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والخسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقى من الحجر والنمام إذا بان أمره أدل من اليتيم.

(بيان حد النجعة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم النجعة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النجعة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المتقول عنه أو المتقول إليه أو كرهه ذلك وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المتقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وتقصا في المتقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجعة إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتداول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه فدكره فهو نجعة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به نقصا وعيا في المحكى عنه كان قد جمع بين النجعة والنجعة فالباعث على النجعة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفريج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النجعة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ملاءمة عدوك أو تقييح حاله أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق له لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوماً بجهالة - الثاني أن ينهأ عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعلة قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن النكر - الثالث أن يغضه في الله تعالى فانه بغض عند الله تعالى ويجب بغض من يغضه الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نجعته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومقتابا وقد تكون

يبتدىء بالسواك .  
حدثنا شيخنا  
أبو النجيب قال أنا  
أبو عبد الله الطائي  
قال أنا الحافظ الفراء  
قال أنا عبد الواحد بن  
أحمد اللايحي قال أنا  
أبو منصور محمد بن  
أحمد قال أنا أبو جعفر  
محمد بن أحمد بن عبد  
الجبار قال ثنا حميد بن  
زنجويه قال ثنا علي  
ابن عبيد قال ثنا محمد  
بن إسحق عن محمد بن  
إبراهيم عن أبي سلمة  
ابن عبد الرحمن عن  
زيد بن خالد الجهني  
قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم «لولا  
أن أشق على أمتي  
لأخرت العشاء إلى ثلث  
الليل وأمرتهم بالسواك  
عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكلمي

قد أثبت مانعه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذي نيبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - ههنا شاء بنميم - وإن شئت عفونا عنك فقال عفوا يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكميم قد أبطأت في الزيارة وأثبتت ثلاث جنائيات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت في وقتل كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون النمام صادقًا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نِمَّ إليك نِمَّ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن ينعض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا ينعض وهو لا ينفك عن الكذب والقيبة والغدر والخيانة والقل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والحديمة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشرة » (١) والنمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قبل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس (٢) وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له با هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقًا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبتك وإن شئت أن تقولك فقال ألقى يا أمير المؤمنين . وقيل لحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن غامر وكان أميرًا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال فدكان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حق أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أنى لم أصدق فبقا قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمدون الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقًا في قوله لكان ثبًا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي الثيمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى الناس إلى الناس لغير رشدة » (٣)

قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولافتات وهو النمام لم جده هكذا بتممه ولأحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللنساء من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شبيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكنين تزين قزوين فقالت طوبى لمن دخلني ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لا تسكنك عنث ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشرة متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شئ منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في الذكرة منكرو الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس إلا ولد بنى - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرشى .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل لا يسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال إني مكلمك بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه مانع . إن قبلته فقال قل فقال يأمر المؤمنين إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما اتهمك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استخفوك الله إياه فاتهم لن يألوا فى الأمة خسفا وفى الأمانة تضییعا والأعراض قطعاً واتهاكاً على قريهم البغى والخيلة وأجلّ وسائلهم الغيبة والوقعة وأنت مشول عما أجرموا وليسوا للثولین عما أجمرت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنيا غيره ، وسمى رجل يزيد الأنجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتهمتك خاليا نخت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والامتنان

وقال رجل لمرو بن عبيد بن الأسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه جراً فقال له عمرو بإهدام عريت حق مجالسة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أدبت حق حين أغلقتى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يمننا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة به فيها على مال ينم بعمله على أخذه لكثرة فوقع على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخرانك فيها أفضل من الریح ومعاذ الله أن تقبل مهتوكاً فى مستور ولولا أنك فى خفارة شيتك لقابلتك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق يا مملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب ، الميت رحمه الله والقيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً بسط خلقك للقریب والبعید وأمسك جهلك عن الكرم والأثم واحفظ إخوانك وصل أقربك وآمنهم من قبول قول ساع أو صاع باع يريد فسادك ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعهم ولم يعيوك . وقال بعضهم النجاسة مبنية على الكذب والحسد والتفاني وهى أذى فى الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والنقول عنه أولى بحملك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجاسة قال قد رضيت فاشترته فكش الغلام أياماً ثم قال لزوجته مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الوسى واحلقى من شعر فقاه عند نومه مشعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناول لها حق تمر فذلك فتناول لها لحاء المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

( الآفة السابعة عشرة )

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يغلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين التفاني قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

( الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين )

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

الدواك اليابس بالماء  
ويستاك عرنا وطولا  
فان اقتصر فمرضا فاذا  
فرغ من السؤال فاضله  
ويجلس للوضوء  
والأولى أن يكون  
مستقبل القبلة ويبتدىء  
ببسم الله الرحمن الرحيم  
ويقول رب أعوذ بك  
من همزات الشياطين  
وأعوذ بك رب أن  
يحضروني - ويقول عند  
غسل اليد : اللهم إني  
أسألك الجن والبركة  
وأعوذ بك من الشر  
والهامة ويقول عند  
الوضوء : اللهم صل  
على محمد وعلى آل  
محمد وأعني على تلاوة  
كتابك وكثرة الذكر  
لك ويقول عند  
الاستنشاق : اللهم صل  
على محمد وعلى آل  
محمد وأرحمني وأرحم

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث <sup>(١)</sup> » وفى لفظ آخر « الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا يبنى لدى الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء » وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا <sup>(٢)</sup> » وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين ثقاق وللثفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما قد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضيقة لا تنتهى إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصداقة لافقت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصبغة والأخوة ، نعم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير نهما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا قل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل يبنى أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدي عدوه ، قبل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا ثقاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> وهذا ثقاق مهمما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو ثقاق لأنه الذى أخرج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاء فدخل لضرورة الجاء والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاء يبتتان النفاق فى القلب كما يثبت الماء البقل <sup>(٤)</sup> » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومرا آتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثن فهو معذور فان اتقاء الشر حاز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنكسر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلقهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك ثقاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاء والمال يبتتان النفاق فى القلب كما يثبت الماء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض  
ويقول عند الاستئثار:  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد وأعوذ  
بك من روائح النار  
وسوء الدار ، ويقول  
عند غسل الوجه: اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد ويصلى  
وجهى يوم تبيض  
وجوه أوليائك  
ولا تسود وجهى يوم  
تسود وجوه أعدائك ،  
وعند غسل اليدين :  
اللهم صل على محمد وعلى  
آل محمد وآتى كتابى  
بيمينى وحاسبتى حسابا  
يسيرا ، وعند غسل  
التيال : اللهم إني أعوذ  
بك أن تؤتيتى كتابى  
بشمالى أو من وراء  
ظهري ، وعند مسح  
الرأس : اللهم صل على  
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره (١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثر والتبسم فأما التباء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمنزلة كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التباء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

( الآفة الثامنة عشرة للدح )

وهو منهي عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو الفية والوقية وقد ذكرنا حكمها. والمدح يدخله ست آفات أربع في الساج واثنتان في الممدوح . فأما للساج : فالأولى أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعث الله يوم القيامة ينثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قها . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أذكر . على الله أحدا حسيه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما إذا قال رأيت به صلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستينة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أحاطتني بالمباينة والمعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وبها مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أتبل الجارود ابن النضر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمرو بن حوله وصمعا الجارود فلما دنا عنه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها ثم قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأ طيء منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتروا رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

( الآفة الثامنة عشرة للدح )

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحووه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت واليه في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللوصلي وابن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني برحمتك وأنزلني على من ركانك وأظلمني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أجمعني منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن نزل



ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو جمعها ما أفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا <sup>(١)</sup> » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله <sup>(٢)</sup> » وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى له الشيطان ولكن للمؤمن راجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه <sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضى الله عنه للدح هو الدبح وذلك لأن للدبوح هو الذي يفتر عن العمل والدبح يوجب الفتور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالدبح فذلك شبه به فإن سلم للدح من هذه الآفات في حق المداح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه وذلك أثني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصعابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح <sup>(٤)</sup> » وقال في عمر « لو لم أبت لبثت يا عمر <sup>(٥)</sup> » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر <sup>(٦)</sup> » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للتبول عند الملك قبولا عظيما وإنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدم على الجمع بين ذم للدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت <sup>(٧)</sup> » لما أثبتوا على بعض اللوث وقال مجاهد إن لبي آدم جلوسا من اللاتكة فإذا ذكر الرجل السلم أخاه للسلم غير قالت للاتكة ولك عتله وإذا ذكره بسوء قالت للاتكة يا ابن آدم لاسنور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح .

( بيان ما على المدوح )

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والسجب وآفة الفتور ولا ينجونه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه للمدح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجري على خواطره لكف المداح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في السلم (٥) حديث لو لم أبت لبثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بسدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثبتوا على بعض اللوث متفق عليه من حديث أنس .

قدمي عن الصراط يوم  
تزل فيه أقدام الناس  
وإذا فرغ من الوضوء  
يرفع رأسه إلى السماء  
ويقول : أشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك  
له وأشهد أن محمدا  
عبده ورسوله سبحانه  
اللهم وبمحمدك لا إله  
إلا أنت عملت سوءا  
وظلمت نفسي أستغفرك  
وأتوب إليك فاغفر لي  
وتب على إنك أنت  
التواب الرحيم اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد واجعلني من  
التوابين واجعلني من  
المطهرين واجعلني  
صبورا شكورا واجعلني  
أذكرك كثيرا وأسبحك  
بكرة وأصيلا .  
وفرائض الوضوء :  
النية عند غسل  
الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلال للمادح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه السادحين <sup>(١)</sup> »  
وقال صفيان بن عيينة لا يضر للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء  
لا يعرفوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا اتقرب إلى بعثتك وأنا أتشهدك على  
مقتنه . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون  
واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه قال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل  
على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .  
( الآفة التاسعة عشرة )

الفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسيافيا يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمر الدين فلا يقدر على  
تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يغل كلامه عن الزلل لكن  
الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ما شاء الله  
وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت <sup>(٢)</sup> » وذلك لأن في العطف للطلق تضييكا وتضوية وهو على  
خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأسر  
فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلني لله عديلا بل ما شاء الله وحده <sup>(٣)</sup> » . وخطب  
رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمهما فقد غوى  
فقال قل : ومن يصم الله ورسوله فقد غوى <sup>(٤)</sup> » فكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصمهما  
لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله  
ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعفنا من النار  
وكان يقول العتق يكون بعد الورد وكانوا يستجيبون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم  
اجعلني ممن تصيبه شفاععة محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله يفتي المؤمنين عن شفاععة محمد وتكون  
شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة  
حمارا رأيتني خلقتك ، خنزيرا رأيتني خلقتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى  
يشرك بكايه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت <sup>(٥)</sup> » قال عمر  
رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسموا العنب كرمائنا  
الكرم الرجل المسلم <sup>(٦)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم  
عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامى وجاريتى وثأى وثأى ولا يقول  
المملوك ربى . ولا ربى وليقل سيدي وسيدى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه الداحين التراب مسلم من حديث المقداد .

( الآفة التاسعة عشرة في الفلة عن دقائق الخطأ )

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح  
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ما شاء الله وشئت  
فقال أجعلني لله عديلا بل ما شاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث  
خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمهما فقد غوى  
الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه  
(٦) حديث لاتسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ  
تسطيح الوجهه إلى  
منهى الذقن وما ظهر  
من اللحية وما استرسل  
منها ومن الأذن إلى  
الأذن عرضا ويدخل في  
الفصل البياض الذى  
بين الأذنين واللحية  
وموضع الصلع  
وما انخر عنه الشعر  
وهما التزعتان من الرأس  
ويستحب غسلهما مع  
الوجه ويوصل الماء  
إلى شعر التحذيف وهو  
القدر الذى يزيله النساء  
من الوجه ويوصل  
للماء إلى العنقفة  
والشارب والحاجب  
والعذار وما عدا ذلك  
لا يجب ثم اللحية إن  
كانت خفيفة يجب  
لإصال الماء إلى البشرة  
وحد الخفيف أن ترى  
البشرة من تحته وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفاسيق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطكم ربكم»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا قلن يرجع إلى الإسلام سالما»<sup>(٢)</sup> فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما»<sup>(٣)</sup> لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعايب وهي على طريق التشكيم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواقع لسانه نصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وبخل من الكلام فساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فتمن فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التيمنين .

### ( الآفة العشرون )

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة وأنها محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقل على النفوس والنفوس خفيف على القلب والعامي يفرح بالخواص في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيا فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(٤)</sup> وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ققام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة ققام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا ققام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لموافق»<sup>(٥)</sup> وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل، الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

### ( الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى )

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر، ولمسلم من حديث أبي موسى ققام آخر فقال من أبي فقال أبوك سالم مولى شية. (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث القريرة بن شعبة .

كانت كيفية فلا يجب ويغتد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين. الواجب الثالث: غسل اليدين إلى المرققين ويجب إدخال المرققين في الفصل ويستحب غسلهما إلى أنصاف المصدين، وإن طالت الأظافر حتى خرجت من ردوس الأصابع يجب غسل ما تحتها على الأصح. الواجب الرابع: مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلمس رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدّهما إلى القفا ثم يردّهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تخموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية للتلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن اتبعني فلانسانى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذنى بمسانيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بينى وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب للملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشىء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهماله فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

### ( كتاب ذم الغضب والحقد والحسد )

( وهو الكتاب الخامس من ربيع للملوكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذى لا يشكلى على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظام القبط فيما يفضبون ، ثم حفرهم بالمكاره والذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنحن به حبرهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شىء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرزيين ، صلاة يوازى عددها عددها كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فإن الغضب شعله نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأنثى ، وإتها المستكنة فى طى الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجمر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلت صليح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوج به إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه وبدأ به ، فإن

بلل السكبين مستقبلا ومستديرا . والواجب الخامس : غسل القدمين ويجب إدخال السكبين فى القفل ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من السكبين ويجب تخليل الأصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من اطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وإن كان فى الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن ترك فيها محينا أو شحما يجب إزالة عين ذلك الشىء .  
الواجب . السادس : الترتيب على النسق للذكور فى كلام الله تعالى .  
الواجب السابع : التتابع فى القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال الدوام البرار باسناد جيد

( كتاب الغضب والحقد والحسد )

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تسكنه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه . ونحن نذكر ضم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجموعها يان ضم الغضب ثم يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب الموجبة للنضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان فضيلة كظم النبط ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الاتصاف والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ضم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب وتأكد موقلته في غيرهم وضعفه ثم يان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

( يان ضم النضب )

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في قلوبهم الحمية حبة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ضم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن النضب بالباطل ومع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك رجع إلى لا تنضب <sup>(١)</sup> » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تنضب <sup>(٢)</sup> » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تضرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب <sup>(٣)</sup> » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب <sup>(٤)</sup> » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته <sup>(٥)</sup> » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة النضب فإن كثرة النضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيد أو حصورا - قال السيد الذي لا يغلبه النضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب <sup>(٦)</sup> » وقال يحيى لميمى عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تغتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم <sup>(٨)</sup> » وقال له رجل « أي شيء أبعد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو جلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعذني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وضم النضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم البزار وابن عدى من حديث ابن عباس للشارب لا يدخله إلا من شق غيظه بحصية

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التابع نشف العضو مع اعتدال الهواء .

[ وسن الوضوء ثلاثة عشر ] التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة والاستنشاق والبالغة فيهما فيغرغر في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصحة ويستمد في الاستنشاق الماء بالفس إلى الحياشيم ويرفق في ذلك إن كان صائما وتخليل اللحية الكنة وتخليل الأصابع المنفرجة والبسادة بالميا من وإطالة الفرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يعنى عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تنب وثبة فتقع في النار وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة قال علمي علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والعجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومته فأراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له اتشح فلم يجبه فقال اتشح فاني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلم جئتنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبر فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيشمة الشيطان يقول كيف يغلبي ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمه الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يحجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بنحره فقتلناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يطمع وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونعنه بما لا يقدر عليه وقيل للحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال إذا لاتذله الشهوة ولا يصصره الهوى ولا يغلبي الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقيه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك اليوم ماتتاه منى غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى في التناير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلما وعلمنا فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبي الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبدو ولا يسرف ولا يقتصر ولا يظلم ويسفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجهل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لى أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلمطم وجهه بالماء لطما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء مائتير وإلا فسكره .

[ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والعموم في الوضوء ]  
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أى شيء أشد على قال غضب الله قال فما يعنى من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم قبله بسم أحاديث .

معى فى درجتى ويكون بعدى خليفى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزله بعد وهو ذوالكفل معى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه لكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

### ( بيان حقيقة الغضب )

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والوثن بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتباعد منها فلم يتصل بالرطوبة مندم من الغذاء مجرماً تمحل وتبخر من أجزائها لتفسد الحيوان تخلق الله الغذاء للوافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعث على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما انكسر وسد ما اثم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان فكالكسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فاقتر إلى قوة وحمة تور من باطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الإنسان ومجئها بطيئته فهما صدد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثار ثوراناً يخلى به دم القلب وينتشر فى المروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة قوة الغضب عليها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإعسا توجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال . أما التفریط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لاجمى له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى ﷺ بالشدة والجمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم - جاهد الكفار والناقين وأغلظ عليهم - الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الجمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن قلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزواج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتبعجون بتشفى النيط وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر على للكر والمحال ولا أجتعل من أحد أمراً ومناه لا تعقل فى ولا حلام ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضيف الغضب حمرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوضوء فى الصلاة  
ومن آدابهم استدامة  
الوضوء والوضوء سلاح  
المؤمن والجوارح إذا  
كانت فى حماية الوضوء  
الذى هو أثر شرعى يغل  
طروق الشيطان عليها .  
قال عدى بن حاتم  
ما أقيمت صلاة منذ  
أسلمت إلا وأنا على  
وضوء . وقال أنس  
ابن مالك « قدم النبى  
عليه الصلاة والسلام  
المدينة وأنا يومئذ  
ابن ثمان سنين فقال  
لى : يا بنى إن استطعت  
أن لا تزال على الطهارة  
فافعل فإنه من أتمام  
الموت وهو على الوضوء  
أعطى الشهادة فشان  
العاقل أن يكون أبداً  
مستعداً للموت ومن  
الاستعداد لزوم الطهارة  
وحكى عن الحصرى

في معرض الفجر بحبله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب بدخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه وتعود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود وجوه وحى مستفزه وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فأنمحي أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولا من خارج بل ينفي أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتغنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبها غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لا بطلان النار ما في جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسيفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من يحال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتعمر الأحداق وتقلب الناظر وتستحيل الخلفة ولورأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستعالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإن غابحت صورة الباطن أو لا ثم اقتصر قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من السلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند قور الغضب وذلك مع تحبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتزريق والقتل والجرح عند التحكك من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التثني رجح الغضب على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويمدو العدو الواله السكران والدهوش التحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويحتره مثل التشبه وربما يضرب الجادات والحیوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر السائدة إذا غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع الغضب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والثأنة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على إنشاء السروء هتك السر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما ثمرات الحية الضعيفة قلة الأنفة مما يؤفف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقناعة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الفيرة على الحرم وهو خونية قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا للغيور وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني (١)» وإنما خلقت الفيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الفيرة

أنه قال مهما أنتبه من الليل لا يعملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ثلاثا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وممعت من صحب الشيخ علي بن المهدي أنه كان يقدم الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما اتبته يقول لا أكون ناسا الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دفن نعليك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الاسلام

(١) حديث إن سعدا للغيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المفيرة نحوه وتقدم في النكاح



في رجالها وضمت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للسكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها <sup>(١)</sup> » يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله - بل من قد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخسيسة فتفقد الغضب مذموم وإنما المحمود يغضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها <sup>(٢)</sup> » فمن مال غضبه إلى القتور حتى أحس من نفسه بضغف الفيرة وخسة النفس في احتمال الدل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحسن من السيف فإن هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاتيان بالخير كله ينجى أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

( بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا )

اعلم أنه ظن ظانون أنه بتصور عو الغضب بالسكية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالحلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلاهما لا يقبل الضيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقته شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقته ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بتركه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ماهو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس وحمة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاء والمال الكثير والفلان والبواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضروري كالجاء والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحم على التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكافره فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث على بن رباح عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
(٢) حديث خير الأمور أوسطها (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم.

أرجى عندي أن لم  
أظهر طهرًا في ساعة قليل  
أنهار إلى أصليت لرب  
عز وجل بذلك الطهور  
ما كتب لي أن أصلي  
ومن أدبهم في الطهارة  
ترك الاسراف في الماء  
والوقوف على حد العلم .  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المروزي قال أنا أبو نصر  
الترقياني قال أخبرنا  
أبو محمد الجراحي قال  
أنا أبو العباس المحبوبي  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال حدثنا  
عبد بن بشار قال حدثنا  
أبو داود قال حدثنا  
خارجة بن مصعب  
عن يونس بن عبيد  
عن الحسن بن عبي  
ابن ضمرة السعدي عن  
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فبها كثرت كثرة النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجاهل بالعادات الرديئة وغالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكتسب القوي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبويا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق غيرها (١) » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم لهذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتفال مدة حتى يصبر الحلم والاحتفال خلقا راسخا فاما قم أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينتمى من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاتسكك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد جبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعجز حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى النع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فانت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالقصد والحجامة ولا يغضب على القصاد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن السكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على القصاد والحجامة لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحول غمظفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق غيرها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذاق غيرها قال الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسواوس الماء » قال أبو عبد الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيها أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقمة فغلبته غليظة فبها إلى الدجلة وكان برد شديد ففرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقمة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف على فمكثت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه (١) حتى قال «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبشأ مسلم سببته أولمته أو ضرته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢)» وقال عبدالله بن عمرو بن العاص «يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يبعثني بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣)» فلم يقل إنى لا يغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لأعمل بموجب الغضب «وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك قالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير (٤)» ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحمانى على الشر ، وقال على رضى الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدينا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يغم لتغيبه شئ حتى يتصره (٥)» فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضروره قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الاشتكاك منه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا اشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض للمهمات يمنع الاحساس بماعدا ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيتي فأنا شر مما تقول وإن قلت موازيتي لم يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقى الله حتى تغافله ويعرفه حتى معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بميزان النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا امرأتى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولا بأن يتنى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يليقه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لى وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فمذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغاب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند قوات بعض المحاب فاذا يتصور قد الغيظ إماما اشتغال القلب بهم أو قبلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتأذى فبطنى شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما حاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضرته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد تقدم ولمسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى جلى من حديث أبى سعيد أو ضرته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يبعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبوداود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدينا الحديث الترمذى في المعجم الاثني عشر وقد تقدم.

عليه شهرا لتخاتها  
وغلظها أدب بذلك  
نفسه لما حرت عن  
الانتثار لأمر الله تعالى  
وقيل إن سهل بن  
عبد الله كان يحث  
أصحابه على كثرة شرب  
الماء وقلة صبه على  
الأرض وكان يرى أن  
في الإكثار من شرب  
الماء ضعف النفس  
وإمالة الشهوات وكسر  
القوة ومن أفعال  
الصوفية الاحتياط في  
استيقاء الماء للوضوء  
قيل كان إبراهيم  
الخوارج إذا دخل  
البادية لا يحمل معه  
إلا ركوة من الماء وربما  
كان لا يشرب منها  
إلا القليل يحفظ الماء  
للوضوء وقيل إنه كان  
يخرج من مكة إلى  
السكوة ولا يحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب دَم الدنيا ومن أخرج حب الزايع عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضف الغضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

### ( بيان الأسباب للمهجة للغضب )

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى لميسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال لما يدي الغضب وما يثبت قال عيسى : الكبر والفخر والتمزز والحمية والأسباب للمهجة للغضب هي الزهو والمجب والمزاج والمزول والمزء والتعير والمارة والضادة والفدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بمعرفة نفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشثانا فبنو آدم جنس واحد وإنما اختلفوا بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصناف وأصنافها ما لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة ، وأما المزاج فتزيله بالتشاغل بالأمهات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزول فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مرء الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعل الاستغناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها والترغب النفس عنها وتنفر عن قبورها ثم المواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوقة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالأتايب المحموده غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيخرج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصبر والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من السكهل وذو الجلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأنحابه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والرفق وما استحسن منهم من كظم الفظ فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكراد والأثراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

التيتم يحفظ الماء  
للموضوء ويقنع بالقليل  
لشرب . وقيل إذا  
رأيت الصوفي ليس معه  
ركوة أو كوز فاعلم أنه  
قد عزم على ترك الصلاة  
شاء أم أبى . وحكى عن  
بعضهم أنه أدب نفسه  
في الطهارة إلى حد أنه  
أقام بين ظهري جماعة  
من النسك وهم  
مجمعون في دار فآراه  
أحد منهم أنه دخل  
الحلاء لأنه كان يقضي  
حاجته إذا خلا الوضع  
في وقت يريد تأديب  
نفسه ، وقيل مات  
الحواص في جامع  
الري في وسط الماء  
وذلك أنه كان به علة  
البطن وكما قام دخل  
الماء وغسل نفسه  
فدخله مرة ومات فيه  
كل ذلك لحفظه على

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

## ( بيان علاج الغضب بعد هيجانه )

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى بسبب هيجانه فسنذكره يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه الذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والغفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التعففى والانتقام وينظف عنه غيظه قال مالك بن أنس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه قلت يا أمير المؤمنين - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفا عند كتاب الله مهتماً عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخطى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لتلامه خل عنه . الثانى أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرنى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يفضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما يكون إلى الغفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القدعية : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرنى حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيلاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أى القصاص في القيامة وقيل ما كان في بنى إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخشى الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى في هدم أغراضه والشماتة بصائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تنشوش عليه في الدنيا فراغته لالم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ويغير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عاذنهم لتبيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذى يدعو إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والقلة والمهانة وتصور حقيراً في أعين الناس فيقول لنفسه ما عجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة واليبيين فهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه لله وذلك يحظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تبعه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله وبوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارة وقول  
كان إبراهيم بن آدم به  
قيام قدام في ليلة  
واحدة نفا وسبعين  
مرة كل مرة يجدد  
الوضوء ويصل ركعتين  
وقيل إن بعضهم أدب  
نفسه حتى لا يخرج  
منه الريح إلا في وقت  
البراز يراعى الأدب  
في الحلووات واتخاذ  
التدليل بعد الوضوء  
كرهه قوم وقالوا إن  
الوضوء يوزن وأجازه  
بعضهم ودليلهم  
ما أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن على قال أنا أبو الفتح  
المهروى قال أنا أبو نصر  
قال أنا أبو محمد قال  
أنا أبو العباس قال  
أنا أبو عيسى الترمذى  
قال حدثنا سفيان بن  
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند القيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى اتفاح أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدهم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يفتل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه واتفاح أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل الواضع وهو التراب لتسحق به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فلما بعاه فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد  
ابن حباب عن أبي  
معاذ عن الزهري  
عن عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت  
كان لرسول الله صلى الله عليه  
عليه وسلم خرقه ينشف  
بها أعضاءه بعد  
الوضوء . وروى معاذ  
ابن جبل قال رأيت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذا توضأ مسح  
وجهه بطرف ثوبه  
واستفصاه الصوفية في  
تطهير البواطن من  
الصفات الرديئة  
والأخلاق الذمومة  
لا الاستفصاء في طهارة  
الظاهر إلى حد يخرج  
من حدة العلم وتوضأ عمر  
رضي الله عنه من جرة  
نصرانية مع كون  
النصارى لا يعترزون  
عن الحرم وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند القيظ متفق عليه من حديث سلمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسقيان فأحدهما احمر وجهه وامتفتحت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب جرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلقي أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع (١) وقال المصنوع بن سلمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست إليه إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضعاً فسكر بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها أرحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أى لا تطل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

### ( فضيلة كظم الغيظ )

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض الدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً (٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى (٥) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شقى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في العفو ومن الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أعجمية فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات .

### ( فضيلة كظم الغيظ )

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاء الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشرط الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً باسناد جيد والبرار والطبراني في معارج الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأصل  
الطهارة وقد كان  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يسألون على الأرض من  
غير سجادة ويمشون  
حفاة في الطرقات وقد  
كانوا لا يعملون وقت  
النوم بينهم وبين التراب  
حائلاً وقد كانوا  
يقنعون على الحجر  
في الاستجاء في بعض  
الأوقات وكان أمرهم في  
الطهارة الظاهرة على  
الناس واستقصاء  
في الطهارة الباطنة  
وهكذا شغل الصوفية  
وقد يكون في بعض  
الأشخاص تشدد في  
الطهارة ويكون مستند  
ذلك رغبة النفس فلو  
اتسع ثوبه تخرج ولا  
يأبى بما في باطنه من  
الغل والحقد والكبر

غِيظُهُ بِعَصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غِيظٍ كَظْمِهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفَعَهُ دَعَاءُ اللَّهِ عَلَى رَدِّهِ مِنَ الْخَلَائِقِ وَبِغْيَرِهِ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ (٣) » الْآثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ أَتَقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ وَلَوْ لَوَلَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَارُونٍ . وَقَالَ لِقَمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَى لَا تَنْهَبِ مَاءَ وَجْهِكَ بِالسَّالِقِ وَلَا تَشْفِ غِيظَكَ بِفَضِيحَتِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَنْفَعُكَ مَعِيَّتُكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلَمٌ سَاعَةً يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو خَزِيمَةَ الْبَرِ بُوْعَى وَالْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فَقَدَا كَرُوا الزَّهْدَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحَلَمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْجُرْعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِمَرْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقْضَى بِالْعَدْلِ وَلَا تَعْطَى الْجَزْلُ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ تَخَذَالَهُمْ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَارًا فَاطْفَقَتْ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْ رِشَاءً فِي الْبَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبِ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَيَدَكَ .

### ( بيان فضيلة الحلم )

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطيب وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ وَالْحَلَمُ بِالْحَلَمِ وَمَنْ يَتَغَيَّرِ الْحَيَرُ يَعْطَلُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْفَهُ (٤) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحَلَمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ أَوَّلًا وَتَكْلُفُهُ كَمَا أَنَّ اكْتِسَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحَلَمَ لِيَنْوَالُوا مَنْ تَعْمَلُونَ وَلِمَنْ تَعْمَلُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابَةِ الْعُلَمَاءِ فَيَقْلَبُ جِهْلُكُمْ حِلْمًا (٥) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبُرَ وَالتَّجَبُّرَ هُوَ الَّذِي يَهْجِجُ الْغَضَبَ وَيَنْعِي مِنَ الْحَلَمِ وَاللَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحَلَمِ وَأَكْرِمْنِي بِالْتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ (٦) » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّضَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصِلُ مِنْ قَطْعِكَ وَتَعْطَى مِنْ حَرَمِكَ وَتَحْلُمُ عَنْ جَهْلٍ عَلَيْكَ (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بعصية الله تقدم في آفات اللسان  
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا ملاء الله قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

### ( فضيلة الحلم )

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الهيثم بن يسار  
(٥) حديث أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة المتعلمين  
(٦) حديث من دعائه اللهم اغنى بالعلم وزين بالحلم وأكرم بالتيقوى وجملى بالعافية لم أجده  
(٧) حديث ابتغوا الرضا عند الله قالوا وما هي ؟ قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عما جمل عليك وقد تقدم .

والمحب والرياء والتفاق  
ولعله ينحصر على  
الشخص لو دلس  
الأرض حافيا مع وجود  
رخصة الشرع ولا  
ينكره عليه أن يتكلم  
بكلمة غيبة مخرب بها  
دينه وكل ذلك من قلة  
العلم وترك التأدب  
بصحبة الصادقين من  
العلماء الراغبين وكانوا  
يكرهون كثرة الدلائل  
في الاستبراء لأنه ربما  
يسترخى المروق ولا  
يسك البول ويتولد  
منه القطر المفرط .  
ومن حكايات المتصوفة  
في الوضوء والطهارات  
أن أبا عمرو الزجاجي  
جاور بمكة ثلاثين سنة  
وكان لا يخطو في الحرم  
ويخرج إلى الحل وأقل  
ذلك فرسخ . وقيل  
كان بعضهم على وجهه



وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والكواثر المطر<sup>(١)</sup> » وقال على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته<sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسبئونني ويجهلون علي وأحلم عنهم إل إن كان كما تقول فكأنما تسفهم الله ولا يزال معك من الله ظهير مما دعت على ذلك<sup>(٣)</sup> » قال يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين « اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ « إني قد غفرت له<sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل يمنى كان قبلكم كان إذ أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني<sup>(٥)</sup> » وقيل في قوله تعالى - ربانين - أي علماء عطاء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا - لا ما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح - يعيشون على الأرض هونا - أي حلا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا - قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد - وإذا صرخوا باللغو صرخوا كراما أي إذا أوصفوا. وروى « أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما<sup>(٦)</sup> » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب<sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ليليني منكم ذؤاد الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيئات الأسواق<sup>(٨)</sup> » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشعج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العية ثوبين حنين فلبسهما وذلك بعين

(١) حديث خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبي عاصم في الثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسبئونني إلى ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عايه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له محبة وإنما هو متقدم (٥) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم الحديث تقدم في آفات الإنسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلوة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليليني منكم ذؤاد الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا تختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قرح لم يتبدل انفق عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا إليه اللداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه قال اللداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أيا ما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وذكر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله تعالى الجنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلطان تخلفتهما أو خلطان جبلت عليهما فقال بل خلطان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما الله ورسوله <sup>(١)</sup> وقال <sup>(٢)</sup> «إن الله يحب الحلم الذي لا يتعسف أبداً بالعيال التي لا تفيض الفاحش الذي السائل للتحلف الذي <sup>(٣)</sup>» وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله تموى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس <sup>(٤)</sup>» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيطلقون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إن أنزلكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسى إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين <sup>(٥)</sup>» . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلوا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا يتباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صبيح دعاة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم تهدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تفرضهم عن عرضك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحلم من سخطه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوره ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لمعروبن الأهم أمي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتبه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فظفر الله لك وإن كنت صادقا فظفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لمعروبن الأهم أمي الرجل أشجع قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فعل فعل فيهم مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتضيقها ففكس الرجل رأسه واستسقى . وقال رجل لمعروبن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخمضة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمسين خصال محمود : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعبد من الله عز وجل وحمله على التسامح والتوبة

(١) حديث يأنشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحي الحليم الذي التفتف الحديث الطبراني من حديث سعد إن الله يحب العبد الذي التقي الذي (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز بأسناد ضيف والطبراني من حديث أم سلمة بأسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة (٤) حديث إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلمي قالت - قد أفلح للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا - وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل له لوك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» اشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والحشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود قسه الأماره بالسوء ومسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

ورجوعه إلى مدح بعد القسم اشترى جميع ذلك شيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذل فإن جعفر إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه برده عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحم ومن رستم يسمي ومن يجهل يظلم ومن يسجل يخطئ ومن يحرص على الثمر لا يسم ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصمم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يقول الله يمنع ومن لا يسأل الله يخسر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذ أن أكرم علي من قسي لي إذا ضللت ذلك أهديت لك حساني . وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي ومرة المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام قوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفي عما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحكيم إلا عند التضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت للسائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضطربا فتمعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلنا نطعم فمقطت دجاجة على للسائدة فأفسدت ما عليها فلم يضرب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يضرب قيل له في ذلك فقال أقتنه مقام حجر تثررت به فذهبت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزوم نفسي الصفيح عن كل مذنب وإن سكثرت منه على الجرائم  
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقاوم  
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم  
وأما الذي دون فإن قال ضنت عن إجابته عرضي وإن لام لأنم  
وأما الذي مثل فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

( بيان التقدير الذي يجوز الانتصار والتشقي به من الكلام )

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فضلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه »<sup>(١)</sup> وقال « المستبان ما قال فهو على البادي » ما لم يحد المظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاوران »<sup>(٢)</sup> « وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان »<sup>(٣)</sup>

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم  
(٢) حديث للمستبان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج  
السلوة الإلمية  
والعظمة الربانية  
ما يزول به اعوجاجه  
بل يتحقق به معراج  
فالمصلي كالمصلي بالنار  
ومن اصطلى بنار الصلاة  
وزال بها اعوجاجه  
لا يمرض على نار جهنم  
إلا غلة القسم . أخبرنا  
الشيخ العالم رضى  
الدين أحمد بن إسماعيل  
القزويني إجازة قال أنا  
أبو سعيد محمد بن أبي  
العباس بن محمد بن أبي  
العباس الحليل قال أنا  
أبو سعيد الفرخزادى  
قال أنا أبو إسحق أحمد  
ابن محمد قال أنا  
أبو القاسم الحسن بن  
محمد بن الحسن قال أنا  
أبو زكريا يحيى بن محمد  
العنبري قال ثنا جعفر  
ابن أحمد بن الحافظ

وقال قوم تجوز للقايلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بمثله  
نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يحى به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من  
بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى  
أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة  
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله  
يا جاهل إنما من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سي الحاق يا صفيق الوجه  
يا تلابيا للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحرقت في عيني بما  
فعلت وأخزأك الله واستقم منك . فأما النجعة والنجية والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى  
أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ  
ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقول والدليل على جواز ما ليس  
بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى  
الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك بآلتك العدل في  
ابنة أبي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا بنية آثمين ما أحب قالت نعم قال فآحي هذه فرجعت  
إلين فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني  
في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تذكرني وأنا حاككة أتظن أن يأذن لي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) « بنى أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها ميتها ليس المراد به الفحش  
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المستبان ما قاله الأفعلى  
البادئ منها حتى يتدى للظلم (٣) » فأثبت للظالم انتصار إلى أن يتدى فهذا القدر هو الذي أباحه  
هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعذ الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل  
ركه فانه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر  
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه  
في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس  
في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الخلود وبعضهم كالغضب على الوقود بطيء الخلود  
وهذا هو بطيء الوقود سريع الخلود وهو الأحمد الميته إلى فتور الحية والغيرة وبعضهم سريع الوقود  
بطيء الخلود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال  
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى لم يرض فهو شيطان وقد قال  
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى  
فهم بطيء الغضب سريع النية ومنهم سريع الغضب سريع النية فتللك تلك ومنهم سريع  
الغضب بطيء النية ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع النية وشرهم السريع الغضب البطيء النية (٥) »

قال أنا أحمد بن نصر  
قال ثنا آدم بن أبي  
إياس عن ابن سمعان  
عن الصادق بن  
عبد الرحمن عن أبيه  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال « يقول  
الله عز وجل قسمت  
الصلاة بيني وبين  
عبدى نصفين فإذا قال  
العبد بسم الله الرحمن  
الرحيم قال الله عز وجل  
عبدى فإذا  
قال الحمد لله رب العالمين  
قال الله تعالى حمدى  
عبدى فإذا قال  
الرحمن الرحيم قال الله  
تعالى أني على عبدى  
فإذا قال مالك يوم  
الدين قال فوض إلى  
عبدى فإذا قال إياك  
نعبد وإياك نستعين  
قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم  
(٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني  
أزواجك بآلتك العدل في ابنة أبي قحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المستبان ما قاله الأفعلى  
البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .  
(٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يقاب أحدًا في حال غضبه لأنه ربما يعمد الواجب ولأنه ربما يكون متغيظًا عليه فيكون متشفيًا لغيظه ومريحًا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فيذبح أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعززه فشمته السكران فرجم عمر قبيل له بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عززته لكان ذلك لنفسي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلمًا حمية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما قبضت .

### ( القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة العفو والرفق )

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لمعجز عن التثني في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استغفاله والبغضة له والنفاق عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن ليس بحقدود» (١) فالحقد ثمرة الغضب والحقد شجرة غريبة أمور الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وترسم خصية إن نزلت به وهذا من فضل للتأقنين وسبأى ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استغفاله . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى الله به ولكن تستغله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النفع له أو ترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويعول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يمرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فله محقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

### ( فضيلة العفو والاحسان )

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

### ( فضيلة العفو )

(١) حديث المؤمن ليس بحقدود تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

سبدي فاذا قال ساهدتا  
الصراط المستقيم  
صراط الدين أنعمت  
عليهم غير الغضب  
عليهم ولا الضالين -  
قال الله تعالى هذا  
سبدي ولسبدي ما سأل  
فالصلاة صلة بين الرب  
والمبد وما كان صلة  
بينه وبين الله خلق  
المبد أن يكون خاشعًا  
لصلاة الربوبية على  
العبودية وقد ورد أن  
الله تعالى إذا تجلى  
لشيء خضع له ومن  
يتحقق بالصلاة في الصلاة  
تلمع له طوابع التجلي  
فيخشع والفلاح للذين  
هم في صلاتهم خاشعون  
وباستقاء الخشوع يتنقى  
الفلاح وقال الله تعالى  
- وأقم الصلاة لذكري -  
وإذا كانت الصلاة  
لذكر فكيف يقع

الفيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقال الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلاقا لحلفت عليهن مائة مائة من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا نتج رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عززا فاعفوا يرفعكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضى الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم يترك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خيرين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إيما (٣) » وقال عقبه « لعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أوبدنى فأخذ يدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطى من حرملك وتغفو عن ظلمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أىّ عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا (٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذى يغفو إذا قدر فاعفوا يرفعكم الله (٦) » وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظلمة بين هم الفلحون يوم القيامة (٧) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا مشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض (٨) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلّى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء ولا بحضور عقل والناقل يصلّى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشيئا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذى نفسى بيده إن كنت حاقفا لحلفت عليهن ما نقصت صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ومسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رفة فتواضعوا يرفعكم الله الأصمهاى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذى فى الشئائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبى الدنيا والطبرانى فى معارج الأخلاق والبيهقى فى الشعب بأسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أىّ عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا الخرائطى فى معارج الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن الظلمة بين هم الفلحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنظلى مرسل (٧) حديث أنس إذا بعث الله عزّ وجلّ الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا مشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ فى كتاب التبصرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمى وإسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا الظالم بينكم وموابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليحب بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قال فخرجوا كأنما نضروا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا مشرك قريش ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم - (٢) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي له على الله أجر ؟ قال العاقون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألما فيدخلونها بغير حساب (٣) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله غفويحب الضوم قرأ - وليعفوا وليصنعوا - الآية (٤) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى ديننا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو أحدهن يا رسول الله قال أو أحدهن (٥) . الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل يظلمني فأرحمه وهذا إحسان وراه الضو لأنه يشتغل قلبه بخرقه لمصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن ينحف عبدا فيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت ندعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبتنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسمعك غفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظلمه كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركه بعمله ونحن أن لا نفعل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الضو فيكافئهم الله بما كان من غفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ففقا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فواقبه وقال :

تمعو للهلك عن العظمى من الذنوب بغفلها  
ولقد تجاوزت في اليسير وليس ذاك لجليلها

(١) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل من ذا الذي أجره على الله قال العاقون عن الناس الحديث الطبرنى في معارج الأهل وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله غفويحب الضو الحديث أحمد وإسحاق ومصححه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى في الأوسط وفيه ضعف

- الذين هم في صلاحهم  
خالصون - جعلوا  
وجوههم حيث  
يسجدون وما رؤى بعد  
ذلك أحد منهم يفت  
إلا إلى الأرض وروى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
« إن العبد إذا قلم إلى  
الصلاة فإنه بين يدي  
الرحمن فإذا التفت فالتفت  
له الرب إلى من تلمست  
إلى من هو خير منك منى  
ابن آدم أقبل إلى قاتل  
خير لك ممن تلمست  
إليه » وأبصر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
رجلا يبيت بلحته في  
الصلاة فقال لو ختمت  
قلب هذا ختمت  
جوارحه » ولقد قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا صليت

إلا يعرف حلها ونحاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقات يأمر المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه فقال خيلنا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمسكنكم الفرصة فإذا أمكنكم فليكنم بالصفح والإيصال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرايت ذا القرنين ؟ كان نبيا ؟ فقال لا ولكنك إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر استقم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بنى الحقد والغضب . وأتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتكلم أيضا ؟ فقال الرجل يأمر المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما . قال هشام بلى ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين ثقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يتنازع طعاما فاتباع ثم طلب الدرام وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلت وإني لأمي فجهلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم أقول به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف ففرقت دنائير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدناير تبكي ؟ فقال لا ولكن مثائلي وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عظمى على إدهاض حجة فكأن رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فاستمع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالتى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به ؟ أذاله منهم ورفع ذكره وأعلى كفته وجعله على خزائن الأرض فسادا صنع حين أكل له أمره وجمع له أهله - قال لا تنرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالغزو عن أصحابه قال الحكم فإنا أقول لا تنرب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبي هذا لو أريتكم نعمته وكتب ابن القفح إلى صديق له يسأله الغفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى غفوك لا ندم منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد الغفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأصارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك مانع من الظفر فأعط الله مانع من الغفو فضا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جنت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جنتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فإنا آتيناك بكتاب من المميز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يبقا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزورا زورا أخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجة . وقيل مكتوب في الإنجيل من استغفر من ظلمه فقد هزم الشيطان .

فصل صلاة مودع  
فالمصل سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هو له ودينه وكل شيء سواء والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان الصلي يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والميئات في غلغات بتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادع - ونى استجب لكم - كان خالد الرامي يقول بحجة لهذه الآية - ادعوني استجب لكم - أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة



## ( فضيلة الرقي )

اعلم أن الرقي محمود وبيضاءه العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرقي واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبات فالرقي في الأمور مخرمة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرقي وبالحق فيه قال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرقي فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطى على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرقي وما من أهل بيت يحرمون الرقي إلا حرموا محبة الله تعالى»<sup>(٣)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرقي ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف»<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرقي يحرم الخير كله»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «أبما والى فرقي ولان رقي الله تعالى به يوم القيامة»<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والحرق شؤم»<sup>(٩)</sup> وقال عليه السلام «التأني من الله والمجلة من الشيطان»<sup>(١٠)</sup> وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فاتته»<sup>(١١)</sup>

## ( فضيلة الرقي )

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعملي في الضعفاء في ترجمة عید الرحمن بن أبي بكر الليثي وضعه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثهما يا عائشة إن الله يحب الرقي في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرقي الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة أرفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة أرفقي (٦) حديث من يحرم الرقي يحرم الخير كله الحديث مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبما والى فلان ورفقي ورفقي الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من أمر أمي شيئا فرفق بهم فافرق به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وفي آداب الصحبة (٩) حديث الرفق بين والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والمجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد باللفظ الآتية من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فإذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث أبي جعفر

هي تؤذ دعاء البعد  
فإن الداعي الصادق  
الما لم يمن بدعوه بنور  
يقينه فتخرق الحجب  
وتقف الدعوة بين  
يدي الله تعالى متقاضية  
للحاجة وخمس الله  
تعالى هذه الأمة بإزال  
فاتحة الكتاب وفيها  
تقديم الثناء على الدعاء  
ليكون أسرع إلى  
الاجابة وهي تعلم الله  
تعالى عباده حكيمة  
الدعاء وفاتحة الكتاب  
هي السبب الثاني  
والقرآن العظيم قيل  
سميت مثاني لأنها زلت  
على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مرتين مرة  
بمكة ومرة بالمدينة  
وكان لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
بكل مرة زلت منها فهم  
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم وإمام ورعه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أنعم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية بمن هودونه. وقال وهب بن منبه الرفق نقي الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزيته العلم بزيته العمل بزيته الرفق وما أضيئ شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية . قال فما الخرق ؟ قال معاداة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والغلظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالملأ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت نداء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق المحوى وهو ألد من الزيد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن الشبث مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون عخطا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك العالی ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الجدم إلا مالا يدمنه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يهطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا نداء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإعمال السكامل من بيمر مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن التبعج معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا المصلون المحققون من أمته يتكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل مبيت مثاني لأنها استنبتت من الرسل وهي سبع آيات وروى ثم رومان قالت رأيت أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرتني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن أطرافه لا يتميل تميل البهو دفان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو السمي عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والدهما أبو الشيخ في كتاب الثواب وفوائد الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف.

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع النسيمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه ونمراه «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تبادبوا وكونوا عباد الله إخوانا» (٢) وقال أنس «كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيتهم وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فلم فلما كان القد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فقلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكذت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا مارأيت فلما وليت دعاني فقال ماهو إلا مارأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالخروج من ذلك إذا ظننت فلا تحمقي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ» (٤) وفي رواية «ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن» فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحائلة لأقول حائلة الشعر ولكن حائلة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تبادبوا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه الأبرار وسمى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن طبيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الرمي ضعهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف للطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم «تعودوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب» . أما عبد اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقلعة مافي باطنهم فكان يهين الأمور ويضخمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع على والده اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نجات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلِبَ القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم : « إنه سيصيب أمي داء الأم قالوا وما داء الأم قال الأشتر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم المخرج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تمجّل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فقبضه بمكانه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يجزّيه باسمه فلم يجزّيه وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والدية ولا يئس بالخمسة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمق منسخط لقضائي غير راض بما سمعني التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويفتنون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم : « إن نعم الله أعداء قليل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم : « ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية والدهاقين بالكبر والتجار بالحيلة وأهل الرستاق بالجهالة والعطاء بالحسد » (٧) « الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فعمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد ثمانية أقتل

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية فتم بالاستعلاء والقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فهايلوا من غير حظ لبوا طمهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وظابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا تشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لا هيا » واعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلِبَ القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمي داء الأم قبلكم قالوا وما داء الأم قال الأشتر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في رحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر لهم المال فيتنحاسدون ويفتنون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي طاهر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمدا أخاف عليكم من بدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري وأما ما الفقر أختى عليكم ولكني أختى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمرو لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بنسند ضعيف (٦) حديث إن نعم الله أعداء قليل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل النعم حسادا فأحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والعطاء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاستك وإذا ذكرت النجوم فاستك. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يضئ بعض اللوك فيقوم بخذاء الملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته حسده رجل على ذلك للقيام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بخذاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أذنه ثلاثاً ثم ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بخذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه فخافه أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلاناً إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب وأسلخه واحش جلد تبناً وابث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وأسلخه وحشاً جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فغضب الملك وقال ماضل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوبه مني فوجهته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى السوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن غمه في صدره فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً . وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إقامتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق . وقال أعرابي ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه . وقال الحسن بن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولاً ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

( بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه )

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداها أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسداً فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثله وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم المنافسة وقد تسمى للحسد منافسة ويوضع أحد المنافسين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يفيط

( بيان حقيقة الحسد وحكمه )

أوجب الصلوات الخمس  
وقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الصلاة عماد الدين  
فمن ترك الصلاة فقد  
كفر » فالصلاة تحقيق  
العبودية وأداء حق  
الربوبية وسائر  
العبادات وسائل إلى  
تحقيق سر الصلاة .  
قال سهل بن عبد الله  
يحتاج العبد إلى السنن  
الرواتب لتكميل  
القرائن ويحتاج إلى  
النوافل لتكميل  
السنن ويحتاج إلى  
الآداب لتكميل  
النوافل ومن الأدب  
ترك الدنيا والذي ذكره  
سهل هو معنى ما قال  
عمر على النسيب إن  
الرجل ليشيب عارضا  
في الإسلام وما أكمل  
له صلاة قبل وكيف

والتناقى يحسد<sup>(١)</sup> فاما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجبر أو كافر وهو يستمين بها على تهيج الفتنة وافساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضر كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد لو أمنت فسادهم يضمنك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عنر فيه ولا رخصة وأى محبة تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسكتم حسنة نسوّم وإن تصبكم سيئة يفرّحوها - وهذا القرح شناعة والحسد والشهامة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن حبيهم زوال نعمة الإيمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء ذكركم الله تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم - فلما كرهوا أحب أيهم له وساء لهم ذلك وأجبروا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما آووا - أى لا تضيق صدورهم به ولا يضمنون فأثنى عليهم بدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يحدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا<sup>(٢)</sup> . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بغيا - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة<sup>(٣)</sup> فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما المناقصة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المناقصة والمناقصة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يضبط والتناقى يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإسماعيل من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار «إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلي من يتأجج ما التفت» أو ما اتفقت وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات لله ملائكة في الركوع منذ خلقهم لله لا يرضون من

قَالَ قَتْمُ بْنُ عَبَّاسٍ لما أَرَادَ هو والنُّضْلُ أَنْ يَأْتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَاهُ أَنْ يُؤْمِرَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ قَالَ لَمْ يَلْمِ حِينَ قَالَ لهما لَا تَذْهَبَا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِرُكَمَا عَلَيْهَا فَقَالَا لَهُ مَا هَذَا مِنْكَ إِلَّا نَفَاسَةٌ وَأَنَّكَ أَقْدَرُ زَوْجِكَ ابْنَتُهُمَا تَقْسِمَانَا ذَلِكَ عَلَيْكَ (١) أَيْ هَذَا مِنْكَ حَسَدٌ وَمَا حَسَدُكَ عَلَى تَرْوِجِهِ إِلَّا أَنَّكَ فَاطِمَةُ وَالنَّفَاسَةُ فِي اللَّفْظِ مُشْتَقَّةٌ مِنَ النَّفَاسَةِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ النَّفَاسَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى - وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ - وَقَالَ تَعَالَى - سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ - وَإِنَّمَا السَّابِقَةُ عِنْدَ خَوْفِ الْقَوْتِ وَهُوَ كَالْمُبْدِينَ يَتَسَابِقَانِ إِلَى خِدْمَةِ مَوْلَاهُمَا إِذْ يَجْزَعُ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَسْبِقَهُ صَاحِبُهُ فَيَحْظِي عِنْدَ مَوْلَاهُ بِمَنْزِلَةٍ لَا يَعْطَى هُوَ بِهَا فَكَيْفَ وَقَدْ صَرَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فِصْلَ لَهُ عَلَى هَلِكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُسَلِّمُهُ النَّاسُ» (٢) ثُمَّ فُسِّرَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ «مِثْلُ هَذِهِ الْأُمَةِ مِثْلُ أَرْبَعَةِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَا لَا يَقُولُ رَبُّ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلُ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ» وَهَذَا مِنْهُ حُبٌّ لِأَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَالِهِ فَيَعْمَلُ بِمِثْلِ مَالِهِ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْهُ قَالَ «وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَنْفَقُهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَا لَا يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلُ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَتَّقُهُ فِي مِثْلِ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ» (٣) فَذَمَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَةِ تَعْنِيهِ لِلنِّعْمَةِ لَا مِنْ جِهَةِ حُبِّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ النِّعْمَةِ مِثْلُ مَالِهِ فَإِذَا أُخْرِجَ عَلَى مَنْ يَغْبِطُ غَيْرَهُ فِي نِعْمَةٍ وَيَشْنِي لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا مِمَّا لَمْ يَحِبَّ زَوَالَهَا عَنْهُ وَلَمْ يَكْرَهُ دَوَامَهَا لَهُ ، نَمَّ إِنْ كَانَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ نِعْمَةً دِينِيَّةً وَاجِبَةً كَالْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَهَذِهِ لِلنَّفَاسَةِ وَاجِبَةٌ وَهُوَ أَنْ يَحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلُهُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَحِبُّ ذَلِكَ فَيَكُونُ رَاضِيًا بِالنِّعْمَةِ وَذَلِكَ حَرَامٌ وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ مِنَ الْفَضَائِلِ كَاتِفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي السَّكَّامِ وَالصَّدَقَاتِ فَالْنَّفَاسَةُ فِيهَا مَدْبُوبٌ إِلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ نِعْمَةً يَتَعَمَّقُ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَبَاحٍ فَالْنَّفَاسَةُ فِيهَا مَبَاحَةٌ وَكُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى إِرَادَةِ مَسَاوَاتِهِ وَاللَّحُوقِ بِهِ فِي النِّعْمَةِ وَلَيْسَ فِيهَا كِرَاهَةُ النِّعْمَةِ وَكَانَ تَحْتَ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا رَاحَةُ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَالْآخَرُ ظُهُورُ نِقْصَانٍ غَيْرِهِ وَتَخَلُّفُهُ عَنْهُ وَهُوَ يَكْرَهُ أَحَدَ الْوَجْهَيْنِ وَهُوَ تَخَلُّفُ نَفْسِهِ وَيَحِبُّ مَسَاوَاتِهِ لَهُ وَلَا أُخْرِجَ عَلَى مَنْ يَكْرَهُ تَخَلُّفَ نَفْسِهِ وَتَعَصُّبَهَا فِي اللَّبَاحَاتِ ، نَمَّ ذَلِكَ يَنْقُصُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَيَتَأَقَّصُ الزَّهْدَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَيَعْجَبُ عَنِ الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ وَلَكِنَّهُ لَا يُوْجِبُ الْعَصْيَانَ . وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ غَامِضَةٌ : وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَنَالُ مِثْلَ تِلْكَ النِّعْمَةِ وَهُوَ يَكْرَهُ تَخَلُّفَهُ وَتَعَصُّبَهُ فَلَا مَحَالَةَ يَحِبُّ زَوَالِ النِّقْصَانِ وَإِعْمَالِ زَوَالِ نِقْصَانِهِ إِمَّا أَنْ يَنَالُ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ بِأَنْ تَزُولَ نِعْمَةُ الْمَحْسُودِ فَإِذَا انْسَدَّ أَحَدُ الطَّرِيقَيْنِ فَيَكَادُ الْقَلْبُ لَا يَنْفَكُ عَنِ شَهْوَةِ الطَّرِيقِ الْآخَرِ حَتَّى إِذَا زَالَتِ النِّعْمَةُ عَنِ الْمَحْسُودِ كَانَ ذَلِكَ أَشْفَى عِنْدَهُ مِنْ دَوَامِهَا إِذْ بَزْوَالُهَا يَزُولُ تَخَلُّفُهُ وَتَقْدَمُ غَيْرُهُ وَهَذَا يَكَادُ لَا يَنْفَكُ الْقَلْبُ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ لَوْ أُلْقِيَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ وَرَدَ

(١) حَدِيثٌ قَالَ قَتْمُ بْنُ عَبَّاسٍ لما أَرَادَ هو والنُّضْلُ أَنْ يَأْتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَاهُ أَنْ يُؤْمِرَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ قَالَ لَمْ يَلْمِ الْحَدِيثُ هَكَذَا وَقَعَ لِلْمُصَنِّفِ أَنَّهُ قَتْمٌ وَالْفَضْلُ وَإِنَّمَا هُوَ الْفَضْلُ وَالطَّلَبُ ابْنُ رِيْعَةٍ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الطَّلَبِ بْنِ رِيْعَةٍ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ اجْتَمَعَ رِيْعَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الطَّلَبِ فَقَالَا وَأَنَّكَ لَوَبِشْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ قَالَ لِي وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ اثْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَاهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ (٢) حَدِيثٌ لَأَحْسَدُ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَدَمٍ فِي الْعِلْمِ (٣) حَدِيثُ أَبِي كَبْشَةَ مِثْلُ هَذِهِ الْأُمَةِ مِثْلُ أَرْبَعَةِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ

الرَّكُوعَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
وَهَكَذَا فِي السُّجُودِ  
وَالْقِيَامِ وَالْعَمَلِ وَالْعَمَلِ  
لِلنِّقْظِ يَتَصَفَّى فِي  
رُكُوعِهِ بِصِفَةِ الرَّائِكِينَ  
مِنْهُمْ وَفِي السُّجُودِ  
بِصِفَةِ السَّاجِدِينَ وَفِي  
كُلِّ هَيْئَةٍ هَكَذَا يَكُونُ  
كَالوَاحِدِ مِنْهُمْ وَيَتَنَبَّهُ  
وَفِي غَيْرِ الْفَرِيضَةِ  
يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَمُكِّثَ  
فِي رُكُوعِهِ مِثْلَ ذَلِكَ  
بِالرَّكُوعِ غَيْرِ مَعْنَى  
بِالرَّفْعِ مِنْهُ فَإِنْ طَرَقَتْ  
سَامَةٌ بِحُكْمِ الْجَبَلَةِ  
اسْتَغْفَرَ مِنْهَا وَبَسْتَدِيمَ  
تِلْكَ الْهَيْئَةِ وَبَطَلَعَ  
أَنْ يَذُوقَ الْخُشُوعَ  
الْآتِي بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ  
لِيَصِيرَ قَلْبُهُ بِلَوْنِ الْهَيْئَةِ  
وَرَبِّمَا يَتَرَامَى لِلرَّائِكِ  
الْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ سَبَقَ  
هُمَّ فِي حَالِ الرَّكُوعِ  
أَوْ السُّجُودِ إِلَى

إلى اختياره لسمى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده معها كان كارهًا لذلك من نفسه بقوله ودبته والله العني بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة» (١) ثم قال «وله منهن» مخرج إذا حدثت فلا تبغ «أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تسلم به ويبدا أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيحجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لعمالة ترجيحها له على دوامها فهذا الحد من الثافة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يختاط فيه فأنموذج الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المظهور إن لم يكن قوى الإيمان وزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن معنى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما امرأته فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحب. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولادة نافذة أو مسعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لاتتم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان يحجز عن مثلها أحبذ والمسا كى لا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الآخر هو المفقود عنه إن كان في الدنيا والندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم.

### ( بيان أسباب الحسد والثافة )

أما الثافة فسيبها حب ما فيه الثافة فان كان ذلك أمرا دينيا فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبه حب مباحات الدنيا والتمتع فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر حملها سبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وغفلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لمزة نفسه وهو المراد بالتمزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على الحسود ويتمتع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي المهيئة  
حقها فيكون همه  
الهينة مستغرة فيها  
مشغول بها عن غيرها  
من الهيات فذلك  
يتوفر حفظه من بركة  
كل هيئة فان السرعة  
التي يتقاضى بها الطبع  
تسد باب الفتوح ويقف  
في مهاب النفحات  
الإلهية حتى يتكامل  
حفظ العبد فتتمحى  
آثاره بحسن الاسترسال  
ويستقر في مقعد  
الواصل. وقيل في  
الصلاة أربع هيات  
وسنة أذكار فالهيات  
الأربع القيام والقعود  
والركوع والسجود  
والأذكار الستة التلاوة  
والتسبيح والحمد  
والاستغفار والدعاء  
والصلاة على النبي عليه  
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

### ( بيان أسباب الحسد والثافة )



فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشنى والانتقام فإن عجز للبض عن أن يتشنى بنفسه أحب أن يتشنى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بنية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغيته وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مرادهم وربما غطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتم له من عدوه الذي آذاه بل أنهم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البض والمعلومة ولا يفرقهما وإنما غاية التقى أن لا يفي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبض الإنسان يستوى منه مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من اليبطل موتوا ينظكم إن الله عليهم بذات الصدور - إن تمسكم حسنة تؤم - الآية - وكذلك قال تعالى - ودواما عتيم قد بدت البضاء من أفواههم وما تغني صدورهم أكبر - والحسد بسبب البض ربما يفضي إلى التنازع والتناقل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال سلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الاتقياء والتتابة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرفع عن متابته أو ربما يقشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا جد أن كان متكبرا عليه من التكبر والتعزز كان حسدا أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رءوسنا فقالوا - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وتبسمه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالأستغفار لهم والأفقه منهم. السبب الرابع: التعجب كأخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا - ما أنتم إلا بشر مثلنا - وقالوا - أنؤمن لبشرين مثلنا - ولئن أنعمت بمرامئكم إنكم إذا لحاسرون - فتهجوا من أن يفوز رتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لحسودهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يغفل عنهم من هو مثلهم في الحلقة لآعن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين - أبش الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - وأعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية. السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بتزاحم على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الأفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الفرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمسال وكذلك تحاسد التليدين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال

(١) حديث حبيب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن الخيرة قال أنزل على محمد وآركونا كبير قريش وسيدنا ويترك أبو مسعود عمرو بن حمير الثقفي سيد قتيب فحسن عظماء القريتين فأزل الله فيما بلغني هذه الآية وروله أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن حمير الثقفي وهو صيف .

عشرة كلمة غرق  
هذه العشرة على عشرة  
صفوف من اللاتكة  
كل صف عشرة آلاف  
فيجتمع في الركبتين  
ما يفرق على مائة ألف  
من اللاتكة .

[ السبب السابع  
والاثلاثون في وصف  
صلاة أهل القرب ]  
ونذكر في هذا الفصل  
كيفية الصلاة بها  
وشروطها وآدابها  
الظاهرة والباطنة على  
الكامل بأقصى ما انتهى  
إليه فهمنا وعلنا على  
الوجه مع الاعراض  
عن نقل الأقوال في  
كل شيء من ذلك إذ في  
ذلك كثرة ويخرج  
عن حد الاختصار  
والإيجاز المقصود فتقول  
وبالله التوفيق : ينبغي  
لعبد أن يستعد للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول  
عندهم وكذلك تحاسد العالمين للزاحمين على طائفة من للتفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة  
في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير  
توصل به إلى القصور وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب  
عليه حب الشاء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد المهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير  
له فانه لو سمع بنظيره في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه  
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يفتريده وبه يفرح  
بسبب فقره وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصور  
سوى محض الرياسة بدعوى الاشراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والنزلة في قلوب  
الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم . السبب السابع :  
خبث النفس وشحها بالخير لباد الله تعالى فانك تجد من لا يستغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا  
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنهم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له  
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصد وتخص عيشهم فرح به فهو أبا يحب الإدبار لغيره  
ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخل من يبخل بمال  
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه  
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت  
الجبلة ومالجنه شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيقطع في  
إزالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض قصير إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته فهذه هي  
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد  
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجامعة بل ينهك حجاب الجامعة وتظهر العداوة  
بالمسكفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها .

( بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب

وتأكده وقلته في غيرهم وضعه )

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تسكر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإما يقوى بين قوم تجتمع  
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول  
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تسكر بين أقوام تجمعهم  
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه  
في غرض من الأغراض ثمر طبعه عنه وأفضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه  
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف  
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسنة وكذلك  
في محلتين ، نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد توادعا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما  
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تور به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم  
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد  
البرازر إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تقبل دخول وقتها  
بالوضوء ولا يوقع  
الوضوء في وقت الصلاة  
فذلك من المحافظة  
عليها ويحتاج في معرفة  
الوقت إلى معرفة الزوال  
وتفاوت الأقدام لطول  
النهار وقصره ويستر  
الزوال بأن الظل مادام  
في الاتقاص فهو  
النصف الأول من النهار  
فاذا أخذ الظل في  
الازدياد فهو النصف  
الأخر وقد زالت الشمس  
وإذا عرف الزوال وأن  
الشمس على كم قدم  
تزال يعرف أول الوقت  
وأخره ووقت العصر  
ويحتاج إلى معرفة  
للتأزل ليعلم طلوع الفجر  
ويسلم أوقات الليل  
وشرح ذلك يطول  
ويحتاج أن يخرجه باب  
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأى تحسد ضررتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما ينزاعه فيه برز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الحصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أحسن فأصل هذه المحاسن المداوة وأصل المداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والفرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته سموا هم وأرضهم لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل العلوم الواحد يملئه ألف عالم ويخرج بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم للترلة عند الله ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها مماتة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم للمال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لاحتماله فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالقرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتسلكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسماه صار ذلك ألد عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجمته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يبقى ثمارها فهو بروحه وقلبه مفتد بما كنه علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل فطونها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المهبوب في العقب فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتبة في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشمت بطنه وتفرق همه لما يلي به من الخاطئة من الناس وقيامه بهم للعاش أوسو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب بطنه إلى الصلاة ويتها للاداجاة وينذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند القرينة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبار

صفات للبعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأفطاروافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله ومحاسن ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور وإذا العنين لا يشاق إلى لذة الواقع والعبي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يخلص بادراً كما الرجال دون الصبيان والمهنيين فكذلك لذة المعرفة يخلص بادراً كما الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - .

( بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب )

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقياً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوً ونفسك وصديق عدوك فارتقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكته فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غشمت رجلاً من المؤمنين وترك نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبه الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايا في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تأثم بحسدك في الدنيا أو تمذهب به ولا تزال في كد وغم إذا أعداؤك لا يخلطهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تمذهب بكل نعمة تراها وتأثم بكل بلية تتصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك ونشبه الأعداء لك فقد كنت تريد الهنة لعدوك فتعجزت في الحال محتك وغمك قدداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى القطة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من أثم القلب ومساء مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير تقع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قد ربه الله سبحانه فلاحية في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكاني من الأنبياء من امرأة ظالمة مسنولة على الخاق فأوحى الله إليه فر من قدماها حتى تنفض أيامها أي ما قدره الله في الأزل

والصغار مما أوماً إليه  
الشرع ونطبق به  
الكتاب والسنة  
والخاصة ذنوب حال  
الشخص فكل عبد  
على قدر مقامه حاله له  
ذنوب تلائم حاله ويعرفها  
صاحبها وقيل حسنات  
الأبرار سيئات القريين .  
ثم لا يصلي الجماعة قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « تفضل  
صلاة الجماعة صلاة  
الغد بسبع وعشرين  
درجة » ثم يستقبل  
القبلة بظاهره والخصرة  
الإلهية ياطنه ويقرأ  
- قل أعوذ برب  
الذات - ويقرأ في نفسه  
آية التوجه وهذا  
التوجه قبل الصلاة  
والاستفتاح قبل الصلاة  
لوجه الظاهر بانصرافه  
إلى القبلة وتخصيص

لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بمحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تستفيه أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - وذكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود أن لا يكون ، نعم هو يشل بارادته الضلال لفترة فان إرادة الكفر كفر ، فمن انتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن انتهت أن تزول النعمة عن الخلق بمحسود ولا تزول عنك بعد غيرك فهذا غاية الجهل والغباءة لكل واحد من حمقى الحساد أيضا ينتهي أن يخص بهذه الخاصة ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود يستفيع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لأنك إذا أخرجتك الحسد إلى القول والفعل بالنية والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه : أعنى أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وثقت للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أتم أغراض الخلق مساواة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا ينتهي عدوك موتك بل ينتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا نيك الذي يكهد

لازلت محسودا على نعمة فأنما الكامل من يحسد

فصرح عدوك بنمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلامه من غم الحسد إلا كما ينتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تماطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع بعدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخلق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأى محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك لخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياء فتفوز بثواب الحب بفغضه إليك حتى لاتحققه بحبك كالم تلحقه بعمك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «المرء مع من أحب»<sup>(١)</sup> وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون  
جهة الصلاة ثم يرفع  
يديه حذو منكبيه  
بحيث تكون كفاه  
حذو منكبيه وإبهاماه  
عند شحمة أذنيه  
ورءوس الأصابع مع  
الأذنين ويضم الأصابع  
وان نشرها جازو الضم  
أولى فانه قبل النشر  
نشر الكف لا نشر  
الأصابع ويكبر ولا  
يدخل بين يديه أكبر  
ورائه ألفا ويجزم أكبر  
ويجعل اليد في الله ولا  
يبالغ في ضم الهام من  
الله ولا يتسدى  
بالتكبير إلا إذا  
استقرت اليدين حذو  
المنكبين ويرسلهما مع  
التكبير من غير تقص  
فالوقار إذا سكن القلب  
تشكلت به الجوارح  
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر غيبتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب للصليين ولا يصلي ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل للمربي عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فإن لم تستطع فلا تفضهم فقال سبحانه الله لقد جعل الله لنا عزجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يفتح به حتى بغض إليك أخاه وحملك على الكراهة حتى أتمت وكيف لا وعساك تحسد رجلا من أهل العلم ونحب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتجب أن يغرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فانتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الأثم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبنة قد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في بقطة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في مورد من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه التي فيقامها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تقوت إلا العينين ولو بقيتا لفاتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والآثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقطعها الهيب النار فانظر كيف استقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذا السلامة من الآثم نعمة والسلامة من الغم والسكدة نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى - ولا يحق المسكر السبي - إلا بأهله - وربما يتبلى بعين ما يشتهي لعدوه وقلما يشمت بشارت بمساءة إلا ويتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما غنيت لثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو غنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان والبد بالقواحيش في التشفي من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية الطيبة لهما فانسكروا الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنقص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما ينقضه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه تقيضه فإن بغته الحسد على القدر في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بغته على كفى الإنعام

والأسوب وجمع بين  
نية الصلاة والتكبير  
بهيث لا يوجب عن قلبه  
حالة التكبير أنه يصلى  
الصلاة بعينها . وحكى  
عن الجنيب أنه قال  
لكل شئ صفوة وصفوة  
الصلاة التكبير  
الأولى وإنما كانت  
التكبير صفوة لأنها  
موضع النية وأول  
الصلاة . قال أبو نصر  
المراج سمعت ابن سالم  
يقول النية بالله فله  
ومن الله والآفات التي  
تدخل في صلاة العبد  
بعد النية من العدو  
ونصيب العدو وإن كثرت  
لا يوازن بالنية التي هي  
له بالله وإذ قل .  
وسئل أبو سعيد الخزاز  
كيف الدخول في  
الصلاة ؟ فقال هو أن  
تقبل على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس  
(٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصليين ولا يصلي الحديث وفيه هو مع من أحب  
متفق عليه من حديث بلطف آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال للرابع من أحب .  
(٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه لم أجده أصلا .

عليه أئتم نفسه الزيادة في الانعام عليه فلهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقعة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخراً ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثبتت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الهامة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسّر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها أمر على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء للرغم لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة العلم بالمعانى التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحسب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فلمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكلى فأما الدواء للفصل فهو وتبعب أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا ينبغي وسبب تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض ولا ينفع المرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محباً للجهاد فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والبرزلة في قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لا محالة وإنما غاية أن يهون التهم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق.

( بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب )

اعلم أن المؤذى محقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثبث على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفمالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء - وقال - إن تمسكم حسنة تسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأئتمت مع ذاك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت الاختيار في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم  
القيامة ووقوفك بين  
يدي الله ليس بينك  
وبينه ترجمان وهو  
مقبل عليك وأنت  
تتاجيه وتعلم بين يدي  
من أنت واقف فانه  
الملك العظيم . وقيل  
لبعض العارفين كيف  
تكبر التكبير الأولى  
فقال ينبغي إذا قلت  
الله أكبر أن يكون  
مصحوبك في الله  
التعظيم مع الألف  
والهيبة مع اللام  
والراقة والقرب مع  
الحساء . واعلم أن من  
الناس من إذا قال الله  
أكبر غاب في مطالعة  
العظمة والكبرياء  
وامتلاً باطنه نوراً  
وصار الكون بأسره  
في فضاء شرح صدره  
تكرده بأرض فلا

ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد يتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدتهى عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأقلامهم أفضال الله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتى إظهار الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم يتده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وثلاثة لا يغلو منهن للؤمن وله منهن مخرج لمخرجه من الحسد أن لا ينفى . والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن النفي والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يعد أن يعنى عن العبدى إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حبه لك ذلك وميل قلبك إليه بعقلك ونقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

( وهو الكتاب السادس من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بحمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا قبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة باثرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلابها راشقة وبجاري أحوالها بدل طالبها ناطقة فكل مفرور بها إلى الدل مصيره وكل متكبر بها إلى التخرس مسيره شأنها الحرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن اللغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يدوق إلى الهرم ونعيمها لا يشمر إلا الحسرة والندم فهى خداعة مكاررة طيارة فرارة لا تزال تزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محبابها فأذاقهم قوائم ممامها

ثم تاتي الحردة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من الكون الذى صار بمثابة الحردة فألقت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالمة العظمة والقيوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالمة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج السكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده التقي يده اليسرى ويجهلها بين السرة والصدر واليمين

### ﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾



ورحمتهم بصواب يعلمها بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أضفأت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطعنهم طعن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه للقصي جلته حصيدا كان لم يكن بالأسنى نعى أصحابها سرورا وتقدم غرورا حتى يأملون كثيرا وبينون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجميعهم بورا وسيمهم هباء منتورا ودعائهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهلها وأصحابه له في الدين ظهير وأولى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[ أما بعد ] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها ، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فانها تزيت لهم بزيتها وعمنهم زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها ، وأماعداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بكمهرها وكيدها فاقترضهم بشبكها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ماكانوا إليها فاجتروا منها حسرة تقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبدا لآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم - اخسؤا فيها ولا تسكدون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وماالحكمة في خلقها مع عداوتها ومامدخل غرورها وشرورها فإن من لايعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو المعين على مايرتضيه .

### ( بيان ذم الدنيا )

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يعمثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر <sup>(٢)</sup> » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيه منها <sup>(٣)</sup> » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا مايقى على مايقى <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة <sup>(٥)</sup> »

(١) الحديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وماوالاه وعالم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبراز والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

لكرامتها تجعل فوق

اليسرى ويمد للسبعة

والوسطى على الساعد

ويقبض بالثلاثة

البواقي اليسرى من

الطرفين وقد فرأى

الؤمنين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل ربك وانحر -

قال إنه وضع اليمنى على

الشمال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرفا يقال له الناحر

أى ضع يدك على الناحر

وقال بعضهم وانحرأى

استقبل القبلة بنحرك

وفي ذلك سر خفي

يكشف به من وراء

أستار الغيب وذلك أن

الله تعالى بلطيف

حكته خلق الأدمى

وشرفه وكرمه وجعله

محل نظره ومورد حبه

ونجته ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا ولمسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرّون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا ولم أرعه أحدا قلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا ثبات لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت منى لم يفلت منى من بعدك <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار القرور <sup>(٢)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذ خرة قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا <sup>(٣)</sup> » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تنصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تلهاوا في الحلية والنساء والطيب والسياب <sup>(٤)</sup> » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا تتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الخواريين إنى قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تتمشوها بعدى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورپ شهوة ساعة أو رمت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا يذعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فأنهم إن يرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طلبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يعجز الموت فيأخذ بفتنه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها <sup>(٥)</sup> » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فربما يد من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لما حكم التكرار يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مال إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت <sup>(٦)</sup> »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يدفع عن نفسه شيئا الحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقى من طريقه بلفظه (٢) حديث يعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مر سلا (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقى في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مر سلا وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلى (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مر سلا بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقى في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث الحاكم

وسمائه روحانيا  
وجسمانيا أرضيا وسماويا  
منتصب القامة مرتفع  
الهيئة فضفه الأعلى  
من جداله واد مستودع  
أسرار السموات ونصفه  
الأسفل مستودع  
أسرار الأرض لمحل  
نفسه ومركزها النصف  
الأسفل ومحل روحه  
الروحاني والقلب  
النصف الأعلى لجواذب  
الروح مع جواذب  
النفس يتطاردان  
ويتحاربان وباغتار  
تطاردهما وتغالبيهما  
تكون لمة الملك ولمة  
الشیطان ووقت الصلاة  
يكثر التطارد لوجود  
التجاذب بين الإيمان  
والطبع فيكشف  
للصلب الذي صار قلبه  
مماويا مترددا بين  
القضاء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يبادى من لا علم له وعليها يحسد من لا قلب له ولها يسعى من لا يقين له <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هـا لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا <sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يبدى وآتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرس كركمكم وتأمل كألمكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي مائة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان با كيا على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا <sup>(٣)</sup> » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنها ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وترزيت لهم إني قذفت في قلوبهم بنضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدوى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بغل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصديق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسى أمامهم والللائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكنى يا لئىء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم <sup>(٤)</sup> » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجمعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع مافى بطنى من الأذى قليل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصاح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحيى أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير <sup>(١)</sup> حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد <sup>(٢)</sup> حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شيء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف <sup>(٣)</sup> حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يبدى وآتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة الحديث لم أجد له أصلا <sup>(٤)</sup> حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجد باقية

النفس متعاضدة من  
مركزه ولجوارح  
وتصرفها وحركتها  
مع معانى الباطن  
ارتباط وموازنة  
فوضع الحنى على الشمال  
حصر النفس ومنع  
من صعود جوازها  
وأن ذلك يظهر بدفع  
الوسوسة وزوال  
حديث النفس فى  
الصلاة ثم إذا استول  
جوازب الروح  
وتعلكت من الفرق  
إلى القدم عند كمال  
الأنس وتحقق قرة  
العين واستيلاء سلطان  
الشاهدة تصير النفس  
متهورة ذليلة ويستتير  
مركزها بنور الروح  
وتقطع حينئذ جوازب  
النفس وعلى قسدر  
استنارة مركز النفس  
بزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين عفتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيومين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود البعد من نفسه لنفسه ومن ديناه لأخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لمرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للأخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار <sup>(٢)</sup> » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والأخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم للماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لميسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يملك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت <sup>(٣)</sup> » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجهله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الذي إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا بالتباعد الهوى إلا أن ذلك الزمان منكم نصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا <sup>(٤)</sup> » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه الطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعد فأتاهها فذا فيها امرأة غاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجك يوم القيامة مائة حوراء خاتمتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهدين في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتفره وبأمنها ويشق بها وتخذله وويل للافتقرين كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يعون وجاءهم ما يودون وويل لمن الدنيا همه والحطاي عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولدان الظالمين إنهم ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا العامل جعل فيها فعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بعمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويستغنى حينئذ عن متاعه للنفس ومنع جوازها بوضع العين على الشمال فيقبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ بوجهه وجهي الآية وهذا التوجه إن شاء الله قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانه وبمحمدك أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن

(١) حديث لجيئ أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث المؤمن بين عفتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسلًا وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الله لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكسر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلًا وفيه إبراهيم بن الأعمش تكلم فيه أبو حاتم.

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة فترضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم صتمتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها فتهلككم كما أهلكتهم (١) « وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) « وقال علي بن أبي طالب » لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٣) « فهاهى عن ذكرها فضلا عن إصابه عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأنفة والطرق فقال يا معشر الخواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدانوا فقالوا يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم يحيوك فلما كان الليل أشرف على نذرهم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك ؟ قال بجنا الدنيا وطاعتنا أهل العاصى قال وكيف كان حكمك للدنيا ؟ قال حب السبى لأنه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أمها بك لم يجيئوا قال لأنهم ملجمون بالجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا مطلق على شفير جهنم لأدري أننجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للخواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس السوح والنوم على الزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم » إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٤) « وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دار تلج الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبك الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة (٥) « ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لحرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركت أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يملكون فبغضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها غافة عما فى عاقبتها لم لا تحابون ولا تتاصعون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولواجتماعهم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بهمال من البحرين فسمعت الأنصار بقعود أى عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبى سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البهقي في الشعب من طريق ابن أبى الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسل (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تسبق الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبرانى دون قوله ولهانت الخ وزادوا لخرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وما تلذذتم بالنساء على الفراش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفى أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى  
لأحسنها إلا أنت  
واصرف عن مديها  
فانه لا يصرف عن  
سيئها إلا أنت لبيك  
وسمديك فالخير  
كله يديك تباركت  
وتعاليت أستغفرك  
وأتوب إليك ويطرق  
رأسه في قيامه ويكون  
نظيره إلى موضع  
السجود وبكل القيام  
باتصاب القامة ونزع  
يسر الانطواء عن  
الركبتين والخواصر  
ومداطف البدن  
ويقف كأنه ناظر  
بجميع جسده إلى  
الأرض فهذا من  
خشوع سائر الأجزاء  
ويتكون الجسد  
بتكون القلب من  
الخشوع وبروح بين  
القدمين بمقدار أربع  
أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتعابيتهم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه وبينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بغير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فاننا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لملكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاثبتونا لبين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فتعذركم إنكم تستبشرون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسر من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسر منها بغوتكم حتى يبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها المآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم بقلبي بعضكم بعضا بالسرور وكلكم بكم أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبئت مصرايكم على الدمن وتضافيتهم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراخني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصاركم فان كان فيكم خير فقد أحميتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله أسمعني على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « ثلثا دينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب <sup>(١)</sup> » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تر كنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، وموسى عليه السلام برجل وهو يكي ورجع وهو يكي فقال موسى يارب عبدك يكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فانتهاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فظلمها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فآلقها في نهره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا ، وقال الفضيل طالت فسكرني في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا - وقال بعض الحكماء : إنك ان تصبغ في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقبل بعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال بخاق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويعدد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصنف للنهي عنه  
ولا يرفع لإحدى  
الرجلين فانه الصنف  
للنهي عنه نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
عن الصنف والصنف  
وإذا كان الصنف منها  
عنه ففي زيادة الاعتماد  
على إحدى الرجلين  
دون الأخرى معنى  
من الصنف فالأولى  
رعاية الاعتدال في  
الاعتماد على الرجلين  
جميعا ، ويكره اشتغال  
الصماء وهو أن يخرج  
يده من قبل صدره  
ويجنب السدل وهو  
أن يرخي أطراف  
الثوب إلى الأرض فقيه  
بمعنى الخلاء وقيل هو  
الذي ياتف بالتوب  
ويجعل يديه من داخل  
فيركع ويدجد كذلك  
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث ثلثا دينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

ومن يحمّد الدنيا لم يهمل برّها فسوف لعمرى عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على الرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير المومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا فان عيشها  
نكد وصفوها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم :  
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أما ترى  
النم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على  
الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد  
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر  
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرّك حب الدنيا وإنما قال  
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لآتبه حتى يترّم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :  
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في مطابه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت  
الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خرف يبقى لكان يفتى لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب يفتى  
فكيف وقد اخترنا خرفا يفتى على ذهب يبقى ، وقال أبو حازم يا كم والدنيا فانه يفتى أنه يوقف العبد  
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحدا من  
الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكنوا عن ذكرها فقلوا موقفهم من قلوبكم  
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لأبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

زرع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نزرع  
فطوبى لعبدا آثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنما  
كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا لساق إليك عفوا أليس مصير ذلك إلى انتقال  
وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربعها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .  
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظمهم  
وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء  
للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا  
فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنحّ عن خطبتها تسلم  
إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هو أن الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيه ولا ينال ما عنده إلا بتركه ، وفي ذلك قيل :  
إذا امتحن الدنيا لبيب تسكتف له عن عدو في ثياب صديق

يديه داخل القميص  
ويجتنب الكف وهو  
أن يرفع ثيابه يديه  
عند السجود ويكره  
الاختصار وهو أن  
يجعل يده على الحاصرة  
ويكره الصلب وهو  
وضع اليدين جميعا على  
الحصرين وتجافي  
المضدين فاذا وقف في  
الصلاة على الهيئة التي  
ذكرناها يجتنب للمسكاره  
فقد تمّ القيام وكله  
فيقرأ آية التوجه  
والدعاء كما ذكرنا ثم  
يقول أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم ويهولها  
في كل ركعة أمام  
القراءة ويقرأ الفاتحة  
وما بعدها بحضور قلب  
وجمع ثم وه واطأه بين  
القلب واللسان بحفظ  
وافر من الوصلة والدنو  
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا  
أفنى القرون التي كانت منعمة كثر الجديدين إقبالا وإدبارا  
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نقاء وضرا  
يامن يهاتق دنيا لا بقاء لها يمسى ويصبح في دنياه سفارا  
هلا تركت من الدنيا معاينة حق تصانق في الفردوس أبكرا  
إن كنت تبغى جنات الخلد تسكنها فيبغى لك أن لاتأمن السارا

وقال أبو أمانة الباهلي رضي الله عنه لما ثبت محمد صلى الله عليه وسلم أتت إلي ليس جنوده فقالوا قد بعث  
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يبدوا الأوثان  
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حقه وإفناقه في غير حقه وإمساكه عن  
حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال:  
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اختبر فيها حزن ومن استغنى فيها افتقار  
في حلالها الحسب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العذاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم  
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر  
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا  
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم ونرجو  
أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان  
الأخر تبعها له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما عجزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما عجزن  
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا  
والآخرة ضربان فبقدر ما مرضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما  
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت  
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه  
أيعسن له أن يعيش فيه ؟ يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم  
ذلك ليوم قعره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت  
أتقدرها كما يتقدر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام  
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح علي ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفه إلا سيفه وترسه  
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يلغنا القيل وقال سفيان  
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد  
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال  
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا  
من يوم نزلت واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود  
إذا رأيت العبد ازداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يامع بوجهه وهو لا يشعر  
وقال عمرو بن العاص علي النبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والحسبة والتنظيم  
والوفار والشاهدة  
والنجاة وإن قرأين  
الفاتحة ومائة رابعها  
إذا كان إماما في  
السكة الثانية : اللهم  
باعدي بيني وبين خطاي  
كما باعدت بين الشرق  
والغرب وتبني من  
الخطايا كاتفي الثوب  
الأبيض من الدنس  
اللهم اغسل خطاي  
بالماء والتاج والبرد  
لحسن ، وإن قلها في  
السكة الأولى حسن  
روى عن النبي عليه  
الصلاة والسلام أنه قال  
ذلك وإن كان منفردا  
بقولها قبل القراءة  
ويعلم المبد أن تلاوته  
نطق اللسان ومعناها  
نطق القلب وكل  
مخاطب لشخص  
بتكلم بلسانه ولسانه



وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرمانها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحزج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تسكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن اللوث حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم فيوم ولية قليلة يولد ولديها لك هالك فلولا للولود لباد الخلق ولولا المسالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قتره قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغت بانهضاء أجلك ثم سوفت بملكك كأن منفعته لنبرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ماني الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بعشرات ثلاث : إنه لم يتبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت النقي فقال إنما نال النقي من عتق من رق الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم سیر الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمكها فإذا فقد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا محسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرايت لو أن رجلا سام الدهر لا يفرط وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله لمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفتنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تقرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تتادى ربهما منه خلقها إلى يوم ينفيا يارب يارب لم تبغضني فيقول لها امكثي بالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فلي يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو بامن البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نقسها ونعجبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قبل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخراب

يسر عما في قلبه وهو  
أمكن للتسكيم إلهام  
من يكلمه من غير  
لأن فعل ولكن  
حيث تنذر الأفهام  
إلا بالكلام جعل اللسان  
ترجما فإذا قال باللسان  
من غير مواطأة القلب  
فما اللسان ترجما وأولا  
القارى متكلما قاصدا  
إسماع الله حاجته  
ولا مستمعا إلى الله  
فأما عنه سبحانه  
ما يخاطبه وما عنده غير  
حركة اللسان بقلب  
قائب عن قصد  
ما يقول فينبغي أن  
يكون متكلما مناجيا  
أو مستمعا راعيا فأقل  
مراتب أهل الخصوص  
في الصلاة الجمع بين  
القلب واللسان في  
التلاوة ووراء ذلك  
أحوال للخواص يطول

منها قلب من يصرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيذ كان الشافعي رحمه الله من الريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاله في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملهم على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف إلا كثر فيها إفسار والإفسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض برزق الله لا تنساف من دار فنائك إلى دار بئائك فان عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأتصر من أملك . وقال إبراهيم بن أدهم لرجل أدرهم في النام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في النام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة . وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا خنزيرة فلو وجدوا لها اسماً أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب لتجبن إليك الدنيا حتى تصدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضاً الدنيا باع من شؤمها أن تمنحك لما يهلك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطقي النار بالثبن وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضاً من أقبل على الدنيا أحرقتة نيرانها يعني الحرص حتى يصير رماداً ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتة نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حد لقيمه . وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا سائمة أشياء مطهورة ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطهومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف الشروبات اللسان ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف التكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشومات للسك وهو دم .

( بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها )

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تنفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بغرورها وتنتسك بأمانها وتزين لخطاياها فأصبحت كالمرس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خذل فانظروا إليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكيها يغنى وعزيزها يذل وكثيرها يفل ودعها يموت وخيرها يغوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتهبوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان غليل أو مدق قميل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فندعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد تقل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى الساء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفائك فمسسوك وكففتوك فاقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتبنا بأعمالك . وقال بعضهم لبعض للوكة إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته منها لأنه يتوقع آفة تمدو

شرحها . قال : بعضهم ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأئمة أحب إلى من أن أجدي الصلاة ما تجدون . وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال - منيين إليه واتقوا وأقيموا الصلاة - فينبى إلى الله تعالى ويتق الله تعالى بالتبى مما سواه ويقيم الصلاة صدر منشرح

على بابه فتجتاحه أو على حنقه فتفرقه أو تأتي سلطانه قهده من القواعد أو تدب إلى جسده فتسقمه أو تضجبه بشيء هو ضنين به بين أحبائه فالله يا أحق بالدم هي الآخذة ما تطلب الراحة فيها تهيب وينتهي تضحك صاحبها إذ أضحكته منه غيره وينتهي تبتكي له إذ أبكت عليه وينتهي تبسط كفها بالأعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تعبد في الباقي من القذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين تبتل تذلل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حشفة فكن فيها كاللداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الدواء فأحذر هذه الدار الندارة الخلة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وقفت بفرورها وحلت بآمالها وسوت بخطابها فأصبحت كالنورس المحلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالمضاي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر فاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطفى ونسى للمعاد فشغل فيها له حق زلت به قدمه فغطت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألمه وحسرات القوت بنفسه وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بنير زاد وقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها حذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء ففرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولي وأدبر ولا يدري ما هوأت فينتظر ، أما فيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نسكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يجبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أبقت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فدلها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا يتقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما يبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه ملكه فزواها عن الصالحين اختارها وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها لا تقدر عليها أنه أكرم بها ونبي ماضع الله عز وجل بحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحبر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الغنى مقبلا قتل ذنب فجعلت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اتقديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إدامي الجوع وشماري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أي الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورأى أحمد والطبراني متصلين حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزان الدنيا والخلد الجنة الحديث وسنده صحيح والترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليجعل لي بطعها مكة ذهبا الحديث (٢) حديث الحسن مرسل في شد الحبر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا والبخاري من حديث أنس رفعا عن بطون عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين وقال حديث غريب .

بالإسلام وقلب منفتح  
بنور الإنعام فتخرج  
الكلمة من القرآن  
من لسانه ويسمعا  
بقوله فتع الكلمه  
في قضاء قلب ليس فيه  
غيرها فيتمسكها القلب  
بحسن الفهم وقديده  
نعمه الإصغاء  
وتشربها بحلاوة  
الاستماع وكال الوحي  
ويدرك لطيف معناها  
وشريف غواها معاني  
تلطف عن تفصيل  
الذكر وتشكل بخفي  
الفكر وبصير الظاهر  
من معاني القرآن قوت  
النفس فالنفس للطمشة  
متعوضة بمعاني القرآن  
عن حديثها لكونها  
معاني ظاهرة متوجهة  
إلى عالم الحكمة  
والشهادة تحرب  
مناسبتها من النفس

وطمأني وفاكهي ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض  
أحد أغني مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون  
قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرّف ولا يتنفس  
إلا بأذني ولا يعينكما ما تمتع به منها فأنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزينكما  
بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتينا لقطعت ولكني أرغب مكا  
عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائي إني لأدودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيع  
غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيع إبله عن منازل القرّة وما ذاك  
لهواتهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يترين لي أوليائي بالذلّ والخوف  
والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وذرارهم الذي يظهرون  
وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يافوزون ورجاؤهم الذي يأمون بمجدهم الذي يهخرون  
وسياهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فاحض لهم جناحك وذلّ لهم قلبك ولسانك واعلم أنهم من أخاف لي  
وليا قد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوم ما خطبة فقال فيها:  
اتلوا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزون بها فلا تفرّتنكم  
الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالعذر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين  
أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرّها زوالها بينا أهلها فيها في رخاء وسرور وإذا هم  
منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما  
أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيم بحماها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها  
موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول  
منكم أعمارا وأشدّ منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول  
تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم غافية واستبدلوا بالنصور الشديدة والسرر  
والنمارق المهددة الصخور والأحجار السندة في القبور الثلاثة للحدة فحلها مقرب وساكنها مقرب  
بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة مشاغين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون تواصل الجيران  
والإخوان على ما بينهم من قرب للكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم  
بكل سكة البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجعهم  
الأحباب وسكنوا تحت التراب وظنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن  
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار اللثوى  
وارتنتهم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المتودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبمّرت القبور وحصل  
ماني الصدور وأوقمتم للحصول بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب  
وهذكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما  
كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى -  
وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه  
متبين لأوليائه حتى جعلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام  
سهم والناس أغراض والدهر برميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع  
أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كشف لك عما أحدثت  
الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يا ي عليك واحتفلت مر الساعه بك ولكن تدير الله

للكونه لا قامة رسم  
الحكمة ومعاني القرآن  
الباطنة التي يكشفها  
من لللكوت قوت  
القلب وتخلص الروح  
للقسوس إلى أوئل  
سراقات الجبروت  
بمطالعة عظمة التكلم  
وبمثل هذه المطالعة  
يكون كمال الاستغراق  
في ليجج الأشواق كما  
نقل عن مسلم بن يسار  
أنه صلى ذات يوم في  
مسجد البصرة فوقعت  
أسطوانة تسامع  
بسة وطها أهل السوق  
وهو واقف في الصلاة لم  
يعلم بذلك ثم إذا أراد  
الركوع بفصل بين  
القراءة والركوع ثم  
يركع منطوي القامة  
والنصف الأسفل بحاله  
في القيام من غير انطواء  
الركعتين ويغافي

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإلتها لأمر من الملقم إذا عجها الحكيم وقد أعيت الواصف لمبورها بظاهر أفعالها وما تآى به من الجباب أكرهها محيطه الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بقتيت الجماعات وانحرام الشغل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تعبر الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحة الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكى إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تقولون عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقة لا تصفولكم نعمة تسرون بها الإغراقى أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه فى خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تعديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأنفوا إلى علم فسكانهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى القايه وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا بالبؤسها واضرأها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعماتها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والعرفه والأدب أن الله عز وجل قد أهداهم الدنيا وأنه لم يرضها لأولياؤه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فزودوا من الدنيا كراد الراكب غفروا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تمبوا قليلا وتعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

( بيان صفة الدنيا بالأمثلة )

اعلم أن الدنيا سريجة الفناء قرية الاقضاء تمدد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرنا الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلال زائل إن الأيب بمثلها لا يجتمع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حمقى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرابيا نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فقام هناك فاقبلوا الحجة فأصابته الشمس فاتبه قام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن أمرا دنياه أكبر همه لمستمك منها بحبل غرور

مرقبه عن جنبيه  
ويعد عنته مع ظهريه  
ويضع راحته على  
ركبته منشورة  
الأصابع . روى مصعب  
ابن سعد قال حليت إلى  
جنب سعد بن مالك  
فجلت يدي بين ركبتي  
وبين غدي وطبقتهما  
فضرب يدي وقال  
اضرب بكفك على  
ركبتك وقال يا بني إنما  
كنا نفعل ذلك فأمرنا  
أن نضرب بالأكف  
على الركب ، ويقول :  
سبحان ربى العظيم  
ثلاثا وهو أدنى الكمال  
والكمال أن يقول  
إحدى عشرة وما يأتى  
به من المدد يكون بعد  
النمى من الركوع  
ومن غير أن يزوج آخر  
ذلك بالرفع ويرفع يديه  
للكوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات للناس وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون» (١) وقال يونس بن عيسى ما شئت في الدنيا إلا كرجل نام قرأ في منامه ما يكرم وما يحب فيها هو كذلك إذ اتبته فكذلك الناس ينام فافدا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كمرأة تزني للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك للماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر فبيحة السرار وهي شبه عجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فقدموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلامة ابن زياد رأيت في المنام عجوزا كبيرة متحبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها حفت ونظرت وتعبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتلتها وبلغ من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحبيت أن تعاذ من شري فأبضى الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شعثاء تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بمحذائي أقناب على قالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أدمم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شعثاء زرقاء أُنْيابها بادية مشوه خلقها فتصرف على الخلائق فيقال لهم أنصفون هذه فيقولون نفوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تعاسدتم وتباغضتم واعتدتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوز شعثاء زرقاء عشاء قال قلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثه : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها شاهد للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فأنظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل نصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرضت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » (٢) ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خضعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعغبي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمد عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون لم أجده أصلا (٢) حديث مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورهاية بل لا يبنى لينة على لينة «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة» (١) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال: «أرى الأمر أهمل من هذا وأنكر ذلك» (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا ممر إلى الآخرة والهدى هو الليل الأول على رأس القنطرة والحد هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجبل والحدلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخافض فيها أن حلاوة خفصها كحلاوة الخوض فيها وهيئات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه إلى سدان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا مثل الحية ابن مسعود قتل سمها فأعرض عما يعجبك منها قال ما يعجبك منها وضع عنك هومها بما أيقنت من فراها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فإن صاحبها كلما اطمان منها إلى سرور أشخصه عنه مكروهه والسلام [مثال آخر للدنيا في تندر الخلاص من تبعثها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يمشى في الماء أن لا يتبل قدماه» (٣) وهذا يصفك جهالة قوم ظنوا أنهم غرضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا عمام فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكأن المشى على الماء يقتضى بلالا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملاسة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر الرضيع إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتنع تصعب وتتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الرزق مالم يخرق أو يفتحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسدها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» (٤) [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ماسبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع» (٥)

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أهمل من هذا أبو داود وأترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ورواه البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد ثم يقول  
أهل الثناء والحمد  
أحق ما قال الصديق  
لك عبد لا مانع لما  
أعطيت ولا معطي  
لما منعت ولا ينفع  
ذا الجدمك الجدقان  
أطال في النافلة القيام  
بعد الرفع من الركوع  
فليقل لربي الحمد  
مكررا ذلك مهما شاء  
فأما في الفرض فلا  
يطول تطويلا يزيد  
على الحد زيادة بينة  
ويقنع في الرفع من  
الركوع بتمام الاعتدال  
بإقامة الصلب ، ورد  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
«لا ينظر الله إلى من  
لا يقم صلبه بين  
الركوع والسجود  
ثم يهوى ساجدا  
ويكون في هويته مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حق الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يهلك [مثال آخر لخالفه آخر الدنيا أولها ولنضارة أولها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب كدبنة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد العبد عند اللوت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنشوة التي لا يبع ما يجده للأطعمة في الدبنة إذا بلغت في المعدة فأيها وكما أن الطعام كلما كان ألد طعما وأكثر دسما ظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تنافسا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فتنتها وكراهتها والتأذي بها عند اللوت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتجميعه في كل ما فقد بقدر قدرته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلاني : ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملحت وقرحت ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإلام يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم <sup>(١)</sup> » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام يصير <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قرحه وملحه <sup>(٣)</sup> » وقال الحسن قد رأيتهم يطيّبونه بالأفاوية والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تستحي وأسألك إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما غفلت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انظروا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم ونحيمهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه <sup>(٤)</sup> » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسائرهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فقرقوا في نواحي الجزيرة فقفى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف السكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألینها وأوقفها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للتلطفة وتعمات طيورها الطيبة وألحانها الوزونة القرية وصار يلهو من برينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة انظر العجيبة النقوش الدالة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلاني ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملحت وقرحت الحديث وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشرط الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خائفا  
عالمًا بما يهوى فيه  
وإليه وله فن  
الساجدين من يكشف  
أنه يهوى إلى تخوم  
الأرضين متغيا في  
أجزاء الملك لامتلاء  
قلبه من الحياء  
واستشعار روحه عظيم  
الكبرياء كما ورد أن  
جبرائيل عليه السلام  
تستريح خافية من جناحه  
حياء من الله تعالى .  
ومن الساجدين من  
يكشف أنه يطوى  
بوجوده بساط  
العكون والسكان  
ويسرح قلبه في فضاء  
الكشف والبيان  
قهوى دون هوى  
أطباق السموات  
وتسبح لقوة شهوده  
تسائيل الكائنات  
ويسجد على طرف



بحسن زبرجدها ومجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا  
خرجوا فاستقر فيه وبضهم أكب على تلك الأصداق والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بأهلها  
فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحوله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه  
ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رصيه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على  
أخذه وطيس ينغصم التأسف وبضهم تولى الفيض ونسى الركب وبعد في متفرجه ومتزعه منه حتى  
لم يبلغه نداء الملاح لاستغاله بأكل تلك التماز واستشام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو  
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن عوكة ينشب بثيابه  
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفرع منه وعوسج يحرق ثيابه ويهتك  
عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراه فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في  
الركب موضعا فبقى في الشط حتى مات جوعا وبضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة ففهم من أفرسته  
السباع ومنهم من تاه فهم على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأحوال ومنهم من نهشته الحيات  
فتفرقوا كالخيف للثنية ، وأما من وصل إلى الركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته  
وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكادت  
تلك الألوان والأحجار فظهرت رأتها فصارت مع كونها مضيقا عليه مؤذية له بنفسها ووحشتها فلم يجد  
حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم يبق له إلا الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه  
الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة  
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا  
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظهم الماحلة ونسيانهم مودعهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم  
وما أتبع من يزعم أنه بصير عاقل أن تترك أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم الثبت وهي زينة  
الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند اللوث بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن  
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غترار الخلق بالدنيا وضعف  
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «إيمان مثل ومثلكم  
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد  
وخسروا الظهر وبغوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فينبأهم كذلك إذ خرج  
عليهم رجل في حلة تنظر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى  
إليهم قال يا هؤلاء فقالوا يا هذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء  
ورياض خضر ماتعون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم وموآثيقكم بالله فأعطوه عهودكم وموآثيقهم  
بالله لا بصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكسكت فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا  
يا هذا قالوا للرجيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كائناكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم  
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خبر من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا  
ههنا الرجل عهودكم وموآثيقكم بالله أن لا تصوبه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم  
في آخره فراح فيمن اتبعه وتغلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل (١) [مثال آخر لنتم

رداء العظمة وذلك  
أنهى ما ينتهى إليه  
طائر الهمة البشرية  
وقفى بالوصول إليه  
القوى الانسانية  
وبتفاوت الأنبياء  
والأولياء في مراتب  
العظمة واستشعار  
كنها لكل منهم على  
قدره حظ من ذلك  
وفوق كل ذي علم عليم  
ومن الساجدين من  
يتسع عاؤه وينتشر  
ضياؤه ويعطى  
بالصفين ويبسط  
الجناحين فيتواضع  
بقليه إجلالا ويرفع  
بروحه إكراما وإفضالا  
فيجتمع له الأنس  
والهيبة والحضور  
والغنية والقرار والقرار  
والإسرار والجهار  
فيكون في سجوده  
ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «إيمان مثل ومثلكم ومثل  
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراد والطبراني من  
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى الناس ملكا الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [ اعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلقه لا يملكه ويأخذه فجعل رحمه وطن أنه قد وهب ذلك منه فطلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتجعجج ومن كان عالم برحمته انتفع به وعكفه ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة طبلت على المجتازين لاطي القيمين ليزودوا منها وينفعوا بما فيها كما ينفع السافرون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

( بيان حقيقة الدنيا وما هيئتها في حق العبد )

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تنكشف لك مالم تعرف الدنيا الذمومة ماهي ؟ وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة للأمور باجتنابها لكونها عذوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول ذنبك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إلى الميل وفيه نصيب وحظ فليس بدموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك نعمة بعد الموت وهو عيشان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وصنائه والعلم بشرعية نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده فيهجر النوم والطعم والنكاح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حقا عاجلا في الدنيا ولسنا إذا ذكرنا الدنيا الذمومة لم ضد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العتوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتغال من الدنو ولسنا لسنا في الدنيا الذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة <sup>(١)</sup> » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا لأننا لسنا في هذا الكتاب نعرض إلا لدنيا الذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولآخرة له في الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتعمق بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلية في جملة الرفاهية والعزوات كالتمتع بالنواظر القنطرة من الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحراث والفسدان والجواري والحيل والمواشي والقصور والدور ورفع الثياب ولذات الأطنمة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها يجد فضولا أو في محل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداه على حمص فأنخذ كنيفا أتقى

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي - وفيه يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثا إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الموى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأذنيه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويباشر بكفيه الصل

أي أحد للسكران إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حبيب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة النساء والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا قد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رأي فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأن للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالتقسيم الأول لأنه معين على القسم الأول. ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعته الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواطبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات السعدت بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه»<sup>(١)</sup> الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدت وهما موصلان العبد إلى لقمة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تجعل عقيب الموت إلى أن يدخل أو أن الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق توقعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالبة جماله فارفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من الموانع آتانا من العوائق وكيف لا يكون حب الدنيا عند الموت ممذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

ولا يلفهما في الثوب  
ويكون رأسه بين  
كفيه ويدها حذو  
منكبيه غير متبام  
ومتياصر بهما ويقول  
بعد التسبيح: اللهم  
لك سجدت وبك  
آمنت ولك أسلمت  
سجد وجهي للذي  
خلقه وصوره وشق  
سمه وبصره فتبارك  
الله أحسن الخالقين.  
وروى أمير المؤمنين  
على رضى الله عنه «أن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كان يقول في  
سجوده ذلك» «وإن قال  
سبوح قدوس رب  
الملائكة والروح حسن  
روت عائشة رضى الله  
عنها أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كان  
يقول في سجوده ذلك  
ويغاني مرقبه عن

وليس الموت عدما إنما هو فراق للحب الدنيا وقدوم على الله تعالى فإذا سألك طريق الآخرة هو الواظ على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويغيب عنه أسباب ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتألى إلا بقوت ومليس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات الملا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول التوقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب»<sup>(٢)</sup> إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»<sup>(٣)</sup>

(١) حديث متصلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

وقد قال أيضا : حلالها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يؤت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسية لا يبق لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها سعادات منصرمة لا يبق لها ومنصصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتتقطع الدهور دون طايتها فكل من تعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضماؤه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « هذا من النعيم الذي تسئل عنه » (١) أشار به إلى المساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه عزو لواعي حسابها حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد بسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله فإن ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حظه من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال رغب في الدنيا وحق إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطم الناس لثنا الأطلعة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة فان الصبر عن لثنا الأطلعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى « زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما » (٢) « وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع » (٣) ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة عظمتهم كما منع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزم ألم القصد والحجامة شفقة عليه وجباله لا يخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فإن قلت في الذي هو لله . فأقول الأشياء ثلاثة أقسام : منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يجبر عنه بالمعاصي والمظهورات وأنواع التمتع في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يحمل لغير الله وهو ثلاثة الفكرة والذكر والكف عن الشهوات فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتعرف به وطلب القبول بين الخلق بظاهر المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتغال بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والشكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فإن كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخراتى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغافا عن المسألة موقوفا على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا » (١) حديث هذا من النعيم الذي تسئل عنه تقدم في الأطلعة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق مضنا ولترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتابعة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم .

جنيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرججهما ويقول : رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني وعاف عني ولا تبطل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس معها أطال قاتلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإتياء في القعود وهو هنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا - قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة الضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لتغير الله وبين التمتع والضرورة درجة يبرعها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التمتع ويقرب منه وينبئ أن يحد منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما يمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويس القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فيناله بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو والسنان والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بشه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزابل من قطع الأكسية فيضلها في الفرات ويلفق بعضها إلى جنى ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عني فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب للماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» (٢) إشارة إليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى فوصفه له؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل في شفاعته مثل ريعة ومضر» (٣) فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويس القرنى وأسأل عنه حتى سمعت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالثمت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الأدمة مخلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كربه اوجه متهب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حاللا مكاترا مفاخر لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ريعة ومضر يريد أويسا وروياه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمي أكثر من ريعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

أليه على عقيبته ثم إذا أراد التوضؤ إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة الاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يشهد وفي الصلاة للمراج وهو معراج القلوب والتشهد مقرر الوصول بعد قطع مسافات الهيئات على تدرج طبقات السموات والتعاليات سلام على رب البريات فلذلك لما يقول ويتأدب مع من يقول وبدر كيف يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وبثله بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عيب في السماء ولا في الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة الروحية

فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاغه فأبى أن يصاغني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنتني العبرة من حيي إياه ورفقي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهر بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك على قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فنجيت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ قال نبأني العليم الخبير - وعرفت روحى روحك حين بكت نفسى فمك إن الأرواح لها أنفوس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أممه منك قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه محبة بأبي وأمي رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كبلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في نفسى شغل عن الناس ياهر بن حيان قلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسمعا منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأنى أحبك فى الله حبا شديدا قال ققام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبيد. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فشقق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوعك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفى ثم قال يا عمراه يا عمراه قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمت قال قد نعاه إلى ربى ونعى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك ياهر بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأندرك قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا بزم أنه يحبى فيك وزارنى من أجلك فصرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيا كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا بالسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهر بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فأنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إنى كثير الهم شديد الهم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وإنى لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فأنى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقه فبكى وأبكأنى وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يغبرنى عنه بشيء رحمه الله وغفر له فمكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المرعفين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أغلته الحضراء وأغلته النبراء

والخاصية القطرية ويضع يده اليمنى على غنقه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ويرفع السبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة التنى ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى الفخذ منظوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمؤمنين وراءه فان الامام للتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراء أصحاب الخواص يسأل لهم ويحرض حاجتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه ببعضا وهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وحده الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر  
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج  
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل  
وخرز الزاوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن  
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل  
هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد ثلاث البدن وتممه جنى من هذه الأسباب كان منحرفا عن  
الآخرة ويغشى على قلبه القسوة قال الطنافسي : كنت على باب بنى شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام  
طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج  
إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حرك فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

( بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استقرت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم )

وخالقهم ومصدرهم وموردتهم )

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور  
قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها  
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -  
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح  
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : العادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات  
والتداوى وأما العادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والبرصا والفضة والذهب والفضة وغير  
ذلك من اللقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكل  
وظهورها للعركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم  
ويستخرجهم كالنمل أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليجلها بأن يفرس  
فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يجبر عنه الجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان  
التي يمر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا  
من الإنس - والقطاير للقطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والعادن وفيه تنبيه على غيرها  
من الآلىء واليوافيت وغيرها - والحبل المسومة والالعام - وهي البهائم والحيوانات - والحرش وهو النبات  
والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه  
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو الحب المستتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع  
صفات القلب المعلقة بالدنيا كالسكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وحب الثناء  
وحب الشكائر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة  
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة  
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وما بهم منقلبهم بالدنيا لها تين  
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا  
وسرها علم أن هذه الأعيان التي سميها دنيا لم تخلق إلا لطف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعطى  
بالدابة البدن فانه لا يبقى إلا بعظم ومشرب وملبس ومسكن كالآبق الجمل في طريق الحج إلا بلفس وماء وجلال  
ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف  
التاقة وبتمهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويرد لها الماء بالتلح حتى

كلامه بقوله سبحانه -  
كانهم ببيان مرسوم -  
ولي وصف هذه الأمة  
في الكتب السابقة  
صفهم في صلاحهم  
كصفهم في قتلهم  
حدثنا بذلك غيخا  
ضياء الدين أبو النجيب  
السروردي إملاء قال  
أنا أبو عبد الرحمن محمد  
ابن عيسى بن شعيب  
الماليني قال أنا أبو الحسن  
عبد الرحمن بن محمد  
الظفر الواعظ قال  
أنا أبو محمد عبد الله  
ابن أحمد السرخسي  
قال أنا أبو عمران  
عيسى بن عمر بن  
العباس السمرقندي  
قال أنا أبو محمد عبد الله  
ابن عبد الرحمن  
الدارمي قال أنا مجاهد  
ابن موسى قال ثمانين  
هو ابن عيسى أنسأل

ثبوته القاطنة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهجم من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمهد موقله إلى السكينة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهدئة البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن ههنا ما يدخل بطنه قسيسه ما يخرج منها وأكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر للسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصرفوا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحفظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداخت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يغلق الله القوت والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، نعم خلق ذلك للبهائم فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن، والحياكة وما يكتنفها من أمر القزل والحياطة للملبس ، والفلاحة للمطعم، والرعاية للمواشي والخيول أيضا للمطعم والركب ، والاقتناس تعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالقلاع يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والقتنص يحصل ما نبت وتنج نفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنفق إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارة والحداثة والحرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالتجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره والأثنى عشرتهما . والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع الأهل والولد في النزول بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة لتكفل كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طهان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يفترض إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجار كيف  
تجد نعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
التوراة قال نحمده محمد  
ابن عبد الله يولد بمكة  
وبهاجر لطيفة ويكون  
ملكه بالشام وليس  
بفحاش ولا صخاب في  
الأسواق ولا يكافئ  
بالسيئة السيئة ولكن  
يعفو ويغفر ، أمته  
المجادون يحمدهون الله  
في كل سراديب ويكبرون  
الله على كل نجم  
يوشنون أطرافهم  
ويأتزون في أوساطهم  
يصفون في صلاتهم كما  
يصفون في قتالهم  
دوبهم في مساجد  
كدوى النحل يسمع  
مناديتهم في جوف السماء  
فالإمام في الصلاة مقدمة  
الصف في محاربة  
الشیطان فهو أولى



وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل يفرد كل أهل بيت به وبماحه من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الموصية وغيرها لكن للنازل قد تصدها جماعة من المصوص خارج النازل فافتقر أهل النازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد لحلة الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في النازل والبلاد وتماثلوا تولت بينهم خصومات إذ تعهدت رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أنفى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما للرأفة فخاصم الزوج والولد فخاصم الأبوين هذا في المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تنفى بأغراضهم فيتنازعون لاحتالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمعنى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضامها هلك ولو وكل تقفده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب غصه لكان لا يدعنه له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة الساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحكّن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع المصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي يتبني أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها إلا محصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف القائم إليهم إن كانت العدو مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لاحتالة إلى أن يمدّم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللنرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزّان وإلى من يفرّق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولّاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحدا يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين السكاكة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو السمي فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيوف ، والثالثة التردد بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتداء الأمر من حاجة القوت والملبس

المصلين بالخصوع  
والإيمان بوظائف  
الأدب ظاهرا وباطنا  
والمصلون المتغطون كما  
اجتمعت طواهرهم  
تجتمع بواطنهم  
وتناصر وتعاقد  
وتسرى من البعض  
إلى البعض أنوار  
وبركات بل جميع  
المسلمين المصلين في  
أقطار الأرض بينهم  
تضاد وتناصر بحسب  
القلوب ونسب الاسلام  
ورابطة الإيمان بل  
يمدّمهم الله تعالى بالملائكة  
الكرام كأمدّ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
بالملائكة السوميين  
لحاجاتهم إلى محاربة  
الشیطان أسس من  
حاجاتهم إلى محاربة  
الكفار ولهذا كان  
يقول رسول الله صلى

والسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنتهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات وللحال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به وأغلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمكنة التي يسمى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق وللزراعت ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحراثة والقرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق للمواصلة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق الأراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بضعن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لعمالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى أهل البلد فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وابعثهم عليه حرص جمع المال لعمالة فيتجربون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لعمالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفلة وخسة المهمة ولو غفل الناس وارتفعت همهم لزهوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت العايش ولو بطلت لملكوا وملكوا لزهوا أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فان من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أين يدرى القدر الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل بتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال بطوله بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال العادون فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم منست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فبست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأشتغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشتغال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ، وفي الناس من يفعل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لسببه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خبيستان الموصية والكداية إذ يجمعهما أهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من المصوم والسكدين ويحفظون عنهم أموالهم فاقفروا إلى صرف عقولهم في امتناب

الله عليه وسلم رجنا  
من الجهاد الأصغر إلى  
الجهاد الأكبر  
فتداركهم الأملاك  
بل بأنفسهم الصادقة  
تشارك الأفلاك فإذا  
أراد الخروج من  
الصلاة سلم على منته  
وينوي مع التسليم  
الخروج من الصلاة  
والسلام على اللائكة  
والحاضرين من المؤمنين  
ومؤمنات الجن ويجعل  
خده مبينا لمن على منته  
بالواء عنقه ويفصل  
بين هذا السلام  
والسلام عن يساره  
قد ورد النهي عن  
المواصلة ، والمواصلة  
خمس اثنتان تخص  
بالامام وهو أن لا يوصل  
القراءة بالصغير  
والركوع بالقراءة  
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما الصوص : فمنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالتقرب أو التسليق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طرارا أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التماس الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار الصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فانه إذا طلب ماسعى فيه غير موقبل له تعب وإحمال كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يحط شيئا فافتقر وإلى حيلة في استخراج الأموال وتعهيد النصر لأنفسهم في البطالة فاحتالوا للتمل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يحمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعزروا بالعمى فيمطون وإما بالتعاسى والتفالج والتجائن والتمازج وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا أو أفلا يتعجب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسبحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمها كاذبة والشبهة والأفان الضحكة وقد يكون بالأشعار القرية والكلام الثور السجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا في النفس لاسيما إذا كان فيه نصب يتلقى بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية المشق من أهل الهجاء كصناعة الطبايع في الأسواق وعصمات به العوض وليس بعوض كبيع التمويذات والحشيش الذي يغيل بانه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من للجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكذوبون على ردوس النابر إذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استماله قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والسكوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فهاهنا وضلوا وسبق إلى عفوهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فاقصمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون يكسبوا ثم يكسبون ليا كلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليا كل ليل ويا كل ليل ليتعب نهارا وذلك كبير السواني فهو سفر لا يتقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطئون لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتمتع في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لاء نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان وجمع قدامد الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكنوز الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع ففهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويردعون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه قوتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فينتهي تحت الأرض أو يظهر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجماع تبعه ووباله ولا آكل لفته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء وللدخ بالتجمل والروء فهو لاء يتعبون في كسب العاش ويضيعون على أنفسهم في اللطم والشرب ويصرفون جميع ماله إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة  
الاحرام بتكبيره  
الامام ولا تسليمه  
بتسليمه وواحدة على  
الامام والمأمومين وهو  
أن لا يوصل تسليم  
الفرس بتسليم النفل  
ويجزم التسليم ولا يعد  
مدا ثم يدعو بعد  
التسليم بما يشاء من  
أمر دينه ودنياه  
ويدعو قبل التسليم  
أيضا في صل الصلاة  
فانه يستجاب ومن  
أقام الصلوات الخمس  
في جماعة قد ملأ  
البر والبحر عبادة  
وكل المقامات والأحوال  
زبدتها الصلوات  
الخمسة في جماعة وهي  
سر الدين وكفارة  
المؤمن ونعيم  
للخطايا على ما أخبرنا  
شيخنا شيخ الإسلام

التفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنهم وإن ذوروة ويطنون  
أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا  
أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واتقوا الخلق بالتواضع والتوقير فصرخوا همهم إلى  
استجرام الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من  
الناس ويرون أنهم إذا تمت ولا يتهم واتقادت لهم رطايهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية  
المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب النافلين من الناس فهو لا شغلهم حب تواضع الناس لهم عن  
التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد  
على ثلث وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة اللطم  
واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم وأثقل أسبابها  
إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب  
والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يغوص في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه  
ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيمسيل  
التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت المهمة إلى الاستعداد له  
وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتشعب  
به المعلوم ومن تشعبت به المعلوم في أودية الدنيا فلا يبالى الله في أي واد أهلكه منها فمذاشأن التهمكين  
في أشتال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فجدد لهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الأعراض  
أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من  
وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة  
الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق  
ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بدأولا من  
إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا  
على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم  
مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه  
الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التبع كله لله وأن  
الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا يتقصه عصيان عاص ولا تزيد عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات  
وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث  
اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل  
العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيطة  
فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع عنهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكاليف  
وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبالغ  
فيها وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر  
الزاد وأما الشهوات فيجمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل  
شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود  
كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب  
السهر وردي رحمه الله  
إجازة قال أنا أبو منصور  
محمد بن عبد الملك بن  
خيرون قال أنا أبو محمد  
الحسن بن علي  
المجوهري إجازة قال  
أنا أبو عمر محمد بن  
العباس بن زكريا قال  
ثنا أبو محمد يحيى بن  
محمد بن صاعد قال  
ثنا الحسين بن الحسن  
المروزي قال أنا عبد الله  
ابن المبارك قال أنا يحيى  
ابن عبد الله قال سمعت  
أبي يقول سمعت أبا  
هريرة رضي الله عنه  
يقول قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الصلوات الخمس  
كفارات للخطايا وقرءوا  
إن هتتم - إن الحسنات  
يذهبن السيئات ذلك  
ذكرى لذا كرم - » .

ومن للسكن ما عفظ عن اللصوص والحرق والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالافتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup> وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تضرب ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم.

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

### ﴿كتاب ذم البخل وذم حب المال﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه للبسوط، وكاشف الضر بعد القنوط، الذي خلق الخلق، ووسع الرزق، وأفاض على العالمين أصناف الأموال، وأبسطهم فيها بقلب الأحوال. ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والبأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيتار والإنفاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحتمار الكثير كل ذلك ليلوهم أيهم أحسن عملاً وينظر أيهم أثر الدنيا على الآخرة بدلاً واجتنب عن الآخرة عدولاً وحولاً واتخذ الدنيا ذخيرة وخولاً. والصلاة على محمد الذي نسخ بخله ملا وطوى بشره أدياناً ونحلاً وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً وسلم تسليماً كثيراً.

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراناً. وبالجملة فهي لا تغلوا من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتنا من المهلكات وتميز خيرها عن شرها من الموصات التي لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسعين المغترين وشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى العيظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث اقترأ الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيد.

﴿كتاب ذم البخل وحب المال﴾

[الباب الثامن]

والثلاثون في ذكر

آداب الصلاة

وأسرارها]

أحسن آداب المصل

أن لا يكون مشغول

القلب بشيء أو كثر

لأن الأكياس لم يرضوا

الدنيا إلا ليقبوا

الصلاة كما أمروا لأن

الدنيا وأشتغالها لما

كانت شاغلة للقلب

رفضوها غيرة على

عمل المناجاة ورغبة

في أوطان القربات

وإذعاناً بالباطن لرب

البريات لأن حضور

الصلاة بالظاهر إذعان

لظاهر وفراغ القلب

في الصلاة عما سوى

الله تعالى إذعان الباطن

فلم يروا حضور الظاهر

وتخلف الباطن حتى

لا يغفل إذعانهم فتخبرهم

عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاد كثيرة ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللإنسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتنان . ثم للفائدتان : القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشم للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالان إما أن يحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن النصوص فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائده للمال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الإتيان وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

### ( بيان ذم المال وكراهة حبه )

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عهد الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألهاكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب للمال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبان ضاريان أرسلا في زرية غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا أو قليل مأم (٣)» وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

يكون باطنه مرتها  
بشيء ويدخل الصلاة  
وقبل من فقه الرجل  
أن يبدأ بقضاء حاجته  
قبل الصلاة ولهذا  
ورد «إذا حضر العشاء  
والعشاء قدم والعشاء  
على العشاء» ولا يصلي  
وهو حاقن يطالبه البول  
ولا حازق يطالبه الغائط  
والحرق أيضا ضيق  
الحنف ولا يصلي أيضا  
وخفه ضيق يشغل قلبه  
قد قيل لا رأى لحازق  
قيل الذي يكون معه  
ضيق وفي الجملة ليس من  
الأدب أن يصلي وعنده  
ما غير مزاج باطنه عن  
الاعتدال كهذه الأشياء  
التي ذكرناها وأهنام  
المفرط والغضب . وفي  
الحبر «لا يدخل أحدكم  
في الصلاة وهو مغضب  
ولا يصلي أحدكم وهو

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبان ضاريان أرسلا في زرية غنم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جائعان مكان ضاريان ولم يقولوا في زرية وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح للطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبان ضاريان في زرية غنم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جائعان واسناد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بزة بلفظ المكثرون ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ اسكثرون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ للطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمي الدين ولدوا في النعم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسل وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمي الدين غذوا بالنعم وتثبت عليه أجسامهم .

فره الحيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لم بطون من القليل لا تشبع وأتسى بالكثير لا تنفع ما كفون على الدنيا يبدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربما دون ربهم إلى أمرها يتهنون ولها وهم يتبعون فضرة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوتر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفثيت أو لبست فأفثيت أو تصدقت فأفثيت <sup>(٣)</sup> » وقال رجل « يا رسول الله مالى لأحب الموت فقال هل معك من مال ؟ قال نعم يا رسول الله قال قسم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه <sup>(٤)</sup> » وقال <sup>(٥)</sup> « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالتى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والتى يتبعه إلى قبره فهو أهله والتى يتبعه إلى محشره فهو عمله <sup>(٦)</sup> » وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : مالك تمنى على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أدبت حق الله في ثم يحاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور <sup>(٧)</sup> » وكل ما أوردهناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الفنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال فلا ننطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنسانه كرا لأن ماورد في السال خاصة قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف <sup>(٨)</sup> »

(١) حديث سياتى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يشدقون في الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضعيف ولم أجده لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر البزار من حديث أنس وفيه هاتى بن للتوكل ضعفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان « فلا ينبغي للعبد أن يلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المحل يحكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع الجبين على الشمال لما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزبة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا محمدا لا يتحرك منه شئ . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا نال من أبي البرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصحب جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان . ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لاتنفعنى . وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بطائفا قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترًا كان لها فقطعت وجعلته صريرا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذهله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفضهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان إن الدرهم والدنانير أزمة للناقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن لم نحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك سمه قتل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضع في حقه وقال الهلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقلت إن شرك أن يعيذك الله منى فأبيض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل :

إنى وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن ثناك تقوى للهم

وفى ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من اللرم ليمس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه

أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه أره الدرهم تصرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدونى فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعظم حقا لغيرهم وإنما ولدى أحد رجلين إما مطيع لله فاقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فاقبل له لوادخرته لوادرك من بعده قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى . وروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أخى لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

( بيان مدح السال والجمع بينه وبين الله )

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والخيخ فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا كنزها رحمة من ربك - وقال تعالى عمتنا على عباده - ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلغ به وقد تقدم فى آداب الصعبة (١) حديث لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا (٢) حديث نعم السال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نعم ما ولا المرء .

فى الجسبر « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف والنماس والوسوسة والتأوب والحكاك والالتفات » والبث بالكىء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك . وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال إن الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف المصل من على يمينه وشماله . ونقل عن سفيان أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى عن معاذ ابن جبل أشد من ذلك قال : من عرف من عن يمينه وشماله فى الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو



أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»<sup>(١)</sup> وهو ثناء على المال ولا تحق على وجه الجمع بعد الله وللدخ إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى يشكف لك أنه خير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جميعا وبهذا وصفه فيمدح لاهمالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن الممجد منه غير للذموم ويانه بالاستعداد لما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتخصيل درجات النعم والتقدير المنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك للقيم والصدق إلى هذا الأب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم؟» قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم لاستعدادا»<sup>(٢)</sup> وهذه السعادة لا تتأهل إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فإنها خادمان ولا خادما لهما ومراوان لغيرهما ولا يرادان لهما إذ النفس هي الجوهر النفس للطلوب سعادتيا وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها حصة في ذاتها والبدن تخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الناحك إبقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لذلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الفرض محمودا في حقه فاذا نال المال آلة ووسيلة إلى متصود صحيح وصلاح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسديس العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد الحمود ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر<sup>(٣)</sup> كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها عظم الخطر فإيا يزيد على قدر الكتابة فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا»<sup>(٤)</sup> فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن به خيره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشني في زمرة المساكين»<sup>(٥)</sup> واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن نعبد الأصنام - وعن أبي هذيل الحبرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة إذا قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها حبها والاعتزاز بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكياس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر تقدم قبله بنسخة أحاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته باطله قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملاء وقيل في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دائمون - فيل هو سككون الأطراف والطما نينة . قال بعضهم إذا سكبت التكبيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا دخل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تتعش وإذا شيك فلا تتعش» (١) فبين أن عبيهما عابد لهما ومن عبد حجارفهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بد صنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود في النار وقلا ينفك عنه للؤمنون فانه أخفى من ديب الخلد وشرك جلى يوجب الخلود في النار فعود بالله من الجميع .

( بيان تحصيل آفات اللال وفوائده )

اعلم أن اللال مثل حبة فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره . أما الفوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفعه على نفسه إمامي عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام واللبس والسكن والنسكح وضرورات العيشة فان هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفى غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء وبلتحقق بزرمة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والقوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بئل المال لدفع هجو الشراء وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة» (٢) وكيف لا وفيه منع المتعصب عن مصيبة الفية واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الانسان لتيئة أسبابه كثيرة ولوتولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتضرر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أسمى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

أنا عمر بن أحمد  
الصفار قال أنا أبو بكر  
ابن خلف قال أنا  
أبو عبد الرحمن قال  
سمعت أبا الحسين  
الفارسي يقول سمعت  
محمد بن الحسين يقول  
قال سهل من خلا قلبه  
عن ذكر الآخرة  
تعرض لوساوس  
الشیطان فأما من باشر  
باطنه صفو اليقين  
ونور المعرفة فيستغنى  
بشاهده عن تمثيل  
مشاهدة قال أبو سعيد  
الحراني إذا ركع فالأدب  
في ركوعه أن ينتصب  
ويدنو ويتدلى في  
ركوعه حتى لا يبق  
منه مفصل إلا وهو  
منتصب نحو العرش  
العظيم ثم يعظم الله  
تعالى حتى لا يكون  
في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتعش وإنما علق آخره بلفظ تس وانتكس . ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للساجد والقناطر والرباطات ودور للرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف الرصدية للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت المستجيلة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متبادلة وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده للمال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى الزوال والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأسدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحفظ الديني . وأما الآفات فدينية ودينية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن يجر إلى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين اللزوم والمعصية ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اتقمت ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قنعة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التثمل في الباحات وهذا أول الدرجات فحق يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لثامه الأظعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التثمل مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنسه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتنعم الشبهات ويغوص في الرأفة والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويسعى الله في طلب رضائهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصدقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنجاسة والفتنة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يغلو عن التمدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يفتك عنها أحد وهو أنه يلهي إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما مشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، قليل إن أخذ من حله ؟ فقال يضمه في غير حقه قليل إن وضعه في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء الضال فان أصل العبادات ومنها سرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيقة يسمى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن تباقي المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن المون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله سلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً لما تنقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من اللطم والملبس والسكن ويقتصر على أقله قدره وأخسه نوطاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بهد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فاته عز القناعة وتدنس لاهمة الطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدعي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) «وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناها يملأها بما أوحى إليه فبغتته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتغنى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) «ولما كانت هذه جيلة للأدعي مضلة وغريزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به» (٦) «وقال صلى الله عليه وسلم «مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا» (٧) «وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس» (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة» (٩) «

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متسكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم ورزق كفافاً وقعه الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية نعيم بن الحارث عن أنس وقيع ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش .

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقبل كان بعضهم لا يبتغي له حفظ العدد من كمال استخراجه وكان يجلس واحداً من أصحابه يحد عليه كم ركة صلى . وقيل: للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وطى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن فقرا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تعدن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تتركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه. الآثار: قال عمر رضى الله عنه: إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من يأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تمرّ  
اقنع بعيشك ترضه وأترك هواك تعيش حرّ  
فلرب حنف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يملّ الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يفتح إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يفتيك. وقال سميط بن عجلان: إنما بطئك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت جعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه ألا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي لما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تعدن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدكم وهي عند أبي داود وابن ماجه كذا كرها المصنف

الأركان وجود الثواب  
فمن أتى الصلاة بلا  
حضور القلب فهو  
مصلّ لاه ومن أتاها  
بلا شهود العقل فهو  
مصلّ ساه ومن أتاها  
بلا خضوع النفس فهو  
مصلّ خاطي ومن  
أتاها بلا خشوع  
الأركان فهو مصل  
جاف ومن أتاها كما  
وصف فهو مصل واف.  
وقد ورد عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
« إذا قام العبد إلى  
الصلاة المكتوبة مقبلا  
على الله بقلبه وسمعه  
وبصره انصرف من  
صلاته وقد خرج من  
ذنوبه كيوم ولدته أمه  
وإن الله لا يفر بصل الوجه  
خطيئة أصابها وبصل  
يديه خطيئة أصابها  
وبصل رجليه خطيئة

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعاقل وأيعا شيء أعون على دفع الحزن ؟ فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقول بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأدنى الحريص إذا طمع وأخفصهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم القرط وفى ذلك قيل :

أرفه يال فتى أسمى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه  
فالعرض منه مصون لا يندسه والوجه منه جديد ليس يخلقه  
إن القناعة من يخلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حل وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال  
ونازح الدار لا أنفك مغتربا عن الأجنة لا يدرون ما حالى  
بمشرق الأرض طورائهم مغربها لا يخطر اللوت من حرصى على بالى  
ولو قنعت أنانى الرزق فى دعة إن القنوع الفنى لا كثرة للمال

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لثتانى وقيطى وما يسمى من الظهر لحبى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرضهم ولا بأوضاعهم فوافقه ما أدرى أيجل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها . وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لانفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت  
فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشئى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة فأعلك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لا تلهفن على ما فاتك ففلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن مما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعص على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحنى ودعى ورشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لقرط طمع الأذى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد البزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم قلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدنى :

إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها  
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوائت الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى  
صلاته وليس عليه  
وزره وذكر السرقه  
عند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فقال أى السرقه أقبح  
فقالوا الله ورسوله أعلم  
فقال إن أقبح السرقه  
أن يسرق الرجل من  
صلاته قالوا كيف يسرق  
الرجل من صلاته ؟  
قال لا يتم ركوعها ولا  
سجودها ولا خشوعها  
ولا القراءه فيها .  
وروى عن أبى عمرو بن  
العلاء أنه قدم للإمامه  
فقال لا أصلح فلما ألحوا  
عليه كبر ففتى عليه  
فقد موأماما آخر فلما  
أفاق سئل فقال لما  
قلت استووا هتف بى  
هاتف هل استويت  
أنت مع الله قط . وقال  
عليه السلام « إن العبد

ولذلك مبذالا لمرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وءتولوها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرتي قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشبهه فشبهه النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلعت عليه إذا مررت به وعده إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خيرا لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب قفلت له من أين تأكل ؟ قال من يدر اللطيف الخبير الذي خلق الرجا يأتيها بالطحين وأوماً يده إلى رجا أضراسه فسبحان القدير الخبير .

( بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة )

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأى طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الاتفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب <sup>(٣)</sup> » وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهوية قول : إن من قتهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة <sup>(٤)</sup> » وفي الخبر « التدبير نصف العيشة <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أقدمه أقره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والبزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء  
وصلى الصلاة لوقتها  
وحافظ على ركوعها  
وسجودها ومواقيتها  
قالت حفظك الله كما  
حفظتني ثم سعدت ولها  
نور حتى تنتهي إلى  
السماء وحتى تصل إلى  
الله فتشفع لصاحبها  
وإذا أضاءها قالت  
ضيمك الله كما ضيعتني  
ثم سعدت ولها ظلة  
حتى تنتهي إلى أبواب  
السماء فتغلق دونها ثم  
تألف كما يلف الثوب  
الخلق فيضرب بها  
وجه صاحبها « وقال  
أبو سليمان الداراني إذا  
وقف العبد في الصلاة  
يقول الله تعالى ارفعوا  
الحجب فيما بيني وبين  
عبيدي فإذا التفت  
يقول الله أرخواها فما  
بين يمينه وخلوا

أحبه الله (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمرا ضلوك بالتؤدة حتى يحمل الله لك فرجا ومخرجا» (٢) والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يستدحره فاستدأه الحرص ليست هي السبيل لوصول الرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على إغزاقها سوفك لأن الشيطان يمهده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تنجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب قلنا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثأني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فصل الفقر

وقد دخل ابن خالده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما «لا تياسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما فان الانسان تلهيه أمه أحمر ليس عليه تشريح برزقه الله تعالى (٣) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له «لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «الأيامها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٥) ولا ينفك الانسان عن الحرص إلا بحسن تقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لأعماله مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسده عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب (٦) » وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التي قد اضرورت له بل ياتي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وانسبكى وقال لولم نبش إلا من حيث ندرى لم نبش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين يشيانها هو لي فلن أعمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم أعمله فما مضى فلا أرجوه فلما بقي يمنع الذي لغيري منى كما يمنع الذي لي من غيري في أي هذين أنفي عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القساعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الدل فإذا تحقق عنده ذلك انبثقت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أي بخبر منكرو أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يحمل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تياسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالده وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك قاله ابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصمهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المافري مرسلا (٥) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

عبدى وما اختار نفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل أنصرف من الرزاق وله هذا العظيم الأب عنه ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمحرم بين يديك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يمشي بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فية ول أتدرون بين يدي



في الحرص لا يغلو من تعب وفي الطمع لا يغلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال واللائم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق وبإثره المداينة وذلك بهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس »<sup>(١)</sup> وفي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من عشت تكن أسيره وأحسن إلى من عشت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحق من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضحك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن فالخمار أكثر أكلا منه وإن تتم في الوقاع فالخزير أعلى رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل في اليهود من هو أعلى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرفقة والنهب والضياع وما في خلوه من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات السالم مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في الطعام والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمتع فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق <sup>(٢)</sup> أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل الله عليه <sup>(٣)</sup> » فهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرًا طويلا فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

( بيان فضيلة السخاء )

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واسطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاما مختلف فيه وجعله القضاة في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .  
وروى عمار بن ياسر  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
« لا يكتب للعبد من  
صلاته إلا ما يقبل » وقد  
ورد في لفظ آخر  
« منكم من يصلي  
البصاة كاملة ومنكم  
من يصلي النصف  
والثالث والرابع والخمس  
حتى يبلغ العشر » قال  
الحواص ينبغي للرجل  
أن يسوي نوافله  
لتقصان فرائضه فان  
لم ينوها لم يحسب له  
منها شيء . بلذا أن الله  
لا يقبل نافلة حتى  
تؤدي فريضة يقول  
الله تعالى : مثلكم كمثل  
العبد السوء بدأ  
بالهدية قبل قضاء  
الدين ، وقال أيضا  
انقطع الخلق عن الله

التصن إلى الجنة (١) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) « وفي رواية « فأكرموا بهما ما يحبتموه « وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) « وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسباحة (٤) « وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) « وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) « وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بنصن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بنصن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) « وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعيشوا في أكنافهم فأنى جعلت فيهم رحمى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى (٨) «

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى في المستجاد من حديث أبي هريرة وسأبى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله وإياه إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسباحة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن التسكر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسباحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسباحة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصمغانى جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات الجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له بوجوب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبى هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطنى في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعيشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والحرائطى في مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصائص  
إحداها أنهم طلبوا  
النوافل وضيعوا  
الفرائض والثانية  
أنهم عملوا أعمالا  
بالظواهر ولم يأخذوا  
أنفسهم بالصدق فيها  
والصح لها وأنى الله  
تعالى أن يقبل من عامل  
بعملا إلا بالصدق وإصابة  
الحق وفتح العين في  
الصلاة أولى من  
تخير من العين إلا أن  
يتشتت همه بتفريق  
النظر فيغيب عن العين  
للاستعانة على الخشوع  
وإن شاء في الصلاة  
بضم شفتيه بقدر  
الامكان ولا يلتزم دقته  
بصدره ولا يزاحم في  
الصلاة غيره قيل ذهب  
المزحوم بصلاة المزاحم  
وقيل من ترك الصف  
الأول مخافة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر»<sup>(١)</sup> وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لياهي بمطعم الطعام لللائكة عليهم السلام»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها»<sup>(٣)</sup> وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فساءله فأمره بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة»<sup>(٤)</sup> وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن الله عبادا يختصم بالنعم لمنافع العباد فمن غل بتلك المنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره»<sup>(٥)</sup> وعن الهلالى قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وارك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح»<sup>(٧)</sup> وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء فحمله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزاه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكامل فيه الجوزجاني والأزدي ورواه الحاكم من حديث على وقال إنه صحيح الإسناد وليس كالأخبار (١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر الطبراني في الأوسط والخراطي في مكارم الأخلاق . وقال الخراطي أقبوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدار قطنى (٢) حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس يلقظ الخير لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس يلقظ الخير أسرع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأناه رجل فساءله فأمره بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن الله عبادا يختصم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السخي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله ابن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٦) حديث الهلالى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا (٧) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو على الصدقي في عواليه وقال رجاله

على أهله قام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصنف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل . وروى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة . وسئل الجنيد مافريضة الصلاة ؟ قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوصى الله تعالى إلى بعض



« كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فخر لهم قيس تسع ركائب فخذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) » . الآثار : قال طي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأفق منها فانها لا تنقى وإذا أدبرت عنك فأفق منها فانها لا تبقى وأنشد :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة فليس يتقصها التبذير والسرف  
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فلحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الرومة والجمدة والسكرم فقال أما للرومة لحفظ الرجل دينه وحنره نفسه وحسن قيامه بضيافته وحنن النازعة والاقدام في السكراهية . وأما الجمدة فالقالب عن الجار والصبر في اللواطن وأما السكرم فالتيبر المعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعتي . وقال ابن السكك محبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمروءته . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل همتنا وأعطى مائلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذل ماله لطلابهم لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتتدى بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تازعه نفسه إلى حب السكره إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالشاوره إلا وإن الله عز وجل يقول : (إني جواد كريم لا يجاورني ثلثم والثوم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة) . وقال حذيفة رضي الله عنه درب فاجر في دينه أخرج في معيشتي يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتك فالمال لك

ومضى وأصل بن عطاء الفزال لأنه كان يجلس إلى الفزاليين فإذا رأى امرأة ضيفة أعطاها عيشا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يشب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير للمال ما وقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعت بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفاتة الهمنان الدار قطني في الاستعانة من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مغرقا فالجدة الأولى تخدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعل من حديث أنس أيضا وفيها زياد الخيري ضعيف (١) حديث كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فخر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

لثلاثي الحسن أن  
تصلي ؟ قال نعم قال كيف  
تصلي ؟ قال أقوم بالأمر  
وأمشي بالحشة  
وأدخل بالهية وأكبر  
بالعظمة وأقرأ بالترتيل  
وأركع بالحشوع  
وأسجد بالتواضع  
وأقعد للشهد بالجمام  
وأسلم على السنة  
وأسلمها إلى ربي  
وأحفظها أيام حياتي  
وأرجع باليوم على نفسي  
وأخاف أن لا تقبل  
مني وأرجو أن تقبل  
مني وأنا بين الخوف  
والرجاء وأشكر من  
علي وأعلمها من  
سألني وأحمد ربي إذ  
هداني قال محمد بن  
يوسف مثلك يصلح  
أن يكون واعظا وقوله  
تعالى - لا تخربوا  
الصلاة وأنتم سكارى-

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي أَفَأَجَلُ عَلَيْهِم بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْيَهُودِ فِي بَذَلِ  
الْوُجُودِ مِنْهُمْ الْجُودُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي  
قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِي عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمَكَّنِي مِنْ  
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْعُ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْمُهْدِي لِشَيْبٍ بِنْ شَبَّةٍ كَيْفَ  
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيَمْتَلِ  
مَتَمَلِّ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصْنَعُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنْعِ

فَإِذَا اصْطَنَعْتَ صَنِيعَةً فَاعْمَدْ بِهَا اللَّهَ أَوْ لَدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْدَعِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمَطَرَ الْعُرُوفَ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ  
السَّكْرَامُ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ اللَّثَامُ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

### ( حكايات الأسخياء )

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْكِرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَيْهَا  
بِعَمَلٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِطَبْقٍ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَمَسَتْ قَالَتْ  
يَا جَارِيَةَ هَلْ لِي فُطُورِي فَجَاءَتْهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتَ فِيمَا قَسَمْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ  
لَنَا بِدَرَاهِمِ لَحْمًا تَقْطُرُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ . وَعَنْ أَبِيانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ  
أَنْ يَضَارَّ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَ قَرِيْشٍ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عِيْدُ اللَّهِ تَعْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ  
حَتَّى مَلَأُوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ فَأَمَرَ عِيْدُ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكِهِةٍ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا  
وَاخْبَرُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْمَوَائِدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا فَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ  
لَوْ كَلَانَهُ أَوْ . وَجُودَ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلْيَتَّخِذْ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْعَبُ بْنُ  
الزَّيْبِرِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَتْلُقْهُ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ  
فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا يَدُلُّنَا مِنْ إِيْتَانِهِ فَرَكِبَ فِي أَثَرِهِ وَلَحِقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ  
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَمَرُّوا عَلَيْهِ يَبْتَغِي عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمٌ يَسُوقُونَهُ  
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ  
حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْمَةً إِلَى الْمُأْمُونِ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةُ الدِّينِ وَقِلَّةُ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الْمُأْمُونُ عَلَى ظَهْرِ  
رَقْمَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ  
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْعَمُكَ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ  
قَدْ أَصَبْتُ فَازِدٌ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَانِيكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكُنْتُ عَلَى  
قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْبِرِ بْنِ  
الْعَوَامِ يَا زَيْبِرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ نِعْمَتِهِ  
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ <sup>(١)</sup> » قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لَمَّا كَرِهَ الْمُأْمُونُ إِيَّايَ بِالْحَدِيثِ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ  
يَا هَذَا حَقُّ سؤَالِكَ إِيَّايَ يَعْظُمُ لَدَيَّ وَمَعْرِفَتِي بِمَا يَحِبُّ لَكَ تَكْبَرُ عَلَى وَيَدِي تَعْجِزُ عَنْ نَيْلِكَ بِمَا أَنْتَ  
أَهْلُهُ وَالْكَثِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لَشُكْرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْبُيُورَ وَرَفَعْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا  
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ صَلَّى  
وَرَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَحْدَثْ  
نَفْسَهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا  
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ  
ذَنْبِهِ » وَقَالَ أَيْضًا « إِنْ  
الصَّلَاةُ تَمَكَّنَتْ وَتَوَاضَعَتْ  
وَتَضَرَّعَتْ وَتَنَادَمَتْ وَتَرَفَعَتْ  
بِيَدَيْكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ  
اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَفْعَلْ ذَلِكَ  
فَهُوَ خِدَاجٌ » أَيْ نَاقِصَةٌ  
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا  
تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ  
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي  
أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانِهِ  
لَأَنَّهُ تَأْهَبُ لِلدُّخُولِ عَلَى  
لِللَّهِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ  
عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ  
يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ  
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ  
وَوَاجِهُهُ الْجِبَارُ بِوَجْهِهِ  
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اطْلُعْ  
لِللَّهِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَا زَيْبِرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قِصَّةُ مَعَ الْمُؤْمِنِ  
الدَّارِ قُطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ بِالنِّعْمَةِ وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتسكفه من واجب حثك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر طي اللع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على تفقاته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالحسنة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفعت الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من يعملها لك فأناؤه بحالين فدفعت إليه الحسن رداه لكره الحمالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم قال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو طامل بالبصرة فقالوا لتاجار صوام قوام يتحق كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال اسلموا لحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطينا ما يشغل عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقبل وفضلوا. ونسكى أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلن الشيطان أني عدوه فقال يحاولهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حتى نساؤه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفعت القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته. وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا قال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي نعمتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع على بشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احببني فإن أهلي لا يتركوني محبوسا فقبل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس. وكان معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر به شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يترأ له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فمرني فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر يثنا على خشبة وأقامها في اللاء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس اللاء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها:

أما جود معن ناج معنا بما حق فمالي إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشرب فأنهضها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفعت إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار. وقال أبو الحسن للدائي خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فقامت أمهم فجاءوا وعطشوا لروا بسجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا إليها وليس لها إلا هوية في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتلقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذهبها أحدكم حتى أهني لكم ما تكون قدام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجنا سالمين فأمي بنا فانا صائمون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تدعين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تحولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا بقلان البحر إليها وبيعانه ويتعشان بجمته

يكن في قلبه أكبر  
من الله تعالى يقول :  
صدقت الله في قلبك  
كما تقول وتشتع من  
قلبه نور يلحق  
بلكوت العرش  
ويكشف به ذلك النور  
ملكوت السموات  
والأرض ويكتب له  
حسن ذلك النور  
حسنات وإن الجاهل  
القائل إذا قام إلى الصلاة  
احتوشته الشياطين كما  
حتوش الذباب على  
قطعة العسل فاذا كبر  
اطلع الله على قلبه فاذا  
كان شئ في قلبه أكبر  
من الله تعالى عنده  
يقول له كذبت ليس  
الله تعالى أكبر في  
قلبك كما تقول فيثور  
من قلبه دخان يلحق  
بمنان السماء فيكون  
حجابا لقلبه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكورة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ، ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من قبيلة فأتى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تحشى وحدك فقلت أقيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استفق هذه فقم مأدبك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره . وابتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بيورك بنجبي وكان السخي الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بيور صمين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم ببيوره بنجبيه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بيوره فنحره في النوم فأتته الرجل من نومه فاذا الدم يشج من نحر بيوره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعث منه بيوري بنجبيه في النوم فقال خذ هذا نجبيه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجبي إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفر فرآه رجل من الأعراب على قارعة الطريق فد أعده الدهر وأضر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه مابق معك من النقعة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينمض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لملك استقلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثميتين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا سيكون لدهام فقال يا غلام ائتم فأعلمهم أن للسال والدار لهم جميعا . وقيل بعث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيت خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غاقي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عدل فأمر لها بزقي من عدل فقيل له إنها كانت تقع بدون هذا ؟ فقال إنما سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشكت شاة عندي فكان خيشمة بن عبد الرحمن يعودها بالنداء والعشوى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا إليها وكان يحكى ليد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اليد حتى وصل إلى فيعة الشاة أكثر من ثلثائة

للكوت فيزداد ذلك  
الحجاب صلبة ويلتقم  
الشیطان قلبه فلا يزال  
ينفع فيه وينفث  
ويوسوس إليه ويربى  
حتى ينصرف من  
صلاته ولا يعقل ما كان  
فيه . وفي الخبر «لولا  
أن الشياطين يحومون  
على قلوب في آدم لنظروا  
إلى ملكوت السماء»  
والقلوب الصافية التي  
كل أديها لكامل أدب  
قوالها تصير سماوية  
تدخل بالكبير في  
السماء كما تدخل في  
الصلاة والله تعالى  
حرس السماء من  
تصرف الشياطين  
فالقلم السماوى لا سبيل  
للشیطان إليه فنبى  
هو اجس نفسانية عند  
ذلك لا تنقطع بالتحصن  
بالسماء كاتقطاع تصرف



ديار من بره حتى نمت أن الشاة لم تجرأ . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خازرة بلقي عنك خصال حدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر للمؤمنين مامدوت رجلي بين يدي جليسي لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط بسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله سكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إن سمعت مع الصباح مناديا      يامن يمين على الفقى العوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ إخوانه فقيل له إثم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا ينفع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حق فهو منه برى . قال فانكسرت درجته بالعتي لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت النجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البازحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونملين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فنجث إليه وقتل له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت فعلت وتصنع وإنى درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء قال فأخذه وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يحفروا مكان السكاون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فأحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل البيت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نحن أحياء فلما ألقوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض بمصر قال مروا فلانا بفسلى فلما توفى بلغه خبر وفاته فغضر وقال اتنوني بذكركم فأتى بها فظفر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرهم فرأيت فيهم سببا الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبواها صالحا - وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغنى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حمارة فمركه فانتطع زره لمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت مقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه :

الشیطان والقلوب  
الراة بالقرب تدرج  
بالتقريب وتخرج في  
طبقات السموات وفي  
كل طبقة من أطباق  
السما يتخلف شيء من  
ظلمة النفس ويقدّر  
ذلك بقل الهاجس إلى  
أن يتجاوز السموات  
ويقف أمام العرش  
فبعد ذلك ينهب  
بالكلية هاجس النفس  
بساطع نور العرش  
وتتدرج ظلمات النفس  
في نور القاب اندراج  
الليل في النهار وتأتى  
حينئذ حقوق الآداب  
على وجه الصواب ،  
وما ذكرنا من أدب  
الصلاة يسر من كثير  
وشأن الصلاة أكبر  
من وصفنا وأكمل من  
ذكرنا وقد غلط  
أقسام وظنوا أن

بالهف قلبى على مال أجود به طى للقلين من أهل اللروات  
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى مالىس عندى لمن إحدى للصيات

وعن الريع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير  
واعتذر إليه عنى . وقال الريع سمعت الحميدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بمئيرة آلاف  
دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض  
له قبضة ويعطيه حتى حلى الظهر ونفض الثوب وأيس عليه ثوب . وعن أبي ثور قال أراد الشافى  
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يسك شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا اللال  
ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأنته عن ذلك اللال فقال ما وجدت بمكة ضيعة  
يمكننى أن أشتريها لمعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا  
حجوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغهن مالى  
ففسى لا تطاوعنى يخلد ومالى لا يلفنى فزالى

وقال محمد بن عباد المهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها  
فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال ياأمير المؤمنين : منع الوجود، سوء ظن  
بالموجود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم  
فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .  
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلًا فقبل منه الدحة وأمر حابيه  
بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأقام شهرين فأوحشه طول اللقام فكتب  
إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما ترجى من الصدف

كما الدرهم والدنانير فى البيع حرام إلا يبدأ بيد

فلما وصل البيهتان إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا  
وجئى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برّا فـ لا ولو أمهلتنا لم تقلل  
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان له ثمان على طاحه رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد  
فقال له طاحه قد تها مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى  
بنت عوف دخلت على طاحه فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد غنى فقلت  
وما يملك ادع قومك فقال يا غلام طى بقوى نفسه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .  
وجاء أعرابى إلى طاحه فسأله وتقرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ماسألى بها أحد قبلك إن لى  
أرضا قد أعطانى بها عثمان ثلث مائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بستها من عثمان ودفعت إليك  
التمن فقال التمن فباعها من عثمان ودفع إليه التمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك  
فقال لم يأتنى صيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانى . وآتى رجل صديقا له فدى عليه  
الباب فقال ماجاء بك ؟ قال طى أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى  
فقال امرأته لم أعطيتك إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أشفق حاله حتى احتاج إلى مفاتحنى  
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة  
ذكر الله تعالى وإذا  
حصل الذكر فأى  
حاجة إلى الصلاة  
وسلكوا طرقا من  
الضلال وركبوا إلى  
أباطيل الخيال ومحو  
الرسوم والأحكام  
ورفضوا الحلال  
والحرام وقوم آخرون  
سلكوا في ذلك طريقا  
أدتهم إلى نقصان الحال  
حيث سلخوا من  
الضلال لأنهم اعترفوا  
بالفرائض وأنكروا  
فضل التوابع واغترخوا  
ببسير روح الحال  
وأهملوا فضل الأعمال  
ولم يعلموا أن الله فى  
كل هيئة من الهيئات  
وكل حركة من  
الحركات أسراراً  
وحكماً لا توجد فى شيء  
من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى سولايحسبن الذين يغفلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة - وقال تعالى - الذين يغفلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم قطعوا أرحامهم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة» (٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للراء بنفسه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله ينفق ثلاثة الشيوخ الزاني والبخیل المنان واللعيل المحتال» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل النفق والبخیل كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما النفق فلا ينفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جلده حتى نخى بنائه وأما البخیل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلمت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت براقيه فهو يوسمها ولا تنسع» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا التفحش وإياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة قطعوا» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتفقوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم ومصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة قطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم قطعوا أرحامهم الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهي عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله ينفق ثلاثة الشيوخ الزاني والبخیل المنان والفقير المحتال الترمذي والفسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخیل المنان وقال فيه النقي الظلوم وقد تقدم والطبراني في الأوسط من حديث علي بن الله لينقض النقي الظلوم والشيخ الجليل والمائل المحتال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل النفق والبخیل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجسمان وما دام البخل في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره ]  
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر» وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا وينبغي برد للظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر «الصوم لي وأنا أجزي به» قيل أضافه إلى

« شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع »<sup>(١)</sup> « وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه »<sup>(٢)</sup> « وقال جبير بن مطعم « بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة شظفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الغضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »<sup>(٣)</sup> « وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قتل غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالفحش أو يخولوني ولست ياخذ »<sup>(٤)</sup> « وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيا وقالوا معروفاً وشكراً ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني في مسألة متأبطها وهي نار قال عمر فلم تعطهم ما هو نار قال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل »<sup>(٥)</sup> « وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجدودوا بحمد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وعد أغصانها بأغصان سدره التنسي ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنفس من أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتله وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنفس منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار »<sup>(٦)</sup> « وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل »<sup>(٧)</sup>

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث وإسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش (١) حديث شرماني الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم فيما قتل غير هؤلاء كان أحق به منهم الحديث وفيه ولست ياخذ (٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأتيا وقالوا معروفاً الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نخوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بعير ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجعدوا بحمد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده .

فه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصالحون - الصائمون لأنهم ساءحوا إلى الله تعالى بمجموعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغاً وبجائز له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وفد بنى الحبان من سيدكم يابى الحبان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح<sup>(١)</sup> » وفى رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنما على ذلك لثرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء « وقال طى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينفذ البخل فى حياته السخى عند موته<sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل<sup>(٣)</sup> » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان فى قلب عبد<sup>(٤)</sup> » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق<sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينفى لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا<sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل<sup>(٧)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى ذنبى فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لى فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يا رسول الله إنى رجل ذو ثروة من المال وإن السائل لىأبئى يسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عنى لا تحرقنى بئارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو فقت بين الركن والمقام ثم صليت ألقى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله فى النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر فى النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فانهما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -<sup>(٨)</sup> » الآثار ، قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبى هريرة من سيدكم يابى الحبان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يابى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث طى إن الله ينفذ البخل فى حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده فى مسنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبى هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذى بلفظ ولجاهل سخي وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبى هريرة لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد النسائى وفى إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينفى لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذى من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى الحديث فى ذم البخل وفيه قال إليك عنى لا تحرقنى بئارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

يحيى بن معاذ إذا  
أبلى للريد بكثرة  
الأكل بكت عليه  
اللائكة رحمة له ومن  
أبلى بهرص الأكل  
قد أحرق نار الشهوة  
وفى نفس ابن آدم  
ألف عضو من الشر  
كلها فى كف الشيطان  
متعلق بها فإذا جوع  
بطنه وأخذ حلقه  
وراض نفسه بيس كل  
عضوا وأحرق بنار  
الجوع وفر الشيطان  
من ظله وإذا أشبع  
بطنه وترك حلقه  
فى لذائذ الشهوات فقد  
رطب أعضائه وأمكن  
الشيطان ، والشبع نهر  
فى النفس ترده  
الشياطين والجوع  
نهر فى الروح ترده  
اللائكة وينهزم  
الشيطان من جامع نائم  
فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزيني قزيفت ، ثم قال لها اظهري أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسليم فتفجر منها في الجنان أنهار الحمروا أنهار العسل والبن ثم قال لها اظهري سرورك وحبالك وكرايك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فظفر إليها فقال تسلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لأنسكك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف البخل لو كان البخل قميصا ملبسته ولو كان طريقا ماسلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يعبد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن السكندر كان يقال : إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلانهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان غشوض بعض اللوسر على مافي يدمو لم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنفخوا الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على مافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من أتى سخييا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوة ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النجعة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لمسك تلقا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عيني وكأني أرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لأرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يعمل على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يفن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : والله ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى - عرفت بعضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخل (١) » . ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال لما خيرا إذا (٢) » وقال بشر : النظر إلى البخل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسحياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا ولا بخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العز بنخل الناس بماله أجودهم بمرضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كفاني بخله والفاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

### ( حكايات البخلاء )

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث أنك لبخل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا فليظروا .

قائما ويوافق الشيطان شعبا قائما فكيف إذا كان نائما قلبه للريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالى وهو يأكل خبزا يابساً فقبله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال أدعه حتى أشربه وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يجعل الصغار والدلّ إليه في دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر إن الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبع

وجعل يشرب الماء فاستخبطه ونزل به السكر والموت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاهنا أتقياً طباهجة بيض الموت ولا ذلك، وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين قطي التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً قال نعم فقرأوا الزيتون وطور سبئين فقال وأبني التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئاً فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجيأتني أي صوت تشتهى أن أسممك قال صوت القلى . ويعكى أن محمد بن يحيى ابن خالد بن برمك كان بخيلاً فيبيع البخل فبخل نسبه له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي قدر في قدر ومخافه منقورة من حب الحشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام السكابون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الدباب فقال سواتك بدت وأنت خاص به وثوبك محرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوء الإبراش جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له تراك لا تأكل إلا الرءوس في الصيف والشتاء فلم تخز ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إذ مس عينا أو أذنا أو خذا وقتت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغاصسته لونا ودماعه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاها أربعة دنانير واشترى مرة لحماً بدرهم فدعا صديق له فردّ اللحم إلى الفصاف بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول : لودخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرّب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له ربّ المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإله خرجت إليك بالصدا قال فدأه الأعمش وقال اذهب ويعكك فلا والله ما رايت أحداً أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما .

( بيان الإيثار وفعله )

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشدّ وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكيف من يبخل بمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا ينعم منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً لأكلها ، فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أثبت الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أعيأ امرئ اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية »

ولا شربت حتى رويت  
إلا عصيت الله وأوممت  
بعضية . وروى القاسم  
ابن محمد عن عائشة  
رضي الله عنها قالت :  
كان يأتي علينا الشهر  
ونصف شهر ما تدخل  
بيتنا نار للمصباح  
ولا نسيره قال قلت  
سبحان الله فبأي شيء  
كنتم تعيشون  
قالت بالقر والسوا وكان  
لنا جيران من الأنصار  
جرائم الله خيرا كانت  
لهم منافع فربما واسونا  
بشيء . وروى أن  
حفصة بنت عمر رضي  
الله عنها قالت لأبيها  
إن الله قد أوسع الرزق  
فلو أكلت طعاماً  
أكثر من طعامك  
ولبست ثياباً أليّن من  
ثيابك فقال إني  
أخاصمك إلى نفسك

حق فارق الدنيا ولوشئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا (١) و نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من ضيفكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صباه الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمه فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليظة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسنه وبوأته من جنتي حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى السلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آترت به هذا الكلب قال ماهي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا ، قال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الغلام لأسخى منى فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووجه منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج منى إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاخارا كلاهما الحياة وأحباهما ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتم مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق حتى مضى لسبيله وللشيخين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طهامة (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

ألم يصكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما نخلت لعمري دقيقا إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضى الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خير برحق مضى لسبيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أدبوا قرق باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما . وقبل ظهر إلى ليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق قال ما هذه قال



عنده نيف وثلاثون نغسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة ممدودة لم تشبع جيبهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فززع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذينة المدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رفق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قفلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات فرحة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فززع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوباً فلبس فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فنبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى لئته رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً فجاء إلى تلك اللبنة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في اللبنة لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت اللبنة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة هنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

( بيان حد السخاء والبخل وحقتهما )

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان غيلاً ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخياً ورجائراً غيره غيلاً وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا غيلاً ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويحمد من نفسه حباً للمال ولأجله يحفظ المال ويعسكه فان كان يصير بمسك المال غيلاً فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخيل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة ونواها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يد غيلاً بالاتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في قسمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يد غيلاً ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخضاه عنه يد غيلاً وقال قائلون : البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسراف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصراً من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتقف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحدث منكسر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت لبنة ثقلمناك عن الصلاة والله قال لا جرم إني لا أشبع أبداً قال إبليس لا جرم إني لا أنصح أحداً أبداً . وقال شفيق العبادة حرفة وحانوتها الحلوة وآلاتها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملكت المدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجتمعوا بين الأدميين فانه من طعام النافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسد معدته ألوان الأغذية فيكره للريد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالمطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قامى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمد ويبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصارها فهو متسخر وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة وينع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخر بالتسكف أو الذي يتيمم الحبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخيل . وأما واجب المرءة فهو ترك الضيقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستقباح ذلك يخالف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من الضيقة ويستقبح من الرجل الضيقة مع أهله وأقاربه ومما يليه مالا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيقة من الضيقة مالا يستقبح في العامة فيختلف ذلك بعافيه من الضيقة في ضيقة أو معاملة ومما به الضيقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من الضيقة وكذلك عن معه الضيقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبين منه الضيقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التنبه على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان سيانة الدين أهم من حفظ المال فإنا نكف الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والضائق في الدقائق مع من لا تحسن الضيقة معه هاتك ستر المرءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتنسج بالشهوة . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يقعن صلبه فان كان لإحالة ثلث لطفاته وثلث لشرا به وثلث لنفسه » وقال فتح الوصل : محبت ثلاثين شيئا كل يومين عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار ]  
جمع من للشاغ

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيره ما يختلف استتباع ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروءة الالفة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتممت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه اللامة في العادة فهو جواد يقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المروءة وراء ما توجه به العادة والروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يبيع وليس بجواد فإنه يشتري الدخ بماله والودع لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما آدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبدل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من تقعيبه من النعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعوان معجلة له عليه فهو محتاض لجواد كما روى عن بعض المتعبدين أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سأل عماشنت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندهم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجراً ؟ قالوا نعم قالت ولما قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندهم عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تتحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا تقبيح وقالت بعض المتعبدين أعجبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قبل قيم قال السخاء عندي في اللهب وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تلتها لله عز وجل ويسخو قلبك يبدل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاكم هو الذي يفعل لك ما لا تحب أن تختار لنفسك.

### ( بيان علاج البخل )

اعلم أن البخل سببه حب للمال ولحب للمال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخله مجبنة مجبلة <sup>(١)</sup> » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجي الرزق قوى البخل لا محالة. السبب الثاني : أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بأخراج الزكاة ولا بعداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخله زاد في رواية حمزة ابن ماجة من حديث يعلى بن مرة دون قوله حمزة نرواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يدعون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوماً فأفطر فاعتل من ذلك أياماً فإذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً وبدع للأفطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار عبا للدنانير عشقها يلتذ بوجودها في يده وبقدرة عليها فيكزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سبيل في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبه لذلك لأن الموصل إلى اللذبة لذيذ ثم قد نسي الحاجات وبصر الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاهو جاهل بالأمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنعسا علاج كل علة بضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبه في جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تقيا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على النصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء وقررة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل إلا ويستبجح البخل من غيره ويستقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستغنى في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يحجب الخاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يمدد الفقر ويخوفه ويصد عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذه له وقال اترع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تغيب وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول المشق إلا بفارقة العشق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الخيل فيه أن يمدح نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن يعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بهلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا يخلو واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كما تسلب الشهوة على الغضب وتكسر سرورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رغبتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقامع من علة ويزيد في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العبد في أيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحي ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداها  
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحبيثة  
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويجعل الأضغف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة  
ثم تقع الناية بمحوها وإزالتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل  
بغتضاها فأنها تقتضي لامحالة أعمالا وإذا خولفت صفات ومات مثل البخل فإنه يقتضي إمساك  
المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد صمة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط  
التعب فيه فإن علاج البخل يعلم وعمل القالم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع  
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة  
فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فبقي الملة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة  
الدواء وإمكان استماله فإنه لا حيلة فيه إلا بالصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية  
في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه  
بزأوته ومافيا تعلقه إلى زاوية غيرها وتقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه  
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل  
إليه قلبه فهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فإن كان له  
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألفت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل  
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقْد  
والهلاك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا  
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال إن كسر كان  
مصيبة لأجير لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أس من المصيبة  
والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء لئنه لم يحمل  
إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله  
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا قطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فأنه تأكل نفسها فإن المال  
لا يحفظ إلا بالحراثن والحراس والحراثن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرامم والدنانير  
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأْس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه  
إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا  
يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بتقدير الحاجة.

( بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله )

يوما ويخطر يومين  
ومنهم من كان يصوم  
يوم الاثنين والخميس  
والجمعة . وقيل : كان  
سهل بن عبدالله يأكل  
في كل خمسة عشر يوما  
مرة وفي رمضان يأكل  
أكلة واحدة وكان  
يفطر بالماء القراح  
للسنة . وحكى عن  
الجنيد أنه كان يصوم  
على الدوام فإذا دخل  
عليه إخوانه أفطر معهم  
ويقول ليس فضل  
الساعدة مع الإخوان  
بأقل من فضل الصوم  
غير أن هذا الاقطار  
يحتاج إلى علم فقد  
يكون الداعي إلى ذلك  
شره النفس لانيية  
الموافقة وتخليص الية  
لحضر الموافقة مع  
وجود شره النفس  
صعب ، وصعب شيخنا

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقق ويستخرج منها  
الترياق ويأخذها القافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على  
خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يخلق إلا ليعتج إليه حتى يكتب ولا يحفظ  
إلا قدر الحاجة ولا يبطيه من همته فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام  
الحض وما الغالب عليه الحرام كال السلطان ويحتجب الجهات المكروهة القادرة في ناروة كالمدايا  
التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه الدالة وهتك الروء وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدير  
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة لمليس وممكن  
ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما مثلا إلى جانب القلة ومتفر من حد

الضرورة كان حقا ويحيى من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لهم فيها وقد ذكرنا  
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد في الاتفاق غير  
مبذر . ولا مقتركا ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حقه في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاسم في  
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك  
والاتفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ويستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له  
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض  
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتسكن  
جميع حركاتك وسكناتك له مقصورة على عبادة أو مابين على العبادة فان أبعد الحركات عن  
العبادة الأسهل وقضاء الحاجة وهما مبيتان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة  
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآنية لأن  
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من  
عباد الله ولا ينعم منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حيلة المال جوهرها وتزياتها  
واقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه  
والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة الصبي الذي  
يرى للعزم الخائف يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج تزياتها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا  
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدرى أنه  
قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا حكيمة تفتت السهم وإن كانت الحية لانت

وكما يستحيل أن يقشبه الأعمى بالبعير في تخطى قلال الجبال وأطراف البحر والطرق المتوكة فالحال  
أن يقشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال .

( بيان ذم التفتي ومدح الفقر )

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل التفتي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر  
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من التفتي  
على الجملة من غير التفات إلى تفضيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي  
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة  
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم العامة وله السبق على جميع  
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال  
بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون  
وتصلون وتصدقون ولا تعملون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون بتوبون بالقول  
والأمانى وتعملون بالهوى وما ينهى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تسكنوا  
كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم  
ويبقى القلب في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقص من الدنيا شهوته ولا تنقطع  
نهار غيبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جطتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل  
نحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى  
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محل التجبرين

يقول لى سنين ما أكلت  
شيئا بشهوة نفس ابتداء  
واستدعاء بل يقدم إلى  
النفس فأراه من فضل  
الله ونعمته وقسله  
فأوافق الحق في ضله .  
وذكر أنه في ذات يوم  
اشتهى الطعام ولم يحضر  
من عادته تقديم الطعام  
إليه قال ففتحت باب  
البيت الذى فيه الطعام  
وأخذت رمانة لآكلها  
فدخلت النور  
وأخذت دجاجة كانت  
هناك فقلت هذا عقوبة  
لى على تصرفى فى أخذ  
الرمانة . ورأيت الشيخ  
أبا السعود رحمه الله  
يتناول الطعام فى اليوم  
مرات أى وقت أحضر  
الطعام أكل منه  
ويرى أن تناوله للطعام  
موافقة الحق لأن حاله  
مع الله كان ترك الاختيار  
فى ما كوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا ينشئ عن البيت المظلم أن يوضع النراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينشئ عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة تنسلط بأبيد الدنيا لا كسيد أضياء ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تفلتكم عن أصولكم تظلمكم على وجوهكم ثم تكلمكم على مناخركم ثم تأخذ خطابكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الديان هراة فرادى غيوتكم على سواكم ثم يهزيمكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يصفو الكبريم فضله [وبعد] فأنقذ آيات الممالك المؤثر للدنيا سروره بمزج بالتنصيص فيتنجر عنه أنواع المحمومون والمصا إلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يعلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فيالها من مصيبة ما أنظمتها ورزية ما أجلها ألقاها الله إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأوليائه الأنسين بالحجج الداحضة عند الله فأنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقسامهم المآذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيترين المترورون بذكر الصحابة ليعزهم الناس على جمع المال وقصد هاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها القنن إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان بنطق بها على لسانك قبلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال لتكاثروا والشرف والريزة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أولى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة في هذا الخير الذي رغبته فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أولى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهامهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهامهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لبيادته حين نهامهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهامهم عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبته في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ماذا لك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد وذر عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فيها ترك فقال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطرا يريد كعبا فمر بعظم لحي بصير فأخذ يده ثم انطلق يريد كعبا فقبل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التجار بين الحديث ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا تجمعوا مالا تأكلون وكلاما ضعيفا .

وجميع تصاريغه وكان حاله الوقوف مع فضل الحق وقد كان له في ذلك بداية يميز مثلها حتى قل أنه كان يتيقأيا لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو نفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينتظر فضل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والسلامة وكانوا يتكلمون بالأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والمواقفة . ممته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذرّ فقال له أبو ذرّ هبه يا ابن اليهودية نزع أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذرّ قلت ليك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وجماله وقدمه وخلفه وقيل معهم ثم قال يا أبا ذرّ قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي ، قال ما يسرني أن لي مثل أحد أخقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذرّ أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) « فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قبل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحررا لعلني أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا (٣) » ويحك أيها الفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراء بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرسات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأتفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله ممحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحب في آثارهم حبوا . فساظنك بأمثالنا الفرق في فن الدنيا وبعد فالمعجب كل المعجب لك يا مفتون تترغ في تخالط الشبهات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتقلب في فن الدنيا ثم تحتج بسيد الرحمن وتزعم

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان . وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم قد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا تسلسل والأليق بموافقة العلم إماماء الصوم قال الله تعالى -ولا تبطلوا أعمالكم- ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يفعلون فلا يمارضون والصدق

(١) حديث أبي ذرّ الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث منه في عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذرّ عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بلقي كاذكره للسنن وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا ولفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهب الحديث وفيه ابن لميعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين شعثا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا البرار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضمنه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح



أنك إن جمعت المال قد جمعت الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويعلمك إن هذا من قياس إبليس ومن قبياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائلكم وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وتدبوا فضلا ولم يمنعوا منها حقاً ولم يخلوا بها لكنهم جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً فبأنه أذكلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أختيار الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبأنه في أرزاقهم واتقوا الله بمسورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين إيتالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه أذكلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيء حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذا كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا ومايراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أذكلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها اللقون مندا لأحوالهم وذلك أنك تطفى عند القنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتفعل عن شكر ذي النماء وتقطع عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأف من المسكنة وذلك غر الرسلين وأنت تأف من غرم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بصفاته وكثي به إنما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم <sup>(١)</sup> » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليحيى يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أوللتها لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المسكت في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله لقاتلك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دينك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمد لم يسه كيف كان  
والصادق في خفارة  
صدقه كيف قلب وقال  
بعضهم إذا رأيت  
الصوفي يصوم صوم  
التطوع فأنه فانه قد  
اجتمع معه شيء من  
الدنيا . وقيل إذا كان  
جماعة متواقفين  
أشكالا وفيهم مرید  
يحتونه على الصيام فإن  
لم يساعدهم يهتموا  
لافطاره ويتكفوا له  
رفاقه ولا يعملوا حاله  
على حالهم وإن كانوا  
جماعة مع شيخ  
يصومون لصومه  
ويفطرون لافطاره إلا  
من يأمره الشيخ بغير  
ذلك . وقيل إن بعضهم  
صام سنين بسبب شاب  
كان يصعبه حتى ينظر  
الشاب إليه فتأدب  
به وبصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه»<sup>(١)</sup> وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تفتي بأمور دينك أضعاف مائتي بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دينك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للموت والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخوفين ما خطأه تعالى كما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من المخوفين مساويك ولا تكتر باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكانت العيب أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثالب فيك أف لك متلويا بالأنذار وتحتج بحاله الأبرار هيات هيات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهده منكم فيما حرم عليكم إن الذي لا بأس به عندكم كان من اللوهمات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبار لغاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم ولينك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غيبة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهبتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلوة عند الله وفريق أثالبكم في السفالة أوبى فوالله الكريم بفضلهم [وبعد] فأنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتخلف والبذل في سبيل الله فخير أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقطع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»<sup>(٢)</sup> أيها القرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أظلم وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر ببلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالثبات في الورع فلا تعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا للسؤال وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لأنني خفي عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن السكي أنه كان يصوم الدهر وكان مقبلا بالصبر وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دوايق يعمل يسده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم علي إلا أن يطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية في ذلك لأنه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخاس الله عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنييس

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهاشمي كما ذكره النصف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليَطهر فرأى قنبر بطيخ فأخذه وأكله فرآه إنسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جن منكم هذه الجنابة فقال الرجل أنا وجدت قنبر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنائيك ورقحك فقال أنا نائب من جنابك فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض أسود جده من أثر العصية فلما تاب الله عليه أمره أن

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسة عشر ألف سنة عن الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ فقراء مكان صعاليك ولهما وللنساء في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة باريين خريفا .

فبأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبى أنتم حكام الناس وملوكهم فأرونى ماذا صنعتُمْ فيما أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال مسرئى أنى حمر النعم ولا كون فى الرجل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع الخفين فى زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجليين من الخلف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل التقيين لقد بلغنى « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بجرية من ماء وعسل فلما ذاقه خفقه العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب لينكلم فصاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامه أحدى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قلت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها قتالت لى يا محمد خذنى قلت إليك عنى قتالت إن تنج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من جسدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى فقطعتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « ياقوم فهؤلاء الأخبار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلال ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تغلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للصطفى لتظنن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العاقولن وأردت الكثرة نصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تنفع بالقليل نصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال للتخلفين لتفطمعن عن أصحاب اليقين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعم المتممين ولئن خالفت أحوال التقيين لتكوتن من المتهبين فى أهوال يوم الدين قد برىحك ما صنعت [ وبعد ] فان زعمت أنك فى مثال خيار السلف فنع بالقليل زاهد فى الحلال بنول المسالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لندك مبغض للتسكّر والفنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة وللسكنة مسرور بالقلد والضة كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توفى فى المسألة ولن يحاسب مثلك من التقيين وإنما تجمع المال الحلال للبدل فى سبيل الله ويحك أيها القروى قد برى الأمر وأمعن النظر أما عدت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكّر والفكر والاعتبار أسلم لادين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أعطاء بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان إذا كره أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمة وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد واقه ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا أفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنتم لعبسك وأرضى لبالك وأقل لطمومك لما عذرك فى جمع المال وأنت بترك للمال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله

يصوم أيام البيض  
فايض ثلث جسده  
بكل يوم صامه حق  
ايض جميع جسده  
بصيام أيام البيض  
ويستحبون صوم  
النصف الأول من  
شعبان وإفطار نصفه  
الأخير وإن واصل بين  
شعبان ورمضان فلا  
بأس به ولكن إن  
لم يكن صام فلا يستقبل  
رمضان يوم أو  
يومين وكان يكره  
بضمهم أن يسامرجب  
جميع كراهة المضاهاة  
برمضان ويستحب  
صوم العشر من ذى  
الحجة والعشر من  
المهرم ويستحب الخميس  
والجمعة والسبت أن  
يسام من الأشهر الحرام  
وورد فى الخبر من صام  
ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث بدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا  
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بجرية ماء وعسل الحديث فى دفع النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فذما جراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [ وبعد ] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء الصلطي سابقا إلى جنة للأبد فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تفدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدّر على أن يكتب ما يضيّه يسمى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك لله والفضل تجمعهم لا ولكك خوفا من الفقر تجمعهم ولتندم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمة والتعظيم والتكرمة تجمعهم ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحى من دعوئك أيها الغرور ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزييا على نفسك مترقا باساءتك وجلا من الحساب فذلك أجنى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلو وأن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في الباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله وإياكم منه [ وبعد ] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمايرهم وحسن نياتهم دهرنا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في سعادة الخفين يوم الذنور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد أصبحت لكم إن قبلتم والقابون لهذا قليل وقفنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النقي ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الثقور والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أمالك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا أفطن ولا أفطن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا فممت كما يمتو الدود فضابت عليه المدينة فتحنى عنها فززل وأدبا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر في الجماعة ويدع ما - وأهم ثم نمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ غنا فضابت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلم رجلا من جبرئيلة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرة يا ثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تفدى لم يجد عشاء الحديث عزاء صاحب مستند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في مساجم الطبراني

حرام الخيس والجمعة  
والسبت بعد من النار  
سبعائة عام .  
[ الباب الحادى  
والأربعون في آداب  
الصوم ومهامه ]  
آداب الصوفية في  
الصوم ضبط الظاهر  
والباطن وحكف  
الجوارح عن الآثام  
كنع النفس عن الطعام  
ثم كف النفس عن  
الاهتمام بالأقسام سمعت  
أن بعض الصالحين  
بالمراق كان طريقه  
وطريق أصحابه أنهم  
كانوا يصومون وكلما  
فتح عليهم قبل وقت  
الافطار يخرجونه ولا  
يفطرون إلا على ما فتح  
لهم وقت الافطار  
وليس من الأدب أن  
يسلك الزيد عن  
المباح ويفطر بحرام

فخرجنا حتى أتينا ثعلبة فسالاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى نغزوا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إليه فزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بلى خذوها ففسي بها طية وإيماني لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بعلبة فسالاه الصدقة قال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأاهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فأمر الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلهذا آتاهم من فضله فمخولوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فدمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله ممنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان <sup>(١)</sup> فهذا طغيان للآل وشؤمه وقد عرفت من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام ولحقت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بك بالحق نبيا ما علي إلا عبادة فقال أصني بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فألقى إليهم لآلة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجدة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فو الله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكي آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبحري فو الله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقمني بأبن عمك فو الله لقد زوّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة <sup>(٢)</sup>

الآثم قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون قيام الحق وصيامهم ولذة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المفرين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقال الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فإذا جمع الأكالات بأكلة واحدة قد أدرك بها ما فوت وهقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا قال يائه أية قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلما وأكرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت  
 الفقر وزكت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم  
 لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق  
 والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الملم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر  
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم  
 عليه السلام قال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتنيا إلى شط نهر جلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة  
 أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فخرّب ثم رجع فلم  
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية  
 ومعهما خشفان لها قال فدعا أحدهما فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف  
 قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري  
 ثم اتنيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشبا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك  
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فاتنيا إلى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع  
 ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهابا باذن الله تعالى فصار ذهابا قصعه ثلاثة أمثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك  
 وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فاتنيا  
 إليه رجلان في المغارة ومعه المال فأراد أن يأخذهما منه ويقتلهما فقال هو بيننا أمثلاثا فابتسوا أحدهم  
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا  
 المال لكنى أضع في هذا الطعام صما فأقتلهما وأخذ المال وحدهى قال ففعل وقال ذاك الرجل لأى  
 شيء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا  
 الطعام فماتا بقي ذلك المال في المغارة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك  
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء  
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا  
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين  
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين  
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتنى فأتيت فيها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك  
 حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحراد من الأمم عليهم قال وما ذاك قال ليس لكم  
 دنيا ولا شيء أولا أخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم أكرهناها لأن أحدا لم يعط منها شيئا  
 إلا تأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرت قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها  
 فكنتنتموها وصليتن عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعنا قبورنا من الأمل . قال  
 وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تأخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتنتموها  
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم  
 أدنى العيش من الطعام وأما ما جاوز الخنك من الطعام لم نجعله طعاما كأنما كان من الطعام ثم بسط  
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين لتناول جمجمة فقال باذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن  
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض ففهم وظلم وعاقب فأرأى الله سبحانه  
 ذلك منه حسنه بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم تناول

علما وأعظمهم حلا وإسناده صحيح .

أنهت لله تعالى في  
 شيء واحد على  
 الضرورة تأدى ذلك  
 إلى سائر أحواله فيصير  
 بالأكل النوم ضرورة  
 والقول والقول ضرورة  
 وهذا باب كبير من  
 أبواب الحيز لأهل  
 الله تعالى يحب رعايته  
 واقتضاه ولا يخفى على  
 الضرورة وفائدتها  
 وطالبها لا يعبد إربدا لله  
 تعالى أن يقر به  
 ويدينه ويصطفيه  
 ويريه ويعتق في  
 صومه من ملاعبة  
 الأهل والاماسة فإن  
 ذلك أزه للصوم  
 ويتسحر استعمالا  
 السنة وهو أدمى إلى  
 إمضاء الصوم لمعين  
 أحدها عود بركة  
 السنة عليه والثاني  
 التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية فقال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك مملكة الله  
بل قد كان يرى ما يصنع الله قبله بالناس من النعم والظلم والتعبد لتواضع وخشع له عز وجل وأمر  
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحجز به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة  
ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين  
هل لك في صحبتي فأخذه أنا ووزيرا وشريكا فأتى الله من هنا المال قال ما أصلح أنا وأنت في  
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال  
ولم قال يصادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يناديني لرفضك لذلك ولما عدى  
من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متحجبا منه ومتعظا بهذه الحكايات تدلك على  
آفات النفي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب فم اللال واليخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويلييه كتاب فم الجاه والرياء .)

### ﴿ كتاب فم الجاه والرياء ﴾

( وهو الكتاب الثامن من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كائثر القنوب ، العالم بما تحته الضمائر  
من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى  
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه التفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،  
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .  
[ أما بعد ] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة  
الخفية التي هي أخفى من ديب التماس السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » (١) ولذلك عجز عن الوقوف  
على غوائلها سماسة العلماء فضلا عن عامة العباد والأقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن  
مكائدها وإنما يتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فاتهم بها قهروا  
أنفسهم وجاهدوها وقطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات  
عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير  
وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لغة القبول عند الخلق ونظروا إليه بين الوقار  
والتهظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع بإطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس  
ولم تقنع بحمد الله وحده وعلت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشهوات وتحمله مشاق العبادات  
أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء وبالغوا في التكريظ والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا  
بمشاهدته ولما نهضوا في ركعة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاته به بالخدمة والسلام وأكرموا في المحافل  
فاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتضاعفوا له  
متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب  
الشهوات فاستعمرت فيه ترك المعاصي والمفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

### ﴿ كتاب فم الجاه والرياء ﴾

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شدداد  
ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند  
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بانقظ المصنف .

الصيام ، وروى أنس  
ابن مالك عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال « تسحروا فإن في  
السحور بركة »  
ويجعل القطر عملا  
بالسنة فإن لم يرتدوا  
الطعام إلا بعد العشاء  
وبريد إحياء ما بين  
العشاءين بفطر بالماء  
أو على أعداد من  
الزبيب أو التمر أو  
بأكل لقينات إن كانت  
النفس تنازع ليصفوله  
الوقت بين العشاءين  
فإحياء ذلك له فضل  
كثير وإلا فيقتصر  
على الماء لأجل السنة  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المروسي قال أنا أبو نصر  
الرباعي قال أنا أبو محمد



في الباطن لئلا الذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى من مدركها القول النافذة القوية ويرى أنه غاص في طاعة الله ومجتنب لحازم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المزية والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة الناقين وهو يظن أنه عند الله من القربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهولة لا يرى منها إلا القربون ولعلك قيل آخر ما يخرج من رجوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو السوء البغيض الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته ولخبر من به وينضح الفرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجلب والشهرة وفيه بيان فم الشهرة وبيان فضيلة المحمود وبيان معنى الجلب وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً عند من حب المال وبيان أن الجلب كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يعمد من حب الجلب وما ينم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجلب وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فمهم اثنا عشر فصلاً منها بحثاً معاني الرياء فلا بد من تدعيمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

### ( بيان فم الشهرة وانتشار الصيت )

اعلم أصلحك الله أن أصل الجلب هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل الممدود المحمود إلا من شهره الله تعالى لتشر دینه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) ولقد ذكر الحسن رحمه الله لأحد حديث تأويله ولا بأس به إذا روي هذا الحديث قيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رآوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يكن هذا وإنما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دينه . وقال طي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لئلا تروا وتعلموا أكرم وأصمت أسمع تسر الأبرار وتبسط الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ماصدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام عفاة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار . وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فضلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود وأما من منزله فاتبه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه البهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرين على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ العرب من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودينه بالقسوة وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا  
أبو العباس المحبوبي  
قلد أنا أبو عيسى  
الترمذي قال ثنا  
اسحق بن موسى  
الأنصاري قال ثنا  
الوليد بن مسلم عن  
الأوزاعي عن قرعة عن  
الزهرى عن أبي سلمة  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
حكاية عن ربه قال  
الله عز وجل « أحب  
عبادي إلى أعجلهم  
فطرا » وقال عليه  
السلام « لا يزال الناس  
يغير ما جعلوا الفطر »  
والانظار قبل الصلاة  
سنة كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يفطر على جرعة من  
ماء أو مذقة من لبن

فواته لو تطلون ما أغلق عليه بابي ما اتبني منكم. رجلا. وقال الحسن إن خفي النعال حول الرجال فلما تلبث عليه قلوب الحق. وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا لها عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن. وروى أن رجلا صاحب ابن محيرز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتغنى ولا يغنى إليك وتساءل ولا تستأهل فأنزل. وخرج أيوب في سفر فشيخه ناس كثير فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت للفتن من الله عز وجل. وقال معمر طابت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فما مضى كانت في طولها وهي اليوم في تشميرها. وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كره هذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة. وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأجر تمتد إليهما جميعا. وقال رجل لثمر بن الحرث أوصني قال أحمذ كركوك وطيب مطمك وكان حوشب يبيكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وانقضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

### (بيان فضيلة الحول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك<sup>(١)</sup>». وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواظ<sup>(٣)</sup>» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتدخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسمهم<sup>(٤)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله غلصا لم يعطه إياه ولو سأله الجنة لأعطاء إياه ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وما منعه إياه إلا هو وأنها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره<sup>(٥)</sup>» وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ما ذنب جيل يبيكي عند

أو تمرات. وفي الخبر «كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس برفية. قال سفیان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الفرية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالإنم بأكل الحرام فقال - سماعون للكذب - أكلون للحرام - وورد في الخبر «أن امرأتين صابتا على نهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدها الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك - مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولا حاجتكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي أنيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الاستاد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعط من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث جارية بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وما منعه إياه إلا هو وأنه عليه.

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو وقال الشارح بيض له العراقي فليعلم.

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل الدين وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في بيتهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركعتين أو جزفهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علي الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع قطره حتى تفتت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذي بك ما رأيت قال أعطت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يناييع العلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغراء قليل ومن الغراء ؟ قال الفاروق بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم انعم عليك ألم أسترلك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بمكة والدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قرأت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وماعليك أن لا تعرف وماعليك أن لا يثق عليك وماعليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإيماناً للطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فانهم فضيلة الخمول . فاعلم أن للمفهوم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالفرق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرق فالأولى به أن لا يعرف أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما الأقوي فالأولى أن يعرفه الفرق ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

### ( بيان فم حب الجاه )

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخال عن الإرادة تين جميعاً وقال عز وجل لمن كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبيد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الإفطار فأرسل إليهما قدحاً وقال قولوا لهما قيثا فيه ما أكلتما فقامت إحداهما نصفه وما عيطا ولما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتا فحجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجمل فإن امرؤ شاتمته فليقل إني صائم » . وفي الخبر « إن الصوم أمانة

الدنيا وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . وهذا أيضا تناول به معنى حب الجاه فإنه أعظم لقمة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفساد من حب الشرف والمال في دين الرجل السلم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » (٣) نسأل الله العفو والعافية بمهنة وكرمه .

### ( بيان معنى الجاه وحقيقته )

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للتنفع بها ومعنى الجاه ملك اللذوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الفنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهم ما يتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العلامات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعى قلبه للموصوف به اتقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اتقيد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتهما وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو حتى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبغى أن تكون له الأحرار عبيدا بالاتباع والطوع مع الفرح العبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام النزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لثقت من نعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله ندعى له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحب الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فان الاعتقاد للكمال لا يسكرت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالحدمة والإعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالإيثار وترك النازعة والتعظيم والتوقير بالمقابلة والسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فاحفظ أحدكم أماته  
والصوفى الذى لا يرجع  
إلى معلوم ولا يدري  
مق يساق إليه الرزق  
فاذا ساق الله إليه  
الرزق تناوله بالأدب  
وهو دائم المرافقة  
لوقتة وهو فى إفطاره  
أفضل من الذى له  
معلوم معد فإن  
كان مع ذلك يصوم  
قد أكل الفضل .  
حكى عن رويم قال  
اجتزت فى المهاجرة  
بعض سكك بغداد  
فقطعت فتقدمت إلى  
باب دار فاستقيت  
فاذا جارية قد خرجت  
ومعها كوز جديد  
ملآن من الماء البارد  
فلما أردت أن أتناول  
من يدها قالت  
صوفى وشرب بالنهار  
وضربت بالكوز

(١) حديث السال والجاه يفتنان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذنبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبى منصور الديلى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعنى وبهم .

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كالا فإن هذه الأوصاف كلها تعظم عمله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

( بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة )

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بینه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا لتصلح للطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملابس وإنما هي والحصاة بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فلاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أوالزاهد الذي تقرر له جاء في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبدولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كثر ولم يكن له جاء يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آله ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب وبطعم فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن وبتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصب وأثبتت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي عفوفة ومحروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، نعم إنما تغصب القلوب بالنصر يفوتقيح الحال وتغير الاعتماد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقد له غيره ويقتنع ذلك القلب أيضا ولهذا المني يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنع القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استئمانه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحققت الأموال في مقابلته فهذه مجاميع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فإن قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالمبتلى بمرض أو بحقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاء خبه للعمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطبع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال والوكز الكنوز وإدخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا ينبغي لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان أن يساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به

على الأرض وانصرفت  
قال روم فاستجيت  
من ذلك ونذرت  
أن لا أفطر أبدا  
والجماعة الذين كرهوا  
دوام الصوم كرهوه  
لمكان أن النفس إذا  
ألفت الصوم وتعودته  
اشتد عليها الإفطار  
وهكذا بتعودها  
الإفطار تكره الصوم  
فيرون الفضل في أن  
لا تركز النفس إلى  
عادة ورأوا أن إفطار  
يوم وصوم يوم أشد  
على النفس . ومن  
أدب الفقراء أن  
الواحد إذا كان  
بين جمع وفي محبة  
جماعة لا يصوم إلا  
بإذنهم وإنما كان ذلك  
لأن قلوب الجمع متعلقة  
بفطوره وهم على غير  
معلوم فإن صام بإذن

غاية الالتئاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل قام حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فتقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلى تدركه الكافة . والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا القواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا شفيقة على نفسه وجهه للعبادة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان طرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن مثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هو مان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال <sup>(١)</sup> » ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام الميزة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن أو يزجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثانى وهو الأقوى أن الروح أمر ربانى بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - أو معنى كونه ربانى أنه من أسرار علوم الكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحديعة والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة بطول شرحها وتفصيلها فهو لا فيه من الأمر الربانى يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لامحالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الامة توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أنظار الآفاق ليس نقصان في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تماثلها في الرتبة مع الاستثناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا نعى معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى -

الجمع وفتح عليهم شىء  
لا يلزمهم إذ خارهم للصائم  
مع العلم بأن الجمع  
القطرين محتاجون  
إلى ذلك فان الله تعالى  
يأتى للصائم برزقه إلا أن  
يكون الصائم محتاج إلى  
الرفق لضعف حاله  
أو ضعف بنيته  
لشيخوخة أو غير ذلك  
وهكذا الصائم لا يليق  
أن يأخذ نصيبه  
فيدخره لأن ذلك من  
ضرف الحال فان كان  
ضعيفا يسترف بحاله  
وضرفه فيدخره والذي  
ذكرناه لأقوام هم على  
غير معلوم فأما الصوفية  
القيمون في رباط على  
معلوم فالأليق بحالهم  
الصيام ولا يلزمهم  
موافقة الجمع في الإفطار  
وهذا يظهر في جمع منهم  
لهم معلوم يقدم لهم

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبرانى من حديث أبى مسعود بسند ضعيف والبراز والطبرانى في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولكنه ليس بجده مجالا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك  
للفسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن  
مدرك منتهى الكمال لم تسقط شهواتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملتفة به لذاته لالهي  
آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محبة لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته  
أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بحد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل  
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه  
فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب  
كمال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة  
وكونه مسخر لك تزدده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود  
مع إلا أن للوجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير  
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملوك السموات وقوى اللائكة  
والجن والشياطين وكالحيال والبحار وما تحت الحبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض  
وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جعلتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير  
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه  
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى واللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على  
السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة كالدخول  
تحت العلم والعالم كالمستوى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى ولللائكة والأفلاك والكواكب  
وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والحيال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء  
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من يحجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يحجز عن  
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة  
أو السحبة أو جر الثقل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشاق إلى  
معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي  
يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي  
قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرام والنانيير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل  
فيها ما شاء من الرفع والواضع والتسليم والنزع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية  
والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهورات  
نفسه وكذلك طلب استرقاق الصياد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف  
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كماله حتى يصير محبوبا لها  
ويقوم القهر منزله فيها فان الحشية القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس  
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماضية وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون  
مسخرة له متصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب  
إنما تسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية  
والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه الوت  
فيمنه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه يحمل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى أماء الله تعالى والساعي  
إليه فاذا من معنى الحناء تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتبار فأما إذا كانوا  
على غير ملوم قد قبل  
مساعدة الصوام  
للفطرين أحسن من  
استدعاء للواقعة من  
للفطرين للصوام وأمر  
القوم مبناء على الصدق  
ومن الصدق افتقاد  
النية وأحوال النفس  
فكل ما صحت النية فيه  
من الصوم والافطار  
والمواقة وترك المواقة  
فهو الأفضل فأما من  
حيث السنة فمن يوافق  
له وجه إذا كان صائما  
وأفطر للمواقة وإن  
صام ولم يوافق فله وجه.  
فأما وجه من يفطر  
ويوافق فهو ما أخبرنا به  
أبو زرعة طاهر عن  
أبيه أبي الفضل الحافظ  
القدس قال أنا  
أبو الفضل محمد بن  
عبد الله قال أنا السيد

كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولانهاية للقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منه ومن لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فدرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كونه العلم والسك والجاه محبوبا وهو أمروراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فان هذه المنة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع المجانب وللشكليات لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لابد من بيانها إن شاء الله تعالى.

( بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له )

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع للمعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفاً به كشفا تاما فان للمعلومات مكتشفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث : من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانعقاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قبلان : متغيرات وأزليات . أما المتغيرات فتألفها العلم بكون زيد في الدار فانه علمه لمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون نقصانا لا كالا فكما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن يقلب للعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن يقلب كالك نقصا ويسود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعدها ما بينها من الأميال والفراخ وسائر ما يذكّر في المسالك والممالك وكذلك العلم بالافات التي هي اصطلاحات تغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم مطلوماتها مثل الزئبق تغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب .

القسم الثاني : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات وامتناع الامتناعات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في مأكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفوس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أنم لنا ورتنا - أي تكون هذه المعرفة قرأس مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الحق على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن الشكدر عن أبي سعيد الخدري قال اصطفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه «دعكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أفطر وأفطر يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلل صائم



ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاساعدة إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف لهما لا فائدة له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ماني القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أفلح من زكاه - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً فسكون جملة هذه اللطائف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إدلالاً لوجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تلك معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا مؤان لم يكن لها بها أحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أضرافه وقوة يده لبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه فتوصل به إلى اللطم والتعرب والملبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كلاً فقد جهل فالحق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة النفي وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به ونهاكوا عليه ففسدوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملاسكته وهو العلم والحرية أما العلم لما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسرار الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا تستفرغ الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استعالة التغير التأثير عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالمواضع أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومزله عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترحل إلى عدم وتقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنه وهلاكها والملاك نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الاتقياء لها كلاً ككمال العلم وكمال الحرية وأعنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استخراج القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يعدمان بالموت بل يبقيان كلاً فيهما وسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف اتقاه الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكساب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يعدم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبدياً لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - والذين آمنوا وآتوا الزينة

قال رسول الله فأكمل  
رزقنا ورزق بلال في  
الجنة ، فاذا علم أن  
هناك قلباً يتأذى أو  
فضلاً يرجى من موافقة  
من يهتم موافقة  
يفطر بحسن النية  
لأحكام الطبع وتقاضيه  
فان لم يجد هذا الذي  
لا ينبغي أن يتأذى عليه  
الشره وداعية النفس  
بالنية - فليتم صومه  
وقد تكون الإجابة  
لداعية النفس لا قضاء  
حق أخيه . ومن  
أحسن آداب الفقير  
الطالب أنه إذا أفطر  
وتناول الطعام ربما  
يجد باطنه متغيراً عن  
هيئته ونفسه متذبطة  
عن أداء وظائف  
العبادة فيعالج مزاج  
القلب المتغير بأذهب  
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللآل والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا تذروه الرياح - وكل ما تذروه الرياح فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما يخطمه اللوت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة قصر فآلذي فصل الفقر إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلفظك .

( بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم )

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعم والشرب والملبس فلا بد من أدنى جاء لضرورة العيشة مع الخلق والانسان كمالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار لخبه لأن يكون له في قلب خادمه من المثل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وخبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المثل ما يحسن به مرافقته ومعاقبته ليس بمذموم وخبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المثل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وخبه لأن يكون له من المثل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفرض إلى أن لا يكون المال والجاه بأعيانها معبوين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لا يستغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود للتوصل إليه وتترك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقى مستصحباً لكانها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا بوصف صاحبه بالفسق والمصيان مالم يعمل الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قامت : طلبه للمنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو متفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالمعاملة . وأما أحد الباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفاريات به قد ورد في الخبر « أذيقوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كنهانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالى بظهر أم بطن .

[ الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والمفسدة ] الصوفي يحسن نيته ووجه مقصده ووفور علمه وإتيانه بأدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لبيه أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ علم - فإنه طلب للترعة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على القبايح جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سبيل لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يهرب الحجر ولا يلقى إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الحاشعين لله وهو مرء بما يغفل فكيف يكون غلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره . فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

( بيان السبب في حب للدح والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها للذم ونفرتها منه )

اعلم أن حب للدح والثناء القلب به أربعة أسباب الأولى - وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادر على التذلل فلهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللدح يشعر نفس المدوح بكمالها فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثرته عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فإذا استشعرت لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن طدر من يجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبعث الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محمقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح . السبب الثاني : أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مرئ به ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمحصوله لذته وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع بانتصاص قلبه كالملوك والأكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه يملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد به وانه هذا محسن بثناء يقع على الملائكة لا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

فرب العالمين -  
تدخل على الصوفي  
أمور العادة لموضع  
حاجته وضرورة  
جبريته ويحف بمادته  
نور يحفظه وحسن  
نيته فتتنور العادات  
وتتشكل بالعبادات  
ولهذا ورد «نوم العالم  
عبادة ونفسه تسبيح»  
هذا مع كون النوم  
عين الغفلة ولكن كل  
ما يستعان به على العبادة  
يكون عبادة فتناول  
الطعام أصل كبير  
يحتاج إلى علوم كثيرة  
لاشتغاله على المصالح  
الدينية والدنيوية  
وتعلق أثره بالقلب  
والقالب وبه قوام البدن  
باجراء سنة الله تعالى  
بذلك والقالب مركب  
القلب وبهما عمارة  
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة للمدوح واضطرار للداح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لخدمة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للداح لا يستغنى الباطن بمدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع الداح وقوته فتكون لذة ثناء القوى المتع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربع قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرق فتقص اللذة بها أما الملة الأولى وهي استعمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استعمار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن للداح ليس يستغنى ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإعما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحسب الحمدة وخوف للذمة فإن ما لا يعرف حبيبها لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

( بيان علاج حب الجاه )

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم والرياء لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يحظهم منزله عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لاهالة إلى التساهل في العبادات والرياء بها وإلى إقتحام المحظورات لتوصل إلى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها للدين بذئبين ضارين وقال عليه السلام « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من الهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحققر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بأخرك من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للفقين فاستحققوا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتدنونورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى - وقال عز وجل - كلا بل يحبون العاجلة وتذكرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة  
قيان نباتها التسبيح  
والتقديس » والقالب  
بغيره على طيبة  
الحيوانات يستعان به  
على عمارة الدنيا والروح  
والقلب على طيبة  
الملائكة يستعان بها  
على عمارة الآخرة  
وباجتماعها صلحا  
لعمارة الدارين والله  
تعالى ركب آدمي  
بلطيف حكمته  
من أخص جواهر  
الجبائيات والروحانيات  
وجمله - تتودع خلاصة  
الأرضين والسماوات  
جسد عالم الشهادة  
وما فيها من النبات  
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أبواب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه يدفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غيوم عاجلة ومكيدة للذهاب فلا يبنى في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أهوال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتنافر عنه القبول ويأس بالتحول ويرد الخلق وينزع بالقبول من الخلق وهذا هو منهج اللامنية إذ اقتحموا النواحي في صورتها ليستقلوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازها نظر من حيث الفقه إلا أن أبواب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يغفل عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بمحب لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذهبوا أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألّت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإمالة ذلك القبار عن قلوبهم وربما محتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتبليس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزل في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال فلا يبالى أكان له منزل في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالى بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالتقاعه فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالتقاعه وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يغفل من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإشارهم فذلك على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

( بيان وجه العلاج لحب الدخ وكرهه الدم )

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف هفمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استعمار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى  
- خلق لكم ما في  
الأرض جميعا - فكونوا  
الطبايع وهي الحرارة  
والرطوبة والبرودة  
والليونة - وكونوا  
بواسطتها النبات وجعل  
النبات قواما للحيوانات  
مسخرة للآدمي يستعين  
بها على أمر معاشه لقوام  
بدنه فالطعام يصل إلى  
المعدة وفي المعدة طباع  
أربع وفي الطعام طباع  
أربع فاذا أراد الله  
اعتدال مزاج البدن  
أخذ كل طباع من  
طباع المعدة ضد من  
الطعام فتأخذ الحرارة  
للبرودة والرطوبة  
لاليونة فيعتدل

للساح فطريته فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها الملح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق الملح كالثرثرة والجهل والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشدّ أتم عندى في سرور يتقن عنه صاحبه اتقلا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح الساح بها بل بوجودها والملاح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاجة باق في الخوف من سوء الحاجة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الساح فإن اللذة في استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمديح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يمدح ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذا المدح إن صدق فليكن فرحك بصفته التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتدبير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بشئ الرجل أنت فأنت والله بشئ الرجل ، وروى في بعض الأخبار أن صبح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت فأتى على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنه وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم آمرك بأن تزكيني ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبغاك الله فغضب وقال

المزاح ويأمن الأعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفاء قلب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن فلك تغدبر العزيز العليم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام أن خلقت آدم وركبت جسمه من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأن خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجده أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم . (٣) حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا.

إني لأحسبك عزاليا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا للدخ خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله ينص إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للقرب عند الله والذموم بالحقيقة هو للبعد من الله للثقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل الثناء إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفى للصواب برحمته .

### ( بيان علاج كراهة القدم )

قد سبق أن العلة في كراهة القدم هو ضد العلة في حب للدخ فلاجه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإبداء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذهمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك عيوبك قد أرشدك إلى للهلك حتى تتقيه فينبى أن تفرح به وتستغل بآلة الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبجه في عينك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنه وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من الذممة فهما قصدت الدخول على ملك وفوبك ملوث بالمذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز رقتك لتلويك مجلسه بالمذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالمذرة طهر نفسك فينبى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهيار إنما يفرح من قول أعدائه فينبى أن تقتنيه . وأما قصد العدو التعنت فخيانة منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبى أن لا تذكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يطلع على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء منه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، لما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقترانه وتعرض لعا به الألم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »<sup>(١)</sup> لما أن كسروا نفيته وشجروا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالخفرة قيل له في ذلك فقال علت آتى مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم يؤذى وهن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن للرة السوداء والرة الصفراء والدم والبسلم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليوسة في الرة السوداء ومسكن الرطوبة في الرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة الذمة قطع الطمع فان من استغيت عنه مهمافك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجامو مادام الطمع قائما كان حب البقاء واللذع في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل للثروة في قلبه مضروفاً فلو لا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب المال والبقاء ومحج للذع وبغض النفس في سلامته ينال ذلك بنيد جدا .

( بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم )

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدام والساح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح وبسكرة المادح وينضب من الهم ويحقد على الدام ويكائه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات العصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يتمتع في الباطن على الدام ولكن يمسك لسانه ويوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تضره للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يتمتع بنفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الدام وأن لا يكون انقطاع الدام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكابة في قلبه من موت الدام وأن لا يكون غبه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الدام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي غيئه من زلة الدام فهم أخف الدام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يتمتعون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الدام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الدام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استقلالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمتهم ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يفضى وهو يتمتع ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يبتلى على الله بهواه فيزيد ذلك بعداً من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا وبخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصديق في العباد أن يكره المدح ويعتد المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهور مضرة له في الدين ويجب الدام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشده إلى مهجه ومهد إليه حسناته فقد قال عليه السلام « رأس التواضع أن تذكر بالبر والتقوى <sup>(١)</sup> » وقد روى في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من ، فقيل يا رسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة <sup>(٢)</sup> »

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلاً (٢) حديث وويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس وويل لمن لبس الصوف بخالف قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

في البلم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفسطر الأربع التي جعلتها ملاكة وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتين ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويمجز عن مقدارهن فأم الأمور في الطعام أن يكون حالاً وكل مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع



وهذا شديد جدا وغاية أشدنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكراهة على الدام واللاح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فلما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللادح والدام فلما نطمع فيها نمر أن طابنا أنفسنا بملامة الحالة الثانية فأنها لا تلي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام اللادح وقضاء حاجاته وتشاغل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تدر على أن نسوى بينهما في العمل الظاهر كما لا تدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللادح والدام في ظاهر العمل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من للرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في اللادح فهو أن من الناس من ينشئ للذة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يراني بالعبادات ولا يالي بمفارقة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للذة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح مع اللادح لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره اللادح إذا سمعه ولكن لا يتهمى به إلى أن يغضب على اللادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالصد من هذا تفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتليساتها الحبيثة فيغضبها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها وشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا سار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساد يكون خيرا لمحبوبه التي هو عاجز عن إماتها ولو جامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

( الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والنزلة بالعبادات )

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراني به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يعبط العمل من الرياء وما لا يعبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المرید أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبسببها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

حسب الأمر وأتم  
طلب الحلال . ومن  
أدب الصوفية رؤية  
النعم على النعمة وأن  
يتدى بغسل اليد  
قبل الطعام قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
«الوضوء قبل الطعام  
ينفي الفقر» وإعماكان  
موجبا لنفي الفقر لأن  
غسل اليد قبل الطعام  
استقبال النعمة بالأدب  
وذلك من شكر  
النعمة والشكر  
يستوجب المزيد فصار  
غسل اليد مستجلبا  
للنعمة . ذهب الفقير  
وقد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله

( بيان ذم الرياء )

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم براءون - وقوله عز وجل - والذين يكرهون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فبدح الخالصين ينفي كل إرادته سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل البعد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارى لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارى فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أخطأ أعمالهم (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى رياءى الله به ومن سمع مع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول ملائكتنا إن هذا لم يردنى بعمله فأجعلوه في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا وما الشرك الأصفر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استميدوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا غنى الأغنياء عن الشرك (٧) »

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يدعى الله تعالى » وقوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمة الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفى من ذلك بسد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا مقرونا بالذكر فقرنه فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنى أقف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من الاستدرك ولله تسعة طمته ابن عباس وأبو هريرة وللبرار من حديث معاذ بن شد ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارى لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسيأتى في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رأى رياءى الله به ومن سمع مع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواء الطبرانى في الكبير والبيهقى في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فأجعلوه في سجين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر الحديث أحمد والبيهقى في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استميدوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وصححه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله

وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم التناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه متغال ذرة من رياء » (١) وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد يخفيها عن شماله » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن للرأى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا ظادر يا مرأى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوفت على أمى الشرك أما إنهم لا يجدون صبرا ولا تمسحا ولا قرأ ولا حبرا ولكنهم يرامون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكسرت الماء فاختلقت الملائكة فقالت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقا خلقته » (٨) وروى عبد الله بن مبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكنت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يا معاذ قلت ليك بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا منه برىء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم بلفظ إن اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب (٤) حديث إن فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن يخفيها عن شماله متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه فى حديث سبعة يظلمهم الله فى ظله (٥) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء إن الرجل يعمل العمل فيكتب له عمل صالح ممنول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل الله كره الحنفى الذى لا تسمعه الحنفية على الله كره القدى تسمعه الحنفية سبعين درجة (٧) حديث إن المرأى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا ظادر يا مرأى ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبى الدنيا من رواية جيلة البصري عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأى وإسناده ضعيف (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوفت على أمى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها ويرى ذكر الله تعالى دوامه ورياقه . روت عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابى فأكله باقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه لو كان بسمى الله لكفناكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فإن نسى أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب أن يقول فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم وشرب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته ضعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سله من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جللها عظماً فصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا سمدت به إلى السماء الدنيا زكته فذكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس بمجاورتي إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تشر به فذكره وتكره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الذي له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على غائته أنا ملك الحمد إنه كان يحمد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر أضرب به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه : اضربوا به جوارحه اقلعوا به على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد روضة عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتاً في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرأى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشجيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص قال فيقول الله لهم أتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فليعني فتقول للملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيها قال معاذ قالت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على أسانك من الوقية في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

للماء بثلاثة أنفاس  
يقول في أول نفس  
الحمد لله إذا شرب وفي  
الثانية الحمد لله رب  
العالمين وفي الثالثة الحمد  
فه رب العالمين الرحمن  
الرحيم وكان أن للمعدة  
طباغة تتركز كذا كراته  
بواقعة طابع الطعام  
فلقلب أيضاً مزاج  
وطباغ لأرباب التفقد  
والرعايا والبقعة يعرف  
انحراف مزاج القلب  
من اللقمة للتناولة تارة  
تحدث من اللقمة  
حرارة الطيش  
بالهوض إلى الفضول  
وتارة تحدث في القاب  
برودة الكسل بالنعاد  
عن وظيفة الوقت وتارة

لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تهظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أندري من هن يامعاذ ؟ قلت ماهن ؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله ؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم . قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها ؟ قال يامعاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث ، وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأ على رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبوامامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال على كرم الله وجهه : لمرأتى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وشبهه إذا ضم . وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأله رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمقت ؟ قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخاه . وقال الضحاك : لا يقولن أحدكم هذا الوجه الله ولو جهك لا يقولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقم منى فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أوتدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فنعم إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لوفطق بها لبغته وتعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليبري الأذى في الطريق فما يمنعه أن ينحبه إلا مخافة الشهرة . ويقال إن المرأتى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرأتى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لارياح فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : المرأتى يريد أن يطلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بى . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمك بالنهار لأن السمك بالنهار للمخلوقين وصمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوفى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قبيل له وكيف ذلك ؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة . وقال إبراهيم بن آدم : ماسدق الله من أراد أن يشتر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليه الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء للصف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في اللوحات .

تحدث رطوبة السهو  
والغفلة وتارة ييوسة  
المهم والحزن بسبب  
الخطوط العاجلة فهذه  
كلها عوارض يتفطن  
لها المتيقظ ويرى تغير  
القالب بهذه العوارض  
تغير مزاج القلب عن  
الاعتدال والاعتدال  
كما هو مهم طلبه  
للقالب فللقالب أهم  
وأولى وتنطسرق  
الانحراف إلى القلب  
أسرع منه إلى القالب  
ومن الانحراف ما يسقم  
به القلب فيموت لموت  
القالب واسم الله تعالى  
دواء نافع محرب ببق  
الأسواء ويذهب الداء  
ويجلب الشفاء . حكى

( بيان حقيقة الرياء وما يراى به )

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب للترلة في قلوب الناس بآرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترلة في القلوب بالعبادات وإظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرأى هو العابد والمرأى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترلة في قلوبهم والمرأى به هو الحصول التي قصد المرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك للمرأى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يميز به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[ القسم الأول : الرياء في الدين بالبدن ] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالتحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشميت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرح هو الذي خفض من صوته وأضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال للسبيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحنن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[ الثاني : الرياء بالهينة والزي ] أما الهينة فتشميت شعر الرأس وحنق الشارب وإطراق الرأس في الشئ والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكم وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق الصوف في الباطن ومنه التفتيح بالأزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى نقشه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالزي على طبقات فمنهم من يطلب للترلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرأى بظلتها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكتر بالدين ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد وراجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولولبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات المصبوغة والقوطة الرقيقة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهينته لون

أن الشيخ محمد  
الغزالي لما رجع إلى  
طوس وصف له في  
بعض القري عبد صالح  
قصده زائرا فصادفه  
وهو في صحراء ليذر  
الحنطة في الأرض فلما  
رأى الشيخ محمد جاء  
إليه وأقبل عليه فجاء  
رجل من أصحابه  
وطلب منه البذر  
لينوب عن الشيخ  
في ذلك وقت اشتغاله  
بالغزالي فامتنع ولم يعطه  
البذر فسأله الغزالي  
عن سبب امتناعه  
فقال لأنني أبذر هذا  
البذر بقاب حاضر  
ولسان ذاكر أرجو  
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتبسون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان  
عندهم كالدمع خوفا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الدقيق والسكنان الدقيق  
الأبيض وللقصب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول  
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلة في زى مخصوص فيثقل عليه  
الاستغال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من النعمة، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم  
بالثياب النفيسة والراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره  
الحيل وبالثياب للصبغة والطباسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في يوتهم الثياب  
الحسنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة .

[ الثالث : الرياء بالقول ] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار  
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارا لتزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين  
وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار  
النضب للمتكبرات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت  
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيخ والدق على من يروى  
الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح  
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغاثم الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير  
أنواعه لا تنحصر . وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاسيح في العبارات  
وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستئالة القلوب .

[ الرابع : الرياء بالعمل ] كمرادة الصلي بطول القيام ومد الظهور وطول السجود والركوع وإطراق  
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والنزوة والحج  
وبالصدقة وباطعام الطعام وبالإحسان في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في  
الكلام حتى إن للرأي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار  
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى محبته فإذا رآه عاد إلى  
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يحدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد  
فيه أنه من الباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيئته في الخلوة مشيئة برأى  
من الناس فيكاف نفسه الشيء الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يقتدر على التعبير ويظن أنه  
يتخاصم به عن الرياء وقد تضاعف به رياءه فانه صار في خلوته أيضا مرايا فانه إنما يحسن مشيئته في  
الخلوة ليكون كذلك في اللأ لاخوف من الله وحياه منه ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبخر والاختيال  
وتحريك اليدين وتقريب الخطأ والأخذ بأطراف الدليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[ الخامس : للرأاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين ] كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء  
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو  
ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر  
الشيخ ليرى أنه لقي شيوفا كثيرة واستفاد منهم فيأهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند  
مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيخ  
وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به للراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمزلة في قلوب العباد ومنهم  
من يفتن بحسن الاعتقادات فيه فكمن راهب أنزوى إلى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا  
أحب أن أسأله إلى  
هذا فيندر بلسان غير  
ذا كرو قلب غير حاضر  
وكان بعض الفقهاء  
عند الأكل يشرع  
في تلاوة سورة من  
القرآن يحضر الوقت  
بذلك حتى تنقضي  
أجزاء الطعام بأنوار  
الذكر ولا يعقب الطعام  
مكروه ويغير مزاج  
القلب وقد كان شيخنا  
أبو النجيب السهروردي  
يقول أنا آكل وأنا  
أصلي يشير إلى حضور  
القلب في الطعام وربما  
كان يوقف من يمنع  
عنه الشواغل وقت  
أكله لئلا يفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جرعة في دبره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقع بعلم الله براءة صاحته بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لا يذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتربه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن للرأين من لا يقع بقيام منزلته بل يلتصق مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشرط طبقات للرأين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ عليم - وكأن المال فيه سم نافع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهم ويطن ويبنى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد فتنه الجاه أعظم من فتنه المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الضرور كأنصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها أو ماسة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلاحاه أو سعى من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحصيل الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بمحرام لأنه ليس برباء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لآخوانه إذا خرج إليهم»<sup>(١)</sup> نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واسمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك نصدر رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصده أن يحسن نفسه في أعينهم خذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمراً باحاً إذ للإنسان أن يعتز من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالآخوان ومما استقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذن للراءة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك تقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة.

وقت الأكل ويرى  
لذلك وحضور القلب  
في الأكل أثر كبير  
لا يسه الإهمال له ومن  
الله كره عند الأكل  
التفكير فيها يا الله تعالى  
من الأسنان المعينة على  
الأكل فيها السكاسة  
ومنها القاطعة ومنها  
الطاحنة وما جعل الله  
تعالى من الماء الخلو في  
القم حتى لا يفتقر الدوق  
كما جعل ماء العين مالحاً  
لما كان شحماً حتى  
لا يفسد وكيف جعل  
الندوة تنبع من أرجاء  
اللسان والقم ليعين  
ذلك على المضغ والسوغ  
وكيف جعل القوة  
المهاضمة مسلطة على



والصلاة والصيام والنفرو والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظلل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يعنى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه محض مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ<sup>١</sup> بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ<sup>٢</sup> في ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانها فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذا أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأمر استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذا من كبائر الهلكات ولهذا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم التارك الأصغر<sup>(١)</sup>، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما يأتي بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود للسكر كفر أجليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فالتصقت تلك العظيمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يمكنون من ضروم نفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما آله أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعه ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدن ولدن ولا مولوده ورازع والدن شيئا بل تقول الأنبياء فيه تقى تقى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث العقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمي الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصححه إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه ونجزته متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الماشقة ويغسل الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع شرح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة الرأى به والرأى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصده إلى الرياء فهو المعقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذاها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا بنى عنه المقت والإثم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما حالوا انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فترجوا أن يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة وتوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : الرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . التسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه عخلد في النار وهو الذى يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى فى دلائلهم بقولهم على ضما نهم وقال تعالى - ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض افسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آذنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقبل فى زماننا ولاكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجعد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافة فهو لاء من المنافقين والمرائين المخلدن فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرأ والديه لاعترا رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتقسامه إلى الدم والشم واللبن اغذية للولود من بين فرت ودم لنا خلاصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالنفس فى ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكيم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام للغير لمزاج القلب أن يدعو فى أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يفزوا أو يحج كذلك فهذا مرأى منه أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخالق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقتل وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يراعى بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يراعى بالوفاء والسنن التي لو تركها لا يصبى ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتتور رغبته في ثوابها ولا يثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يسمه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجبد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل الرائي جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحبة .  
ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون مقابلة فان الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخالق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافذة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يراعى ما يفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي بإطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لاحتالة . وهذا حال الرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة ومن الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن القية والرفث لأجل الخلق لا إكالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فان قال الرائي إنما فعلت ذلك صيانة لألستهم عن القية فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطعوا اللسان بالذم والقية وإنما قصدت صياتهم عن هذه العصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الأمر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فهدىها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للرأي فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك للزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بدمهم وغيتهم فاستفيد بتحسين الهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أتترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا  
بما تحب اجعله فراغا  
لنا فيها تحب .

[ الباب الثالث  
والأربعون في آداب  
الأكمل ]

فمن ذلك أن يتندى  
بالملح ويختم به روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال لعلي  
رضي الله عنه « يا علي  
ابدأ طعامك بالملح  
واختم بالملح فان للملح  
شفاء من سبعين داء  
منها الجنون والجذام  
والبرص ووجع البطن  
ووجع الأضراس »  
وروت عائشة رضي الله  
عنها قالت « لدغ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التسكعة والتسعة لعبادته كالإطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للثناء وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كفضوره الجماعة قبل القوم وقصده لاصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أبين وقب ومضى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبفضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : الرأى لأجله فإن للمرأى مقصودا لا محالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيحتل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الخبيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في العاصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التجنب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرهم الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظاهر بمن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض الرائيين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سبيلا إلى مصيئته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جرمية آثم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذى يجحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لنيل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصده إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، كالذى يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويحتقد أنه من جملة العامة كالذى يسعى مستهجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسو لا من أهل الوفاق ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامته الزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة آدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يتقرب عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير كالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهمجدون أو يصومون الخسيس والاثنيين أو يتصدقون فيواقفهم خيفة أن ينسب إلى السكل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إيهامه من رجسه اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذى يكون في المعين لجنتا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فكنت عنه » ويستنحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يغفل شيئا من ذلك وكالذي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوافين أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحتز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرثيا فيريد أن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتحل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيبا لقلبي فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يتنذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أُمي ضعيفة القلب مشقة على نظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يزال كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم فقد قطع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسبأ في شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه خول العلماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

( بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل )

اعلم أن الرياء جل وخفي فالجلي هو الذي يمتثل على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاء وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجرد إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسليم والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وإرتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصبر ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشائيل كما يظهر التحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يمدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقصر تقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم تفتقرون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن التومى بإسناده إلى ابن مناجه الحافظ القزويني قال أنا محمد ابن الثني قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبي عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقّه ومنهما لم يكن وجود العبادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالبا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يعلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن طي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرضى عليكم السرّاءم تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث: لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد عناية الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للسلام اتنى بطعام فأثام يقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وبأكل أكل عيفا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر بخير قال الملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرمون على إخفاؤها أعظم مما يحرم على الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والده عن ولده واشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الثمن الخالص لعلهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الرائف والتبرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفرج إليه ولا حيم يمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يزدونه له من التقوى فإذا شوايب الرياء الخفى كثيرة لا تحضر ومها أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم والصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان غلصا قائما يعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدر أن له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأجل يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس مذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطفه به فانه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بحميل نظر الله له لا بحمد الناس

فسلام كانوا يأكلون؟  
قال على السفر ويصغر  
اللقمة ويجود الأكل  
بالمغنى وينظر بين  
يديه ولا يطلع وجوه  
الأكليين ويقعد على  
رجله اليسرى وينصب  
اليمين ويجلس جلسة  
التواضع غير متكى  
ولا متمزز نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أن يأكل الرجل  
مشكنا وروى أنه  
أهدى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
شاة فجثا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
على ركبته يأكل  
فقال أعرابي ما هذه  
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء شوايب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن حبان في الضفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدارقطني.

وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - فساكنة تظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وسره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا التفات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة للطلدين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالانية بما أظهره آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القتدين به من غير أن ينشئ من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرجاء لا يذ وموجب للسرور لأعماله . الرابع أن يحمد المطلقون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحمدهم للطبع ويعمل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقتة ويحده أو ينفه ويهزأ به أو يفسيه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد ياء . وأما الذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه بقيام منزله في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

( بيان ما يحبط العمل من الرياء الحقي والجلي وما لا يحبط )

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه واد الرياء فلا يغلو إيمان أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعمت الاخلاص سالما عن الرياء فلا يطرأ بعده فيرجو أن لا ينطفئ عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ، ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا عوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظهم من أو روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يغل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لأواب العمل بل الأقرب أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد واد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها واد الرياء فلا يغلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثة على العمل فإن كان باعثة على العمل وختم العبادة به حبط أجره . ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطرت وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إنى صائم قل بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطرت من صام الأبدي لم أجده باقظ الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبدا ولم يخلقني جبارا عنيدا . ولا يتبدى بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يأكل أحدكم يمينه ولا يشرب يمينه ولا يأخذ يمينه ولا يعط يمينه فإن الشيطان يأكل جهالة ويشرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله <sup>(١)</sup> » أي النظر إلى خاتمته، وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله <sup>(٢)</sup> » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ يفسد الباقي دون للآخر والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالحاضر جماعة في أثناء الصلاة فحرق محضورهم وعقد الرياء وقصد تحمين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتعبد أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باغثا على الحركات فإن غلب حتى اتعق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما ينافيها ويضرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصده هو أغلب منه . ولقد ذهب الحرت المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الاحباط في أمره هو أهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس على سروره أو كعب التزلة والجماع قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخلوطين ولم يختم عمله بالاخلاص وإيمانهم بالعمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزدد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قاي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لم تنقض الثانية . وقد روى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية <sup>(٣)</sup> » ثم تسلك على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يدع العمل ولا تنقضه الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتسلك عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودا ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المودة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمحبة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون له خلص أجرو للرائي أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه بالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الاحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإيمانا انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله وبأخذ جماله ويعطى جماله » وإن كان للأكل تمر أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرمي ولا يأكل من فروة الثريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه » ولا يسيب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما طاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع مع الله به ومن رأى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني قال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الايمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .



النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأما ما ورد في التركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا يبنى أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى بما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يستد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل القيام بقية يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تتعد صلاته مع قصد الرياء فليست أنت وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا ينال بحمد الناس وذمهم فصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة تفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعثة الدين وههنا لا باعثة ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المدة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعثة الرياء وأطاع بإجابة باعثة الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن جعل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو قلا فإن كانت قلا فخطئكم أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من فرائض حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فإن التصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه فصح باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الاقتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو بخاصة فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرد واستقلاله وإن كان كل باعثة مستقلا حتى لو لم يكن باعثة الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعثة الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا العمل النظري وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال إن الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه  
أكله وإلا تركه وإذا  
سقطت اللقمة بأكلها  
قد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « إذا  
سقطت لقمة أحدكم  
فليطع عنها الأذى  
ولياكلها ولا يدعها  
للشيطان ويلقى  
أصابعه » فقد روى جابر  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا  
أكل أحدكم الطعام  
فليمتص أصابعه فإنه  
لا يدري في أى طعامه  
تكون البركة » وهكذا  
أمر عليه السلام  
بإدلات القصة وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار للنصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة وسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يتبدى صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما رآه أئمتنا بقانون الفقه والسائلة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وعصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها رآه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

( بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه )

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجذ في إزالته ولو بالمجاهدة وتعمل الشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخاف ضعيف العقل والتمييز تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغمس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتفاعه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . المقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنة والجاء وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والفرار من ألم القم والطمع فيما في أيدي الناس وشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية <sup>(١)</sup> ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاء والتقدير في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان زلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملاء دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى <sup>(٢)</sup> » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الدم كالبيخل بين الأغنياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبيخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أبس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « النفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة . قيل إن الملائكة تحضر للمائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الدم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل وينفي غير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الفطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في الآل فان علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في الآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السيل لذيق ولكن إذا بان له أن فيما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من التزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرأى أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب العباد واستنزأت بطاعة الله وتجهبت إلى العباد بالتبعض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجح به ميزان حسنة لو خلس فإذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار فنولم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة ليكون ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسنة راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت لهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله يسخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإشراقهم الله لأجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم قمره وفااته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فيأمن يعلم أن الله تعالى هو السخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من اللذ والحية وإن وصل إلى اللذ لم يخل من اللذة والمهانة فكيف يترك ما عند الله براء كاذب وهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بألم مته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيدهم ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمدا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان عمقوتا عند الله فالعباد كلهم محبة لا يمكن أن تكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يمكن أن يكون موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضله إلى الناس ويرفهم أنه مرءاء وعمقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحيه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني عجم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقلد روت أم سعد  
رضى الله عنها قالت  
«دخل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على عائشة  
رضى الله عنها وأنا  
عندها فقال هل من  
غداء؟ فقالت عندنا  
خبز وعمر وخل فقال  
عليه السلام: نعم الآدم  
الحل اللهم بارك في الحل  
فانه كان إدام الأنبياء  
قبلي ولم يقفر بيت فيه  
خل» ولا يصمت على  
الطعام فهو من سيرة  
الأحاجم ولا يقطع  
اللحم والخبز بالسكين  
ففيه نهى ولا يكف يده  
عن الطعام حتى يفرغ  
الجمع فقد ورد عن ابن  
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذاك الله الذي لا إله إلا هو (١) إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها التوبد وللنازل الرفعة عند الله استحق ما يتلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكورات والمنصات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخاص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانسطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره ويفتح بها له من لطائف الكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط عمل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وما قد مناه في الشطر الأول هي الأدوية العلية القالعة مغارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرض في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك وتواصل لطائف الله وما يعبده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير مائة يوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله ففتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . - القام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلا ينمحي بالسكينة فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول الميزة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر لهم معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق علموا أولم يعلموا والله عالم عمالك فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للفت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء لمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكرهية تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لاهماله أقوامها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للمعرفة والكرهية والإباء وقد شرع البدي في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره للمعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحسب الحدو واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيجذب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتعال فان الرجل يجبل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحنبر لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحنبر فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقرة وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأنزع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أنى لأعرف لأبي سلمة ابن عبد الرحمن سمعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن حمدى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة عملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم ينأيه على الموت فأنسيناها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للعهد السابق حتى ذكروا، وأكثرت الشهوات التي تهجم فجاء هكذا تكون ، إذ نسي معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الریاء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك هذه الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم يحضره كلام لا بدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أو كد إذ قبل داعي الریاء مع علمه بخالفته وكونه مذموما عند الله ولا تنفع معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الریاء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يرفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء لإبادة ثمرة الكراهة وثمرتها المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التذكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستئذاء بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت لمن صادف من نفسه كراهة الریاء وحملت الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه وليليه إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة الرائيين ، فأعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطرق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا منع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استئذائها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نغفر من السماء فخطفتنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمل على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبان

(١) حديث جابر بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة بما تعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا آدمى وعاء شرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليأكله أو أكله أو أكلتين فإنه ولي حرمه ودخانه » وإذا فرغ من الطعام بحمد الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فها بها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي العلوم والتذكريات والتخيلات للأسباب الالهية للرياء هي من الشيطان والرغبة الميل بتلك الحواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومداومته انصراف عن سر النجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يردّه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته وبطيل الجدال منه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريب على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقعة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزع الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ويوجب يأسه وتوطئه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قبل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث ليتأوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسد من على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فتمنه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نجاه واستوقفه فوقف فدفع في عمر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرج منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غاب منه رجاؤه بالسكينة فالرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يداود الجميع إلا هذا الأخير فانه لا يداوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزعته فهل يجب التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والتفلة عنه . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » وبمثل قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » ويضلل يديه فقد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتر لهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضفاء العبادى الدعوة إلى الخمر والزنا فاصارت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالسكية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو انضار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فالباقين بالوحدة يخبى عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالسكية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من السموات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والفضائل وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبى ﷺ « إنه ليغان على قلبي » (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامرء إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدو لك ولزوجك فلا تخرجا منها من الجنة فتقتلى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تمرى وأنتك لا تنظما فيها ولا تنضحى - ومع أنه لم يمت إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو فى الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار الدنيا وهى منبع الهن والفتن ومعدن للآذ والسموات النهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى - هذان عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بى آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة - وقال عز وجل - إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف بدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراءى فبأن يلزمك الحذر من العدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر يرضى صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس فى العفة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفى إهمال الحذر من الشيطان التمرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بآفة الإعراض عما حذر الله وبه ييطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم أن ذلك قدح فى التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالسكية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافى امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضر والنافع والهي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويحذر أن الهادى والضال هو الله ويرى الأسباب وسائط مستخرة كما ذكرناه .

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفى يده غمر لم يغسل فأصابه شئ » فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي فى طست واحد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطوس وخالفوا الجوس » ويستحب مسح العين يلك اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولا تفضوا أيديكم فانها

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح القدي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم ينزروا عليهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان من أجل تشتت البصيرة بالعبادة وبذكر الله تعالى ولانفس الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فتجتمع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون خلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يسدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يهوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره وأما القرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فلحق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل المحبة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يموت مهم عند طلوع المصباح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو وفشال القلب برأيه لطيفها من الماء القدر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها للماء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزع الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تنبهه ولا ينفخ البئر من الماء القدر والبصير هو الذي جعل لجري الماء القدر سدا وملأها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القدر دفعه بالمكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

### ( بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات )

اعلم أن في الأسرار ثلاث أممال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاعتدال وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز الصالحين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاطهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخرة بالتحدث بما عمل . القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «  
قبل لأبي هريرة في  
الوضوء وغيره قال  
نعم في الوضوء وغيره.  
وفي غسل اليد يأخذ  
الأصابع باليمين وفي  
الحلال لا يزدد  
ما يخرج بالحلال من  
الأصابع وإنما ما يلوكة  
باللسان فلا بأس به  
ويجتنب التصنع في  
أكل الطعام ويكون  
أكمله بين الجمع  
كأكله منفردا فان  
الرياء يدخل على البعد  
في كل شيء . وصف  
بعض العلماء بعض  
العباد فلم يثن عليه  
قبل له تعلم به بأسا  
قال نعم رأيت يتصنع



الذي جاء بالصرة فتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والفرو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب ، نعم الغازي إذا ما بالخروج فاستمد وعهد الرجل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الفرو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره للبادة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالخج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادة إليه وإظهار الرغبة فيه لتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال : قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية القدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بمناله على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما اتفقت القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيقتان : إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فخير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل ويكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مام فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الفريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والفريق بالماء في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه منزلة أقدم العباد والطاء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتجبت أجورهم بالرياء والتفتن لذلك فامض وحك ذلك أن يمرض على نفسه

في الأكل ومن تصنع  
في الأكل لا يؤمن  
عليه التصنع في العمل  
وإن كان الطعام حلالا  
فليل الحمد لله الذي  
بنعمته تم الصالحات  
وتنزل البركات اللهم  
صل على محمد وعلى آل  
محمد اللهم أطمئنا طيبا  
واستعملنا صالحا وإن  
كان شبهة يقول الحمد لله  
على كل حال اللهم  
صل على محمد ولا تحطه  
عونا على مصيبتك  
وليكثر الاستغفار  
والحزن ويكي على  
أكل الشبهة ولا  
يضحك فليس من  
يأكل وهو يكي كن  
يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بمناله على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة بفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرئك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو المظهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أنت لئلا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بما خلفه بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتها إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء . قال سعد بن معاذ : ما سلمت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تمت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا عانيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لئلا ماثنا بالفرة لنبت بها حق نذكره الفداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الرأفة إذا صدرت من برائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت من يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الاتقياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع بحجة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي ، فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ، وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في مكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رباؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم <sup>(٢)</sup> كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحتمل الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاستأ وأكل حراماً ومعتنا افظأ آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن يتفق دخوله على قوم يحسب منهم فرحمهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل للضيف التكاف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإفاق ولا ينفل

(١) حديث عثمان قوله ما تمنيت ولا عانيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الموصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايتك قال هو ذاك بإعانة (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ما حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

( بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له )

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الحولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والنائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يغلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لأسبابها يحتاج به الحواطر في السموات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى. وأما الصادق الذي لا يرأى فله ستر للمعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتماه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا انتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة »<sup>(١)</sup> وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله »<sup>(٢)</sup> فهو وإن عصي الله بالذنوب فلم يغفل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يفضله ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لسكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإعاصيه إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يغم بتم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضر والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لمساوية من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغم به ، نعم القم الذموم هو أن يغم لقوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالسكراهة والرد . وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يجب الحمد ولكن يكره الذم وإتمامه أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يجبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب الآنة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدام قد عصي الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا

(١) حديث أن من ستر الله عليه في الدنيا يستر الله عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوزقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

ذلك جاء وتكلمنا  
وإذا أكل عند قوم  
طعاما فليقل عند فراغة  
إن كان بعد للغرب  
أفطر عندكم الصائمون  
وأكل طعامكم الأبرار  
وصلت عليكم لللائكة  
وروى أيضا عليكم  
صلاة قوم أبرار ليسوا  
بأئمن ولا تجار يصلون  
بالليل ويصومون  
بالتهار . كان بعض  
الصحابية يقول ذلك .  
ومن الأدب أن  
لا يستحقر ما يقدم له  
من طعام وكان بعض  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
ماندرى أيهم أعظم  
وزرا الذي يحقر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد شر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القدم فإن ألم القدم مؤلم من حيث يشعر القلب بتقصائه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القدم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم »<sup>(٤)</sup> فالتدبى يسبق ولا يأتى أن يظهر فسفه للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة قد الحياء فهو أشد حالاً ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء يمتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيماً قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويثابته أن الرجل يطلب من صديق له قرصاً ونفسه لا تسخو بأقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا اطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يأتى فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فإن المستحي إما أن يتعلل أو يقرض فإن أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقتبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتنذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيمتذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بشان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخر النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص بهيج الحياء لإخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاء بعض الحياء وهو ما يحمده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لردده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يردده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرأى يستحي من اللباحات أيضاً حتى إنه يرى مستحجلاً في الشيء فيعود إلى الهدوء وضاحكاً فيرجع إلى الانقباض ويضع أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العفلاء غير محمود وقد تشاهد مصيبة من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال في الشبهة لاسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يتنذر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام للباهة وما تكلف به للأعراس والتعازي لما عمل للنوايح لا يؤكل وما عمل لأهل العزاء لا بأس به وما يجري مجراء إذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحو الباب وأزولوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة والبرار من حديث أبي هريرة إن الله يحب القنى الحليم المتعفف وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الراحة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة يقبض أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم أهلهم وولده لأنهم يتلون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومنها قصد بستر العصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرآيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل لابي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذل إليهم هذا الخطام محبوبك» (١) فتقول حبك حب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فإنه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبه ومحمد على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة عبيها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والباح أن تحب أن محبوبك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للعينة حبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا به وذلك غلط وموافق للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والفزواتها مقاصد ومجاهدات إنما تصير للذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس للذة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للذة وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلقة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتدبير والتدريس وإتقان للسال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيمت على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه فإنه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فان قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستعينين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده حتى يدفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لاه عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يحترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يقدم على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فإذا لم يحب واشتغلت فبدعوك إلى الرياء فإذا لم تحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتعبك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فإذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فهازؤا وقال خلصها من الزؤان ونهها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا قويا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيها في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان  
فخرج وقال ذكرتموني  
أخلاق السلف هكذا  
كانوا ومن دعى إلى  
طعام فلاجابة من  
السنة وأؤكد ذلك  
الوليعة وقد يتخلف  
بعض الناس عن  
الدعوة تكبرا وذلك  
خطأ وإن عمل ذلك  
تعتما ورياء فهو أقل  
من التكبر . روى  
أن الحسن بن علي  
مرّ بقوم من السابكيين  
الذين يسألون الناس  
على الطرق وقد ثروا  
كسرا على الأرض  
وهو على بخله قسا  
مرّ بهم مسلم عليهم  
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرآه فيحسون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويخوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرآه هو عين الرياء فلو لا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم لماله ولتولم قتلوا إنه مرآه أو قتلوا إنه مخلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرآه وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأحد من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يغليه بل يقول له الآن يخول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرايا تحت الأرض ألقى في قلبك حلالة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعظيمهم لك بغلوهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تنفع فيه في الدنيا لتلوم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخبرات فما دمت تجدد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لقتلوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرآه فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فان ترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت تعدقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا تقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يارضه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستثاقفه بعد خروجه للاشتغال بمكائله فرأى أن لا يراء في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالقصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للدوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بيد العبد بما

وقالوا هم القضاء ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي وركه نزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرب وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية ندري من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعاق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إتيان المال . أما الخلافة والإمارة فهى من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما <sup>(١)</sup> » فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة ثلاثة الامام المقسط <sup>(٢)</sup> » أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل <sup>(٣)</sup> » أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل <sup>(٤)</sup> » رواه أبو سعيد الخدرى فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل للفقهاء يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تحملها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمور وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيجتمع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكاته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة يفهم الحديث الذى ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه فطافه عدله أو أوقفه جوره <sup>(٥)</sup> » رواه معقل بن يسار وعمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشرف على قال اجلس واكنم على وروى الحسن « أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خلى قال اجلس <sup>(٦)</sup> » وكذلك حديث عبد الرحمن بن مرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبرانى والبيهقى بن حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم بن حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أر فيه ذكر الأولية (٣) حديث أبى هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبى سعيد الخدرى أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصمباني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحاق بن إبراهيم الدياجى ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله إلى عنقه لا يفكها لإعده له أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيما يزيد بن أبى زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورواه البراز والطبرانى من حديث بريدة والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبى الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزي للصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خلى قال اجلس الطبرانى موصولا من حديث عصمة هوان مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكورة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ ازم يتك وفيه الغراب بن أبى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر للؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

[الباب الرابع والأربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقامهم فيه]

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا فى اللباس تنفث فيه ولها فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها<sup>(١)</sup> » وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من التهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى القدي لايميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأبس منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولوزعت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاق لذة الولاية وأن تستحل الجاه وتستلذ فغاذ الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يهد نفسه إلا قوبة في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كإيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى الداهية وإهمال الحق ونهوى به في قسره لم ولا يستطيع الزرع منه إلى اللوث إلا أن يحزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا<sup>(٢)</sup> » فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والإمارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة<sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام «من استعفى فقد ذبح بغير سكين<sup>(٤)</sup> » حكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء لإبداهاتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرج بالعزل إن كان يقضى لله فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في لباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية نوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقبله وهو وسخ قال ولكنه طاهر فظفر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بمشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أي لأفرضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسبل الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استعفى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .



الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأقته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون القنوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا فطر من الحديث وقال بمنع من الحديث أني أشتبه أن أحدث ولو اشتبهت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يحد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويغتر عن كل كلام يستفله العوام وإن كان حقا وبصير مصروف المهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به ولا يتم قول إذا أنعم الله على هذه النعمة ونعمني بهذه الحكمة فأقصها ليشركني في نعمها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تتراض نفسه وتقوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحمسون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها » (٢) وقال « نعمت للرضعة وبئست الفاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم ينه عن ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقيمونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يقيموه وقال ذلك فتنة على التبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويخط ولا يتمتع منه . واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذا رأى فيه غايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الحاق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحبا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عن إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن حمزة لانس للإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحمسون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره نعمت للرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت للرضعة وبئست الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست للرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمنون على اثنين ولا ثلثين مال يتم

الصلاة وما عدا هذين  
النظرين فظنوه في  
كونه يدفع الحر والبرد  
لأن ذلك مضلة  
النفس وبعد ذلك  
ما تدعو النفس إليه  
فكله فضول وزيادة  
ونظر إلى الخلق  
والصادق لا ينبغي أن  
يلبس الثوب إلا لله  
وهو سر العورة  
أو لنفسه لدفع الحر  
والبرد . وحكى أن  
سفيان الثوري رضى  
الله عنه خرج ذات يوم  
وعليه ثوب قد لبسه  
مقلوبا قبل له ولم يعلم  
بذلك فهم أن يخلعه  
ويغيره ثم تركه وقال  
حيث لبسته نويت أني

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن مته في الظاهر ونخيله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك الدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وهول له اشتغل وجاهد نفسك ، فإن قال لست أقدر على نفسي فتقول اشتغل وجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واطب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فتجمله فداء للقوم وقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم <sup>(١)</sup> » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويرهب في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجبة القرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه التزجية والتجربة على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فأنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامه في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردناه في كتاب العلم من الوعد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال المسيح عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تعملون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوه ما تمكثون تتوبون بالقول والأمان وتعملون بالهوى وما ينفى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبدة الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفندتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محلة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوهما لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا ينفع عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينفع عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبدة الدنيا لا كميده أتيه ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بغواصكم ثم يذفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقسكم على سوء أبتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل طار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فإن قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغاب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه <sup>(٣)</sup> » إلى غير ذلك من فضائل العلم فيبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم وأترك مراعاة الخلق كما يقال لمن خالجه لرياء في الصلاة لا ترك العمل ولكن أعم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بن أبي وقاص (٣) حديث إنما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

ألبسه لله والآن في  
أغبره إلا لنظر الخلق  
فلا أتمنى النية الأولى  
بهذه والصوفية خصوصا  
بطهارة الأخلاق وما  
رؤفوا طهارة الأخلاق  
إلا بالصلاح والأهلية  
والاستعداد الذي  
هياه الله تعالى لنفوسهم  
وفي طهارة الأخلاق  
وتعاضدها تناسب واقع  
لوجود تناسب هيئة  
النفس وتناسب هيئة  
النفس هو الشار إليه  
بقوله تعالى - فاذا  
صوته وتفتت فيه  
من روي - فالتناسب  
هو التسوية فمن  
للتناسب أن يكون  
لباسهم مشا كلالطامهم

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباد الله ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإساءة الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا تركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا مخزوجا يباعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للناسب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضغفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على فيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبةين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة يبنى أن لا يتركها الضعيف والأقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات يبنى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهنارتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذة للتفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لغة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك مثل الحسن عن رجل طلب التوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرنى أني أقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إنى لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السبيح عليه السلام ياطالب الدنيا ليربها تركها لها أبر ، وقال أقل مافية أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لغة فهو ثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن هجز فلينظر وليجهد وليستف قلبه وليزن مافية من الخير بمافية من الشر ليفعل ما يبدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لاتشبع إلا بالشر وقما تستلذ الخير ونميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنى وإثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه لديه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة للمال في اللباعات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال فتفرقه أفضل من إمساكه بكل حال . فإن قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محاس في وعظه غير مريد رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغز منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسد نعم لا بأس بالنبطة وهو أن يتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يجب اتباع الناس له في الطريق والتي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا  
لكلامهم وكلامهم  
مشا كلا لمنامهم لأن  
التناسب الواقع في  
النفس مفيد بالعلم  
والتشابه والتماثل في  
الأحوال يحكم به العلم  
ومتصفوة الزمان  
ملتزمون بشئ من  
التناسب مع مزج  
الهوى وما عندهم من  
التطلع إلى التناسب  
رشح حال ساقهم في  
وجود التناسب . قال  
أبو سليمان الداراني :  
يلبس أحدهم عباءة  
بثلاثة دراهم وشهوته  
في بطنه بخمسة دراهم  
أنكر ذلك لعدم  
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرم وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فتوجه نحو هاتق بلغ قريبا منها ثم نفي وركه فزول ومشى نحو الحسن فماتراه الحسن متوجها إليه فجأى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجايفت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرون هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فليكن هذه المجالس وأصحابها فأخذوها حلقا وعادة فانه يلتقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أهر الناس ما فلبتمونا على هذه المجالس لمرفتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق قيام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السديين ألا تعجبون أني رجل شيع كبير وأنني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثمائة درهم من العطاء وأن لي سبع بنات من العيال فتشكمن حاله حتى رقى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا أعداء الله غزا في القسايط الملباة وعلى البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا وراجلا لما اقتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعدّه قيام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قيام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي يتكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فظم الأمانة وقال إنما تتجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشدّ الحيانة أن يجالسا الرجل فتنطقن إلى جانبه ثم تنطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا أعداء الله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إنا على ذلك لا نهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عن وركب الحسن حمارا يريد للزل فبينما هو يسير إذ لثفت فرأى قوما يتيمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو إلفار جوا ليا بقى هذا من قلب العبد فيه الملامات وأما لها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتخايرون ويتعاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم إرحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

( بيان ما يصح من نشاط العبد لعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح )

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبث نشاطه للواقعة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبث هذا النشاط فهذا ما يظن أنه يراه وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنبه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف للأكل لمعطر الشربة وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للدواة ليعود إلى حد الاعتدال . لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لوليت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قيس في الثياب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمسك من الشهوات أو تستمويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيفتنم زوال النوم وفي منزله ربما يضل به النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهدج دائما وتسمح بالتهدج وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم في منزله ومع أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبت داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرثيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزود على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك غلامي ولست تصلي لأجلهم بل لله وإعسا كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإعسا داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهرج هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركة واحدة لأنه يعصى الله بطلب محبة الناس بطاعة الله وإن كان ابتعائه لدفع العوائق وتحريك القبضة والنافسة بسبب عبادتهم فيوافق وعلامة ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك يتقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه تزوع النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يبيى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لم يباكي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه فساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيتباكي تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه التساوة فيتباكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فاعسا خوفا من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك غشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يلبسون الرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من المزابل ويرقصون بها نوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والنهم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن آباها ولم يقبلها وكرهاها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لخطأ الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يعمد ويؤيد رفع الصوت فذلك الرياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك المبدعه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تعزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدفعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كبر تضعف قوله من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريعا فتخرج نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبري خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بهذا الضعف ولكن يزول ضعفه بما فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكي على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويشايل في الشئ ويقرب الخطأ يظهر أنه ضيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت فلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافته في الباطن واطلعوا على ضميره لمتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مكرها كإروى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي راك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للتناقين وقد جاء في الخبر «تعدوا بالله من خشوع النفاق»<sup>(١)</sup> وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاظ خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمرء أنه هذه خواطر ترد على القلب متفاداة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يحظر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن تجد ذلك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكير في اطلاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أماغلت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويمزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آث أخشاك وانت لي ماقث . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تهسن لي لإمعة الميرون علانيتي وتبيح لك فيما أخلو سررتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيجعل بي مقتك ويعجب على غضبك أعذني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نعم لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا علانيتهم وأصاعوا سر أئرم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه حمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليوقف عليها ففي الخبر « إن للرياء سبعين بابا »<sup>(٢)</sup> وقد عرفت أن بعضه أغص من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب الرضات دخلوا على جبرين الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمون له فنكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسن يا غلام مثلك من يلبس للرقة فكان أحدهم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا معصدا ذكر

مثل ديب النمل وبعضه أخفى من ديب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب النمل إلا بشدة التفقد والرقابة وليته أدرك بعد بذل الجهد فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفنيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

( بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه )

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محامد أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والایمان لما فيه من خطر التعرض للفت وليراقب صحته عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد تغلى حرصا على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك ثماقي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بأخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك وعظمون الاقتداء بك قبي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبدأ الآداب وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقي لأن للثقي إن فسدت نوافله بقيت قرائضة كاملة تامة والمخلط لا تخلو قرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالتواقل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالقرائن وهلك به المخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الدار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحاسب العبد يوم القيامة فإن قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفه فالتى في النار (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخوض التواقل وأما الثقي فيجهد في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الحنفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الحفبة ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فإذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإيما هو الربا بالموحدة والرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينسكح الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيب مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الربا ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود بانفraz الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لاقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الدار في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يبقى زمانه لا يطوى له  
ثوب ولا يملك غير  
ثوبه الذي عليه .  
وروى أن أمير  
المؤمنين عليا رضي الله  
عنه لبس قميصا اشتراه  
بثلاثة دراهم ثم قطع  
كفه من رموس أصابعه  
وروى عنه أنه قال  
لعمري بن الخطاب إن  
أردت أن تاتي صاحبك  
فرقع قميصك واخفف  
نملك وقصر أملك  
وكل دون الشبع .  
وحكى عن الجريري  
قال كان في جامع بغداد  
رجل لا تسكاد تجده  
إلا في ثوب واحد في  
الشتاء والصيف فمثل  
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شأنة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أفسده رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في النجاة والطاعات، والإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعلم بعله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التعلم والنعم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مراقبة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلذذ بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برغفاه قوم فادلوأحباليرفعوه خلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فردته على قلتي له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى تردده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يبدرة أو بدريتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إلي فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فردته على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه قتلتي ويلك أي شيء قتلك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمني أما ترحم إخوتك أما ترحم عيالك فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسأل عنها أنا ، فإذا ن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اعتداء الناس به فقط ويجب على التعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند العلم وعند الحاقق وربما يظن أن له أن برأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يشتم الله ويعبد الله ويخدم العلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله منه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال ومكشفت الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بماحه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم محله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سيمان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سيمان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت لها طامعك قال يا حنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت لها الذي يوجب من

كنت ولدت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيا يرى النائم مكاني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من القفرء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من اللالكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم فالتبته ونفرت أن لألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قيمته الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .



قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي يحذائك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمون فكلما شأقت نفسي عن العبادة ذكرت عذرتك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمر ساعة فأحتمل يا حنفي جهد ساعة لمر الأبد فوفر في قلبك للمعرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوبة فيها عثرون حصاة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنفي ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا سواهم قلت عثرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذى صنعت قلت بته منهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً قال أخطأت لو ساءتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتبسده فانظر كيف يكون عز من تبسده ، يا حنفي أقبل على ربك ودع الذهب والحيثة. والقصد أن استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فبرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والاتضاع كي لا ينسبوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتعلل بطلب الاتضاع فيطالبها في دعواها قصد الاتضاع بموتى من الله غليظ وهو أنه لو علم أن اتضاعهم عنه إنما حصل بأن يحدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتسمع نفسه بذلك فإذا لم تسمح وصححت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها للزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان عمله فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماله بذلك الوصف لا بالنفى فمن كان استروا حه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويعجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتحنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام لافنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغنى عليه في إكرامه وتوقير ألبته فإن الفقير أكرم على الله من الغنى فلا تشارك له لا يكون إلا طماعاً في غناه ورياء له ثم إذا سورت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السالك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة قتالت الطمع يشهد لسانك وقد صدقت فإن اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بعبادة صورك

وحكى لنا عن الشيخ  
حماد شيخ شيخنا أنه  
بقى زماناً لا يلبس  
الثوب إلا مستأجراً  
حتى إنه لم يلبس على  
ملك نفسه شيئاً  
وقال أبو خنص الحداد  
إذا رأيت وضاعة الفقير  
في ثوبه فلا ترجو خيره  
وقيل مات ابن الكرنبي  
وكان أستاذ الجنبدي  
وعليه مرقته قيل  
كان وزن فردكم له  
وتخاريفه ثلاثة عشر  
رطلاً فقد يكون جمع  
من الصالحين على هذا  
الزى والتخشن وقد  
يحسون جمع من  
الصالحين يتكفون  
لبس غير للرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منقصة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته الذات ولكن في بذنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولا لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصا لشدته احتمائه فلهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوت للفرق بينه وبين ملكته للوجوب لثباته الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيدة منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء ويدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخفف عليه مهاجرة الذات ومصاراة الكروهات فكذلك المؤمن للريد بملك الآخرة احتتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك للؤاسة بالخلق خوفا من أن يعمل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه تخفف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بما يقبلة أمره وبما أعد له من النعيم للقيم في رضوان الله أبد الآبدين ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدن لمرضاته عوناً وبهم رءوفا وعليهم عطوفا ولوشاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويصرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة للتجاعة ما يلهمه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدّه بمعونته فإن الكريم لا يضيع سعى الراجي ولا يخيّب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقاءهم أعد شوقا . فليظهر العبد في البداية جدّه وصدقته وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بمجوده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كنات ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده.

### ﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

( وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الخالق الباري المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع النفي الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي بهر أبصار الخلق جلالة وبهاؤه وقهر العرش الجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنهه جلالة ملائكته وأنبياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قسمه بداء اللوت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور للنتشر ضياؤه حتى أشرفت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأوليائه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم الترويض بواجب حق للرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل له كان ينام عليه بلاوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجملوا بينهم وبين التراب عائلا ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يتعرض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما فصمته <sup>(١)</sup> » وقال <sup>(٢)</sup> « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه <sup>(٣)</sup> » فالكبر والعجب داءان مهلكان والتكبر والعجب متقيان مريضان وهما عند الله مقفوتان بضيان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب لإيضاح الكبر والعجب فاتهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي يانها من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشرط في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه يان ذم الكبر ويان ذم الاختيال ويان فضيلة التواضع ويان حقيقة التكبر وأنه ويان من يتكبر عليه ودرجات التكبر ويان مابه التكبر ويان البواعث على التكبر ويان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر ويان علاج الكبر ويان امتحان النفس في خلق الكبر ويان المأمود من خلق التواضع والذموم منه .

### ( يان ذم الكبر )

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه و ذم كل جبار متكبر فقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المستكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - و ذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان <sup>(٤)</sup> » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله <sup>(٥)</sup> « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي <sup>(٦)</sup> » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يسبحي فقالوا ما ييكلك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكرهه الله في النار على وجهه <sup>(٧)</sup> » وقال رسول الله <sup>(٨)</sup> « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصديه ما أصابهم من العذاب <sup>(٩)</sup> » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا واخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى ميم زجل الملائكة بالنسيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفقتة وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قسمتها الحاكم في الاستدراك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبو هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبتة وقال داود وإزاره بالنية وزاد مع أبي هريرة انا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس  
الحسن والرقع يصلح  
لسائر الفقراء بنية  
التقلل من الدنيا  
وزهرتها وبهجتها وقد  
ورد « من ترك ثوب  
جمال وهو قادر على  
لبسه ألبسه الله تعالى  
من حلل الجنة » وأما  
لبس الناعم فلا يصلح  
إلا لعالم بحاله بصير  
بصفات نفسه متفقد  
خفي شهوات النفس  
يلقى الله تعالى بحسن  
النية في ذلك فله حسن  
النية في ذلك وجوه  
متعددة بطول شرحها  
ومن الناس من لا يقصد  
لبس ثوب بينه  
لالحشوت ولا لنعوته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار منق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم ومهزتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أعفاه من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ماؤها <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بشى العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بشى العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي بشى العبد عبد غفل وسها ونسى القابروا إلى بشى عبد عتا وبشى ونسى للبدا وللتهى <sup>(٤)</sup> » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت <sup>(٥)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتقصمها وأمركا بسبحان الله وبعمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء <sup>(٦)</sup> » قال للشيخ عليه السلام : طوبى لمن علم الله كتابه ثم لم يمت جبارا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء للفقون <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا وأبعدكم منا الثرثارون التشديقون للتفهمون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمشدقون فالنفهمون قال التكبرون <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر التكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوّم الناس ذرا في مثل صور الرجال يطوّم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يطوّم نار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار <sup>(٩)</sup> » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى لنفسه شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب الذي أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فنسد ذلك لا يسمه إلا أن يلبس التوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيمة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد تكلف

(١) حديث يخرج من النار منق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح  
(٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة تقدم في أسباب الكسب والعاش والعروف خائف مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالتكبرين والتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بشى العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت ميمس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک وحممه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حمار ووضفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقي في الشعب هكذا هو سلا بلغة ظهير (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندها من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل غل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الحنفي بلفظ إلى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رواية للنفس أول الحديث (٩) حديث يحشر التكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفان حسن غريب .

«عشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الذر» تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى (١) وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فأياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء» (٤) وقال «من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والقلول» (٥) الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مائة رجله فلم يقبضها وقد الأحنف فوجه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يفسد الخمر يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هو سبيل العائظ والبول، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلب امرئ من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سليمان عن الديعة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على النبي إن للشیطان مصالي وغلوخا وإن من مصالي الشيطان وغلوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

( بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجز الثياب )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «بينما رجل يتبختر في برده إذ أهبطته نفسه غسفت الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «من جرت ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة» وقال

(١) حديث أبي هريرة عشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الذر الحديث البراز هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخة وثفته وهمزته قال نفث الشعر ونفخة الكبر وهمزته الموت ولأصحاب السنين من حديث أبي سعيد الخدري فهو تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والقلول الترمذي والتسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشهور وفي الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السانيد عن الدارقطني قال إنما هو الكثر بالنون والراء وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكثرزون الذهب والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرت إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينما رجل يتبختر في برده قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنائير ويلبس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس وكان الشيخ علي بن الهيثي يلبس لبس فقراء السود وكان أبو بكر القراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني أرفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء »<sup>(١)</sup> وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صويتك وعدلتك مشيت بين بردن ولأرض منك وميد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وآتي أوان الصدقة »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض »<sup>(٣)</sup> قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان »<sup>(٤)</sup> الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للصورة وعليه جباب خزقد فشد بضها فوق بعض على ساقه وانخرج عنها باؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنته ثاني عطفه ، صمخذه ينظر في عطفه أي حقيق أنت تنظر في عطفك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفة فسمع ابن الأهمم فرجع يتنذر إليه فقال لا تنذر إلى وتعب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لتماثله كأن القير قد وارى بدنك وكأنك قد لايت عملك ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خمره قل عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تملتها ، ورأى عمر بن واسع كوله يختال فدعاه وقال أندري من أنت أما أمك فأشترها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكر الله في المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يجري إزاره فقال إن للشيطان إخاؤا فأكروهم أربعين أو ثلاثا ، ويروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى للهلب وهو يتبختر في جبة خرق فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له للهلب أما ترفني فقال بلى أعراك أولك نظفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فبغض للهلب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

( بيان فضيلة التواضع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفاه الله »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها فإن هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على اللرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن البار رجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال يقول ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث بشر بن جعاش (٣) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم اليم وفتح الطامين المهملتين بينهما مشاة من تحت مصفرا ولم يستعمل مكبرا (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحسن ولكن يحب

جذاها ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنت في مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (٢) » وعن أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدرح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إنى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اثما زمناه وتكره ثلمات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكا نبياً فمأدراهما أختار وكان صفي من الملائكة جبريل فرقت رأسي إليه فقال تواضع لربك تقلعت عباد رسولاً (٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع له طمطم ولم يتعاطم على خلقى وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الفنى (٦) » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بالفنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يجمعهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة

أن يختار الله له هيئة  
مخصوصة فيكثر اللجأ  
إلى الله والافتقار إليه  
ويسأله أن يريه أحب  
الزى إلى الله تعالى  
وأصلحه لدينه ودينه  
لكونه غير صاحب  
غرض وهوى في زى  
بعينه فله تعالى يفتح  
عليه ويعرفه زيا  
مخصوصا فيلتزم  
بذلك الزى فيكون  
لبسه بالله ويكون هذا  
أنتم وأكمل ممن  
يكون لبسه لله . ومن  
الناس من يتوفر حظه  
من العلم وينبسط بما  
بسطة الله فيلبس  
الثوب عن علم

(١) حديث مامن أحد إلا وضعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها الحديث العقلى في الضعفاء واليهتمى في الشعب من حديث أبي هريرة واليهتمى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب الصرى والبرار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواء البرار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البرار إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الله أحبه الله وروى للرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أفقره الله وذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال « أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة منكروا وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث ثم أجده أصلا والموجود حديث أكله مع مجذوم رواء أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرني ربي بين أمرين عبدا رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الفنى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسلأ وأمسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه السعدى مختلف فيه

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا <sup>(١)</sup> » وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا برحمتك الله <sup>(٣)</sup> » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم رجلاً أسود به جذرى قد تشقر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يعمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه <sup>(٥)</sup> » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم للتواضعين من أمق فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار <sup>(٧)</sup> » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال اتعش رفعتك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهنه الله في الأرض وقال احسأ حسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقق عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل قائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فان تواضع لله في الدنيا رفته الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو سمعت من صبي قبلته ولو سمعت من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه ليس لك بدينك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدينك عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة . وقبل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة آمناً عليها .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا لمن يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بمحب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العموم بن جويرية قال ابن حبان يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جذرى فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليعجبنى أن يعمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمق فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وليتمكن ولا يزال بما  
لبسه ناعماً لبس أو خشنا  
وربما لبس ناعماً  
ولنفسه فيه اختيار  
وحظ وذلك الحظ فيه  
يكون مكفراله مردودا  
عليه موهوباً له يوافقه  
الله تعالى في إرادته نفسه  
ويكون هذا الشخص  
تام التزكية تام الطهارة  
محبوباً مراداً يسارع الله  
تعالى إلى أمراده ومحابه  
غير أن ههنا مزية قدم  
لكثير من المدعين .

حكى عن يحيى بن معاذ  
الرازي أنه كان يلبس  
الصوف والحلقان في  
ابتداء أمره ثم صار في  
آخر عمره يلبس الناعم  
ف قيل لأبي يزيد ذلك



وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أي الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصره عن قوة . ودخل ابن السجك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن أصرا آتاه الله جمالا في خاتمه وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده فنف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يهيء إلى الساكبن فيقعد معهم ويقول مسكين مع ساكبن . وقال بعضهم كما تذكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكركم أن يراك الفقراء في الثياب للرفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد : إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخث الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرمعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أنني كنت معهم إلى أخشى أنهم حرروا بسبي ويقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الحمري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يستجني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسمى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرئاسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت تمنحنا زلزلة وريح حمرأ فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي رحمه الله فقال له ما أنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطه التي تحت الباء فقال له النبي أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال النبي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل لهفتى يكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتعاضعي عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محمود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خاله البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن ماذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم  
يصبر على الدون  
فكيف يصبر على  
التحف ومن الناس من  
يسبق إليه علم ماسوف  
يدخل عليه من  
اللبوس فيلبسه محمودا  
فيه وكل أحوال  
الصادقين على اختلاف  
تنوعها مستحسنة  
- قل كل يعمل على  
شاكلته فربكم أعلم بمن  
هو أهدى سبيلا -  
ولبس الحشن من  
الثياب هو الأحب  
والأولى والأهم للعبد  
والأبعد من الآفات .  
قال مسلمة بن عبد الملك  
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أفصح ، ويقال لأعزّ إلّا لمن تذلّ له عز وجلّ ، ولأرفعة إلّا لمن تواضع لله عز وجلّ ولا آمن إلّا لمن خاف الله عز وجلّ ولا ربح إلّا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجلّ . وقال أبو طي الجوزجاني : النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصبيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها الصبيحة مع توفيق الله عز وجلّ وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجلّ . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم <sup>(١)</sup> » ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها وللوح لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بقلعة وبين يديه غلمان وإذا هم ينفنون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل خاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قلعتك له شبهتك برجل أبيه بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل قلعت ما فعل الله بك ؟ فقال إني ترفضت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يرفع الناس . وقال القيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بطيه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يسبيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد العرفة فأين العرفة . وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مفتنة ثم آتى الميزان فان ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا كليم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

( بيان حقيقة الكبر وآفته )

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لتلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يفضل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال ففند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي . من حديث أبي هريرة إذا اتخذ النقي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا ضللت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وصبيان خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قيصره وسخا قفلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت ففعل إن شاء الله قال ثم حسدته فإذا القميص على جاله قفلت يافاطمة ألم آمركم أن تغسلوه ؟ قالت والله ماله قميص غير هذا . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألبين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطهار له رثة قلبسها . وقيل لما مات أبو الدرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يشكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة وأمره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمذهبه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خاق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فلذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخعة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تباع الثريا للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك اشتكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فإن كان دون ذلك فأنف من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل واستطرد أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالتعليم واستذلهم واتهمهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخمر استعجالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق ولما ينشك عنه المباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغالق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خاق عمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاحتالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاعتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - والملائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم نخلين فيها فبئس مثوى المتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد هم عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزعن من كل شيمة أيهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم لكم مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نخعة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس علي بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدَّ كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتبيونني علي لباس هو أجد من الكبر وأجد رآن يقتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى علي رجلا ثوبين رقيقين علام بالبرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من همج برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكبه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمض الناس (١) » .

( بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه )

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ماجهولا فخارة بتكبر على الخلق وتارة بتكبر على الخلق فاذا ن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظن مثل ما كان من عمروذ فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذا استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف السبيح أن يكون عبدا لله ولا للملائكة القربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فيق في ظلمة الجهول بكبره فيمتنع عن الاتقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنهم إلا بشر مثنا - ولئن أطلعهم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاء به الملائكة مفترين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض غير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن وملكك قال حتى أشاور هاما فشاور هاما فقال هاما بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يشه الله إلينا فقال تعالى - أمهم يقسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ساء استحقارهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نخلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن محاسنتهم فأنزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واصل

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمض الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمض الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريمانة هكذا .

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تضدوا دينكم بحمد الناس وثائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نظرين فلما نظر إليهما أعجبهما حسنها فسجد لله تعالى قبله في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له ثعلبان مخصوصان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار قيل يصنون عمارا وبلالا وصهيبا والقناد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى محبرا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غيره فتأبى نفسه عن الاتقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والعز والمظنة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ثم استعظم استحقاقه للقت ومأعظم يهدفه للخزي والشك والماخذ استجراؤه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى والعظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازع فيهما قصمته أي أنه خاص صفى ولا يليق إلا بالله والنازع فيه نازع في صفة من صفاتى وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذى يستذل خواص غداً الملك ويستخدمهم ويرفع عليهم ويستأثر بماحق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالحق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا جمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون تجاهد التكبرين ومهما انضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والناقضين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من يناظر للغلبة والإغما لا يهتم الحق إذا ظهر به فقد شاركهم في هذا الحق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل بأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الدين يأمرسون بالقسط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إغما إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال عليه السلام لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت لما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قریش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قریش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى  
المخسوف وأكل مع  
العبيد وإذا كانت  
النفس محل الآفات  
فالوقوف على دسائسها  
وخفى شهواتها وكم  
هواها عسر جدا  
فالأليق والأجدر  
والأولى الأخذ بالأحوط  
ونزك ما يريب إلى ما  
لا يريب ولا يجوز للعبد  
الدخول في السمة إلا  
بعد إتيان علم السمة  
وكل تركية النفس  
وذلك إذا غابت النفس  
بغية هواها للتبع  
وخلصت النية وتدد  
التصرف بعلم صريح  
واضح والعزيمة أقوام  
بركونها وبراعونها

أى اعتلت يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثلالهنا وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتى من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان مبدؤه التكبر على آدم والحسد له لغيره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً لا يباد فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بهاتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن قيس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ما ترى أئمن التكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغمص الناس <sup>(١)</sup> وفى حديث آخر « من سفه الحق <sup>(٢)</sup> » وقوله وغمص الناس أى ازدراهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله وأخير منه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بغير الاستخفاف أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيها بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله قد تكبر فيها بينه وبين الله تعالى ورسله .

( بيان ما به التكبر )

اعلم أنه لا يتكبر إلا على استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا هو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال دينى أو دنيوى فالدينى هو العلم والعمل والدينوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء <sup>(٣)</sup> » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحققر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجملهم ويتوقع أن يبدوه بالسلام فإن بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عنده ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه يذمى أن يقول له ويخمدوه وشكره على صنعة بل الثالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويوزرونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستخزره في حوائجه فان قصر فيه استفكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكان تعاليه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعاق بالدينا ، أما في أمور الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كاسيأتى في طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتحشماً ، ويقتضى أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقديره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كما قال . فان قلت لما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وأمثا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن قيس إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ما ترى الحديث وفيه التكبر من بطر الحق وغمص الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بمحدثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغمص الناس تقدم معه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء . قلت هكذا ذكره المصنف والمفروق آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعى في مسند الشاميين من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى في مسند القردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لا يدري من هو حدث عن أبيه بمحدث موضوع قاله صاحب الميزان .

لا يرون التزول إلى الرخص خوفاً من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد يرخس من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال ذرة من التكبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلاؤها كبراً وثقافاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيئ الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بهذيب نفسه وتركه قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخبر أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافياً فتشربه الأشجار ببروقها فتحول على قدر طوعها فيزداد للبرمرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر همها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئيبه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك - ووصف أولياءه فقال - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم ألفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جارية العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم، ولذلك استأذن نعيم الدارنى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفع حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة يقوم فلما سلم من صلاته قال لثلاث سن إماماً غيرى أو لتصلن وحدانا فأبى رأيت في نفسى أنه ليس في القوم أفضل منى فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعنا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأبى يسمح آخر الزمان بثلمهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضاً إما معذوم وإما عزز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بمشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نتحتم واليأى بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بمشر ما كانوا عليه ولينا تمسكنا بمشر عشره . ففسأل الله تعالى أن ياملنا بما هو أهل به ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر واستماله قلوب الناس

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بمشر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فسكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومغتال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيبئنا رجل ممن كان قبلكم يتبخر في

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم زيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيلم الناس بقضاء حوائجهم ونو قيرهم والتوسع لهم في المجالس وذ كرمهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك نحيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من مكروه غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم » (٢) وكمن من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يقتربون إلى الله تعالى بالذنوب منه وهو يحميهم إلى الله بالثبوت والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فأجدرهم إذا حو له صلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حدالاهل كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لسكرة فساد من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله قبا من الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى بني ذلك الزمان مرها فليستأفوا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي إذا تواضع هيئة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم للتكبر والعابد المعجب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزي أن صاحب الخزندل صاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قد ساءتفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستكبار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهي الحق والعبادة يعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإشفاء غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مت الله بأهمل كبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للمعاصي والله لا يغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أعجبه رداؤه  
غسفت الله به الأرض  
فهو يتجامل فيها إلى  
يوم القيامة والأحوال  
تختلف ومن صح حاله  
بصحة علمه صحت نيته  
في ما كوله ومليوسه  
وسائر تصاريفه وفي  
كل الأحوال يستقيم  
ويتسدد باستقامة  
الباطن مع الله تعالى  
وبقدر ذلك تستقيم  
تصاريف العبد كلها  
بحسن توفيق الله  
تعالى .

[الباب الخامس  
والأربعون في ذكر  
فضل قيام الليل]  
قال الله تعالى - إذ  
بشيكم الناس أمنة



نفسه فهذه عقيدة الغترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلي حين كان  
تهبّ ريح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد  
انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجمعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا اتقى  
الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والكبر والحسد  
والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد  
أحبط بعمله جميع عمله فان الجهل أغشى العاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير  
من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر  
بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى  
في وجهه سفة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك  
بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم <sup>(١)</sup> فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بنور النبوة ما استكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله  
لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى  
نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ  
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلمة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في  
المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقّه وأدنى ذلك في العالم أن يصمر خده  
للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متزه عن الناس مستغفر لهم  
أو غضبان عليهم وليس يعلم السكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في  
الحد حتى يصمر ولا في الرقة حتى تظأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره» <sup>(٢)</sup> «قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسمهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبها وانبساطا» <sup>(٣)</sup> ولذلك قال الحرث  
ابن جزء الزيدى صاحب رسول الله ﷺ يجيئني من القراء كل طليق ضحاك فأما الذي تلقاه بيشر  
وبلاءك بعبوس عين عليك بلمه فلا أكثر الله في السلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك  
لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر  
على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى  
يدعوه إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لعلة الغير  
في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في مرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده  
في طول اللسان فيهم بالتقص ثم يثنى على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم  
القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول  
قصدني فلان بسوء فملك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعى الكرامة لنفسه أو ما مباحاته  
فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع  
فيكلف نفسه الصبر ليعلمهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي  
ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبرار والدار قطن من حديث  
أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث  
كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من  
السما ماء ليظهركم به  
ويذهب عنكم رجز  
الشيطان - نزلت هذه  
الآية في المسلمين يوم  
بدر حيث نزلوا على  
حكيث من الرمل  
تسوخ فيه الأقدام  
وحوافر الدواب وسبقهم  
المشركون إلى ماء بدر  
العظمى وغلبهم عليها  
وأصبح المسلمون بين  
محدث وجنب وأصابهم  
الظمأ فوسوس لهم  
الشيطان أنكم تزعمون  
أنكم على الحق وفيكم  
نبي الله وقد غلب  
المشركون على الساء  
وأنتم تصلون محدثين  
ومجنسين فكيف

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفني في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصرفه ويعظم نفسه وأمامهااته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يظلب ولا يظلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويعظم الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحدمهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق التكبر وآثاره التي يشرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يغلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وممرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا بنطي ويا هندی ويا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لمالك أن يكلفني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غاب غضب أطما ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن يضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقنع من نفسه شجرة التكبر بأخصم قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم القنجر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكونن أهون على الله من الجمالان التي تدرف بآنائها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم  
فأنزل الله تعالى مطرا  
من السماء سال منه  
الوادى فشرب المسلمون  
منه واغتسلوا وتوضوا  
وسقوا الدواب وملثوا  
الأسقية ولبد الأرض  
حتى ثبت به الأقدام قال  
الله تعالى - ويثبت به  
الأقدام. إذ يوحى ربك  
إلى الملائكة أني معكم -  
أمدم الله تعالى  
بالملائكة حتى غلبوا  
للشركين ولكل آية  
من القرآن ظهر  
وبطن وحد ومطلع  
والله تعالى كما جعل  
الناس رحمة وأمنة  
للمصابة خاصة في تلك  
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بغير من أحمر ولا أسود إلا أن فضله يتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم القنجر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكونن أهون على الله من الجمالان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والقيية وذ كر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء التكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالتقصير فكأنها أعتبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقامت ما قالت . الخامس : التكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيتهم وبين التجميلين في لباسهم وخيولهم ومرأيتهم فيستحقرون النبي الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكذوب ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأنتا بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم مالا أنا كله في سقوتك ذلك لاستعظامه للنبي واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فسئني أن يؤتيني خيرا من جثثك ويرسل عليا حسبنا من السماء فتصيح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - باليتي لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - السادس : التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والعلماء والعشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستفد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخفت لتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخشنيين لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد ينتخر بكثرة الشرب وكثرة العجور بالنسوان والعلماء ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

### ( بيان البواعث على التكبر وأسبابه الهيجة له )

اعلم أن التكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي غرّة وتبجعة ويذبح أن تسمى تكبرا ويخص اسم التكبر بالباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتى سمناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء تنصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث التكبر الباطن والتكبر الظاهر ثمرة التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يعمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر

وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة نعم للؤمنين  
والناس قسم صالح  
من الأنعام العاجلة  
للمريدين وهو أمانة  
لقلوبهم عن منازعات  
النفس لأن النفس  
بالنوم تستريح ولا  
تشكو الكلال والتعب  
إذ في شكايتها وتعبها  
تقدير القلب  
وباحترامها بالنوم  
بشرط العلم والاعتدال  
راحة القلب لما بين  
القلب والنفس من  
الواطأة عند طمأنينتها  
للمريدين السالكين  
فقد قيل ينبغي أن يكون  
ثلث الليل والنهار نوما  
حتى لا يضطرب الجسد  
فيكون نمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من ردل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأتفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظله فلا يجتهد إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب بغض المحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو معرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يعنه على أن يمايله بأخلاق للتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق للتكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد ينتمى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنه بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

( بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر )

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصوفي وجهه ونظيره شذرا وإطرافه رأسه وجلوسته من جأ ومثكنا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإبراد ويظهر في مشيته وتبحره وقيامه وجلوسته وحركاته ومثكنااته . وفي تماطيه لأهله . وفي سائر تقليباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فلهذا التكبر بأن يحب قيام الناس له أو يمين يديه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزدد من الله بعدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصري فنههم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فنبهه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لنوم ساعتين من ذلك  
يجلسهما للريد بالتهار  
وست ساعات بالليل  
ويزيد في أحدهما  
وينقص من الآخر  
على قدر طول الليل  
وقصره في الشتاء  
والصيف وقد يكون  
بحسن الإرادة وصدق  
الطلب ينقص النوم  
عن قدر الثلث ولا  
يضر ذلك إذا صار  
بالترجيح عادة وقد  
يحمل ثقل السهر وقلة  
النوم وجود الروح  
والأنس فإن النوم  
طبعه بارد رطب ينفع  
الجسد والدماغ ويسكن  
من الحرارة واليبس  
الحادث في الزواج فإن

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين العيين<sup>(١)</sup>. ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن آدم أن نعال فخذنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا إسحق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضع ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فسألت عن غلظه فنجبت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجارية وإني لأعرف رجلا منكم شرا مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تنهض به حيث شاءت<sup>(٢)</sup>. ومنها أن يتوقى من مجالسة للرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من التكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه<sup>(٣)</sup> وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما دته. ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة صيف وكان يكتب فكاد السراج يطفا فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول نومة نائمها فقام وأخذ البطيخ وملا المصباح زيتا فقال الضيف لمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما قص مني شيء وخبر الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك<sup>(٤)</sup> وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت بأهربية أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمعي بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحا بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لاه أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاءة من الإيعان»<sup>(٥)</sup> فقال هرون سألت معنا عن البذاءة فقال هو الدون من اللباس وقاله زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من آدم وعوث بن علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشي خلفهم فسئل عن ذلك فقال إني سمعت خفي نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من التكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء<sup>(١)</sup> حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الثمارك الجديد ورد الثمارك الخاق أو نزع الخيصة ولبس الأنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة<sup>(٢)</sup> حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب العيشة<sup>(٣)</sup> حديث الرجل الذي به جدري وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا<sup>(٤)</sup> حديث حمله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراريل وحمله وتقدم<sup>(٥)</sup> حديث البذاءة من الإيعان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قصص عن التلث بضر  
الدماع ويغشى منه  
اضطراب الجسم فاذا  
تاب عن النوم روح  
القلب وأنه لا يضر  
تقصاته لأن طبيعة  
الروح والأنس باردة  
رطبة كطبيعة النوم  
وقد تقصر مدة طول  
الليل بوجود الروح  
فتصير بالروح أوقات  
الليل الطويلة كالقصيرة  
كما يقال سنة الوصل سنة  
وسنة المفجر سنة  
فيقصر الليل لأهل  
الروح. قل عن  
علي بن بكارة قال:  
منذ أربعين سنة  
ما حزنتي إلا طلوع  
الفجر. وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبى هذين فأتكبر فلي ماداما  
هين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف  
دينار فيقول ما أجودها لولا ختونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول  
ما أجوده لولائه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال إن لي ثوبا ذو أقدواها  
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تافت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذقت الخلافة وهى أرفع الطباق تافت  
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه  
قبص مرقوع الجلب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست  
فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الضو عند القدرة . وقال  
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاة كان خا طى الله  
أن يدخره عبرى الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .  
« وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه  
الحق وغمض الناس (٢) » فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته  
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إني امرؤ حبيب إلى من الجمال ما ترى (٣)  
فصرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر طى غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من  
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب بدون قد يكون من التواضع وعلامة التكبر  
أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يالى إذا ائرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب  
الجمال في كل شئ ولو في خلوته وحتى في سنور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال  
زل قول عيسى عليه السلام طى بعض الأحوال طى أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء في  
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب  
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من  
اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا  
والبسوا وصدقوا في غير سرف ولا غيبة (٤) » . « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته طى عبده (٥) » وقال  
بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية وإما خاطب بهذا قوما يطلبون  
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتون وعليكم ثياب الرهبان  
وقلوبكم قلوب القناديب الضواري البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن يتواضع  
بالاحتمال إذا سب وأذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما أهل عن السلف من احتمال  
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه  
وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدرى

كيف أنت والليل قال  
ماراعيته قط يرى  
وجهه ثم ينصرف  
وما تأملته . وقال  
أبو سليمان الداراني  
أهل الليل في ليلهم  
أشد لذة من أهل النهو  
في لهوهم . وقال بعضهم  
ليس في الدنيا شئ  
يشبه نعيم أهل الجنة  
إلا ما يجده أهل التلق  
في قلوبهم . الليل من  
حلاوة للناجاة خلاوة  
للناجاة نواب عاجل  
لأهل الليل . وقال  
بعض الدارفين إن  
الله تعالى يطلع طى  
قلوب المستيقظين في  
الأسحار فيملؤها نورا  
فترد الفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد للماليني في مسند الصوفية  
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل  
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس  
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حبيب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله ميمى فيه السائل وقد تقدم  
(٤) حديث كلوا واشربوا ولبسوا وصدقوا في غير إسراف ولا غيبة النساء وابن ماجه من رواية  
عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته طى عبده الترمذى  
وحسنه من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها للصنف حديثا واحدا .

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والمطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يطفئ الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخفف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشيء من السوق ولا يمنعه من الحياء أن يلقه يده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً وأحمر حرراً أو عبد من أهل الصلاة ليصت له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كرم الطبيعة جميل للعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مثالة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشتم قط من شيع ولا يعد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليهم اليسار والغنى وإن كان ليطول جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فؤتي بكنوز الأرض وتجارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة بها مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الغداء لو تلبثت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمتلك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لضوا على حالهم وتقدموا على زهم فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجدي أستحي إن ترفعت في ممبشقي أن يقصر بي دونهم فأصبر أيا ما بسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بإخواني وأخلامي قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . لما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به لما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فمن طلب العز في غير ما ساعدت في بداة هيبته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تعجبين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقاً أو ثلاثون رجلاً فلو بهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلقه . واعلم يا أخي أنهم لا يلغون شيئاً ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يطفئ الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعاً الحديث بطوله لم أقف لها على إسناد .

فتستشير ثم تتشتر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عباداً يحبوني وأحبهم ويشفقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كإبراهيم الرامي غنمه ويعنون إلى غروب الشمس كاعن الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يحترقونه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام قسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على طاهم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لا تدر كم الرياح العواصف ولا الخيل المجرأة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في استباق الخبرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أنفرغ عليه السداد واكتفبه بالعصمة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلاحذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيت له وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

( بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له )

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمسك بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بجموعهما أما العلوى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى وكيفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والمذلة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه بطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والمذلة وكيفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما أكره - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل بسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقررها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنوع إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماء قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هدايه وبفقره قبل غنايه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره - ومعنى قوله - هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل بسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميا بصيرا إنا هدينا

جنهم الليل واختلط  
الظلام وخلا كل حبيب  
بحبيبه نصبوا لي  
أقدامهم واقرشوا لي  
وجوههم وتاجسوني  
بكلامي وتعلموا إلى  
بأنعمي فبين صارخ  
وباك وبين متأوه  
وشاك يعنى ما يتحملون  
من أجلى وبسعى  
ما يشكون من حبي  
أول ما أعطيهم أن  
أقذف من نوري في  
قلوبهم فيخبرون عني  
كما أخبر عنهم والثاني  
لو كانت السموات  
السبع والأرضون  
وما فيها في موازينهم  
لاستقللنا لهم والثالث  
أقبل بوجهي عليهم



السييل إما شاكراً وإما كفوراً - ومضاه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأصممه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - سومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم هم تنكثرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف تنهه من تلك القلة والقلة والحسنة والقادرة إلى هذه الرضوة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم وحياء بعد الموت وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وطالماً بعد الجهل وهدياً بعد الضلال وقادراً بعد المجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء سوى شيءٍ أحسن من لا شيءٍ وأنى قلة أقل من العدم الحمض ثم صار بالله شيئاً وإعما خلقه من التراب القليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم الحمض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإعما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتها وجلاله وأنه لا يليق للكبرياء إلا به جلّ وعلا ولذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهدىناه النجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من متى يعني ثم كان علقه - ثم ذكر مته عليه فقال - غلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى - ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بدوّه وهذه أحواله فمن أين له البطور والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أحسن الأخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الحسبي إذا رفع من خسته فمخج بأنفه وتعتظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى المبدأ والنتهى ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الأمراض المائلة والأنقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللذة والبغيم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويضطج كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه تقى ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجعله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويفعل عنه فلا يفعل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحببه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتلفح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لو لاجهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل. وأما آخره ومورده فهو الموت للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومضاه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسن فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تلى أعضاؤه وتفتت أجزاؤه وتتخر عظامه ويصير زمياً رفاناً ويأكل الدود أجزاءه فيبندى بعد تبه فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسائر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يعمل منه الكيزان ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً فوضار كأن لم يكن بلائس حصيداً

أفترى من أقبلت  
بوجهي عليه أعلم أحد  
ما أريد أن أعطيه  
فالصديق الريد إذا خلا  
في ليله بتناجاة ربه  
انتشرت أنوار ليله على  
جميع أجزاء نهاره  
ويصير نهاره في حماية  
ليه وذلك لامتلاء قلبه  
بالأنوار فتكون حركاته  
وتصاريفه بالانوار  
تصدر من منبع  
الأنوار المجتمعة من  
الليل ويصير قلبه في  
قبة من قباب الحق  
مسدداً حركاته موفرة  
سكاته. وقد ورد من  
صلى بالليل - من وجهه  
بالنهار - ويجوز أن  
يكون لمضين: أحدها

كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا ، لا بل يحبه بعد طول البلى ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للترفة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسهام مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجنهم تفر وجنة ينظر إليها المجرم فيحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تنفر بها وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمل من قليل وكثير وتبخر وقطمبر وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحساء الله عليك فلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من محازيه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالئ هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعباذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع الهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذهب في النار ليعقروا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه لمساتوا من مكنه ولو وقفت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الحيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى ينفدله فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر السكير بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله أريت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملائ من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكنفه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا فلهذا هو العلاج العلى القامع لأصل الكبر وأما العلاج العلى فهو التواضع لله بالفعل وللسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق للتواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) وقيل لسان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى المتقى في الآخرة ولا يتم التواضع بعد للعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأتون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بخت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكاة تستبر بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب زهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتعتدب مشكاة القلب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والإقرار قبلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى - سيأم في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - فتور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة

(١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للعيشة

(٢) حديث حكيم بن حزام يا بخت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث

رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفي .

فما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعفة أمرؤا به لتتكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يقتضاه الكبر من الأفعال فليواظب على يقضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق الممودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم لللكوت والقلب من عالم لللكوت . للقام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ماعدها مما يغنى بالموت فسكال وهمي فمن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يحتره الكبر من جهة النسب فليدو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباء ذوى شرف لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خر طينة حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر وأخس الأحياء ما إليه انتسابه إذ يقال بأذل من التراب ويا أئمن من الحماة ويا أفقر من للضعفة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة واللصقة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لو لمه فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل بوطا بالأقدام والفصل فصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نحوه الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجهه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبق شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة وللضعفة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحمامة أو غير هالكان يعلم به خسة نفسه لمعاسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأحياء القفزة التي يتره عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الأقدار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثائله والخطاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت بشرته والصدان تحت إبطه بفصل الغائط يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب  
الدرى وتتمكس آتوار  
الترجاجة على مشكاة  
القلب وأيضا يلين  
القلب بنار النور  
ويسرى لينة إلى القلب  
فيلين القلب للين القلب  
فيتشابهان لوجود اللين  
الذي عنهما . قال الله  
تعالى - ثم تلين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله -  
وصف الجلود باللين كما  
وصف القلوب باللين  
فاذا امتلأ القلب بالنور  
ولان القلب بما يسرى  
فيه من الأنس  
والسرور ويندرج  
الزمان والمكان في نور  
القلب ويندرج فيه  
الكلم والآيات والصور

لاستغفركم فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك ليصرف قذارته وذلك هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللد كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقترئ علينا أنفسنا ويخوله خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خره إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتنظيف والفصل ثارت منه الأتان والأقدار وصار أثنى وأقندر من الدواب للهامة التي لا تهتمد نفسها قط فانا نلظ أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيصير جيفة أقندر من سائر الأقدار لم يتفخر بجماله الذي هو تكفراه الدمى وكلون الأزهار في البوادي فبينما هو كذلك إذ صار هشيا تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبيح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد صمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملا . السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعتبه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهجن من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللباب شيئا لم يستغفركم منه وأنه لو دخلت في أنفه أو غلة دخلت في أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حمى يوم تغلل من قوته مالا ينجير في مدة فمن لا يطبق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يتفخر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار في صفة يسبقك فيها الهائم . السبب الرابع والخامس : الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمسك من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان التكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ذليلا والتكبر بتمسكك السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غلبانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف وللتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فأشرف يسبقك به اليهودى وأف أشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالنفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشئ من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازلها وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء ماله فأكذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يصابه وينكسر به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب ماله ليعرف أن له ماله كما نظر العبد فرأى نفسه محبوبا في منزل قد أحقت به الحيات والعقارب والحوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تدل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض  
القلب بنور ربها إذ  
يصير القلب سما  
والقلب أرضا ولذة  
تلاوة كلام الله في عمل  
للناجاة تستر كون  
الكائنات والكلام  
الجميل بكونه ينوب  
عن سائر الوجود في  
مزاينة صفو الشهود  
فلا يبقى حيث للنفوس  
حديث ولا يسمع  
للهاجس حسيس وفي  
مثل هذه الحالة تصور  
تلاوة القرآن من  
فأنتحه إلى خائنه من  
غير وسوسة وحديث  
فيس وذلك هو الفضل  
العظيم . الوجه الثاني  
قوله عليه السلام

عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته ويبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمراض وأستقام هي كالتقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا الطريق علاج التكبر بالأسباب الحاركة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كالان في النفس جذيران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كاستدراكه.

السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرها بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأحمري : إن العلم طغيانا كطغيان المال ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زل بزلته عالم فيجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولأن يقدر العالم على دفع الكبر بالاعتراف أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم غنائه أغشى إذ لم يقص حق نعمته الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتبه وأنهى عن الشر وآتبه<sup>(١)</sup> » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يصل بالحمار والكلب فقال عز وجل - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود ، وقال في بلم بن باعوراء - وأتلى عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - حتى بلغ - فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي بلم كتابا فأخذه إلى شہوات الأرض أي سكن حبه إليها فله بالكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء آتته الحكمة أو لم أوتيه لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فلهما خطر للعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر انتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهى في الآخرة سلامة الجاهل والعباد بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزيير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتني لم تلدن أمي وأأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم ألك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر فصرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما رضى سيده أم لا فأخبره خبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وقش عن جميع أحماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عيده مثل ذلك وغا عن بعضهم وهو لا يدري من أى الفريقين يكون فاذا تفكر

(١) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتهدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتداركه للعونة من الله الكريم في تضاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيجن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للجنة على قيام الليل وأدب النوم ] فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبلا

في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تفكر في موضع من أوامر ربه بمخائبات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والفاسق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لاهمالة الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محموتا عند الله أيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إن لك عندي قدرا ما لم ترف نفسك قدرا فإن رأيت نفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصنعوا أنفسهم حتى يعظم عند الله محملهم فهذا أيضا مما يمتنع على التواضع لاهمالة . فإن قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم ثابت وكيف يحجل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخفيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق وللمبتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير أعلى رتبة من هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحققه وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق جميع المسلمين إلا أباه وحده فالعواقب مطوية بين العباد ولا ينظر المائل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجمل وأنا عصيته بجم فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله لي غم له بالإسلام ويغتم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كمال لم يكن ابتداءها إلى فملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا يلبث له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الحمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لما قبله لأن يشتغل بخوف غيره فإن الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فإذا حبس جماعة في جنايقهم وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عهم الخطر إذ يغفل كل واحد منهم عن الالتفات إلى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره . فإن قلت فكيف أفض للمبتدع في الله وأفض للفاسق وقد أمرت بينهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يعتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بمجته أزهج من عنده وتزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على للطبع ظاهر كونه شرًا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق وللمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والتكبر غضب واحد ما يشر الآخر ويوجبهما مما يمتزجان ملتصقان لا يميز بينهما إلا الوقوف والقي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور :

القبلة منتظرا محي  
الليل وصلاة للترب  
مقيا في ذلك على أنواع  
الأذكار ومن أولها  
التسبيح والاستغفار  
قال الله تعالى لتبني  
واستغفر لذنوبك وسبح  
بحمد ربك بالحق  
والابكار ومن ذلك أن  
يوصل بين العشاءين  
بالصلاة أو بالتلاوة  
أو بالذكر وأفضل ذلك  
الصلاة فإنه إذا واصل  
بين العشاءين يغسل  
عن باطنه آثار  
الكدورة الحادثة في  
أوقات النهار من رؤية  
الخلق ومخالطتهم وسماع  
كلامهم فإن ذلك كله  
له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله للنة فيه لالك قفري ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يغتم لك بالسوء ويغتم له بالحسنى حتى يشعلك الخوف عن التكبر عليه . فإن قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تنضب لمولوك وسيدك إذ أمرك أن تنضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحقيقة ، وأعرفك ذلك بمثال تعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على للغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هوقرة عنه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويضرب عليه فإن كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بأمثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأمهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاه إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما للفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية التروير فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (١) إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فإن قال العابد : ذلك لعامل بملء وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يحز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فإن قلت : فإن صح هذا فينبى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق للذنب واحد كان يحبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقتته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خاتما فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتما على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبى أن يكون الطالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك بمنتهى من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب  
كدر في القلب يدركه  
من يرزق صفاء القلب  
فيكون أثر النظر إلى  
الحلق للبصيرة كالنذير  
في العين للبصر  
وبالمواصلة بين  
العشاء ينرجى ذهاب  
ذلك الأثر . ومن ذلك  
ترك الحديث بعد  
العشاء الآخرة فإن  
الحديث في ذلك الوقت  
يذهب طراوة النور  
الحادث في القلب من  
مواصلة العشاءين  
ويقيد عن قيام الليل  
سبا إذا كان عريا  
عن بقطة القلب ، ثم  
تجديد الوضوء بعد  
العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محفوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيما هو ممكن لتترك بل فيما هو مخوف في حقك فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تسمة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتبني أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهرا فذلك شر لي فلا يأمّن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال لحينئذ كل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته لما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عبدا أدى إلى جيل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأثاء فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيصدق يعضه ويظم عياله يعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كالنفرخ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي يوجهك فأثاء فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى خبرا عنهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فحق رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والظن بهم بصين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فنهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .  
حتى لي يسن الفقراء  
عن شيخ له بخراسان  
أنه كان يفتسل في الليل  
ثلاث مرات مرة بعد  
العشاء الآخرة ومرة  
في أثناء الليل بعد  
الانتباه من النوم  
ومرة قبل الصبح  
فللوضوء والغسل بعد  
العشاء الآخرة أثر  
ظاهر في تيسير قيام  
الليل ومن ذلك التعود  
على الذكر أو القيام  
بالصلاة حتى يثقل  
النوم فان التعود على  
ذلك يسين على سرعة  
الانتباه إلا أن يكون  
واقفا من نفسه وعادته  
فيتعمل للنوم



لا غير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمّر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسبت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال التواضع في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة : الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قبوله والافتقار له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعميقه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبراً دفيناً فليتيق الله فيه ويستغل بعلاجه ، أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خمسة نفسه وخطاياه وأنه الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما قل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالجور ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما نهيتي له فالحكمة صالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطالب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يشغل عليه في الخلوة ويثقل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة واللأ جميعاً ففقيه الكبر والرياء جميعاً ولا ينفعه التخلص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعاً مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويغشى خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله فذلك بزايه الكبر وهم باللبشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بينهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويسير إلى السوق في حاجة الرقء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ففور النفس عنها ليس إلا خبث في الباطن فليستغل بازائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقائه من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان ثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يشغل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله المهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كُتِبَ عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - ويروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبتك ما بكيتك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكرك ذلك فلم يقع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برى من الكبر (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بدلة فإن ثور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بإفظ من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقته للمهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للريدين والطالين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم العرق وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستمرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابعي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سنن قليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أنوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فلا يختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك المرض لا يدأويه.

### ( بيان غاية الرياضة في خلق التواضع )

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يعيل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يعيل إلى النقصان يسمى تجانساً ومثله، والوسطية تواضعاً. والمحمود أن تواضع في غير مثله ومن غير تجانس فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطها من يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والله إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تجانس وتذل، وهذا أيضاً غير محمود بل الممود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع على هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق فيالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسمي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فاذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب التخلق والتجاسس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس للؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التخلق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخرة، والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه.

### ( بيان ذم العجب وآفاته )

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم نحين إذ أعجبكم كثرتمكم فلم تقن عنكم شيئاً - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بزيادة فيه وفي إسناده القاسم اليعمرى ضعيف جداً.

(٢) «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تجافى جنوبهم عن الضاجع - لأن المهم بقيام الليل وسدق العزيمة يجعل بين الجنب والضجع نبواً أو تجافياً وقد قيل للنفس نظران: نظراً إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظراً إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن الضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوا هاهنا حظها من النفس.

يجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم  
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال لأن ثعلبة حيث ذكر آخر  
 هذه الأمة ، فقال « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك (٢) » .  
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسمي  
 والطلب والجهد والتشمر والقنوط لا يسمى ولا بطلب والعجب يستند أنه قد سعد وقد ظفر بمראה فلا يسمى  
 فالموجود لا يطلب والخال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد  
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت  
 خيراً فلا تقل حملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكان أنه أعجبه فضله  
 العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح ففارس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترق مسلماً  
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان  
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن آيت  
 نأماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن آيت قائماً وأصبح مصعباً . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا  
 لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور  
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة قلوها طبعته على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلقه ينظر  
 قطن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنيك ما رأيت مني فان إبليس لعنه الله قد عبد الله  
 تعالى مع اللانكسة مدة طويلة ثم صار إلى ماضار إليه . وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل  
 مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى - والبن نتيجة استعظام  
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جداً .

### ( بيان آفة العجب )

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب  
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى  
 نسيان الذنوب وإهمالها فيحضر ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فيكدها هو ما  
 يتذكر منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات  
 والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويعين على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتسكين منها ثم  
 إذا أعجب بها عسى عن آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً فان الأعمال الظاهرة  
 إذا لم تكن خالصة توبة عن الشوائب فلما تنفع وإنما يتفقد من يخلب عليه الإشفاق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً  
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث  
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس  
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة سلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذنبوا لخشيت  
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب البرزاري وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث  
 أنس وفيه سلام بن أبي الصفاء قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه  
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً .

بما فيها مركز من  
 الترابية والجدية ترسب  
 وتستخلص وتستل  
 النوم . قال الله تعالى  
 - هو الذي خلقكم من  
 تراب - ولأدعى بكل  
 أصل من أصول خلقه  
 طبيعة لازمة له .  
 والرسوب صفة التراب  
 والسكل والتقاعد  
 والتأوم بسبب ذلك  
 طبيعة في الانسان ،  
 فأرباب الهمة أهل العلم  
 الذين حكم الله تعالى لهم  
 بالعلم في قوله تعالى - آمن  
 هو قانت آناه الليل  
 ساجداً وقائماً - حتى  
 قال - قل هل يستوى  
 الذين يعلمون والذين  
 لا يعلمون - حكم لهم لواء  
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يفتر بنفسه ورأيه ويأمن مكر الله وغذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه وبخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني أو دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثني برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بهداه الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من اللهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

( بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما )

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره . جالتان : أحدهما أن يكون خائفا على زواله ومتشقا على نكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فإذا العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما يجري على الفاسق حتى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعن عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تدل بعملك وفي الخبر « إن صلاة للدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خبر من أن تبكي وأنت مدل بعملك » (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها يباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

( بيان علاج العجب على الجملة )

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار المبدأ كالعبادة والصدقة والقرى وسياحة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب به من حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة للدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع عليهم  
أزعموا النفوس عن  
مقار طبيعتها ورقوها  
بالنظر إلى اللذات  
الروحانية إلى ذرا  
حقيقتها فتجافت  
جنوبهم عن الضائع  
وخرجوا من صفة  
القل الهاجع . ومن  
ذلك أن يغيب العادة  
فإن كان ذا وسادة  
يترك الوسادة وإن  
كان ذا وطاء يترك  
الوطاء وقد كان بعضهم  
يقول لأن أرى في بيتي  
شيطانا أحب إلى من  
أن أرى وسادة فاتها  
تدعوني إلى النوم  
ولتفسير العادة في  
الوسادة والغطاء

فهو محله وعجراه آمن حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله وعجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن الجهل مسخر وعجري لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة بدلى بها فينبغي أن يكون إعجابه بحجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي أن يتعجب النعم عليه من فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفتن في صفة من الصفات المهمة الباطنة لم اتقضى الاثار بالحكمة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأنى صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لانفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك للتفرد باختراع الجميع التفرد بإيجاد الموصوف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وقتي للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداءك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بمجوده إذ أنهم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامع لعجب المابد بعبادته وهب العالم بعمه وهب الجليل بجماله وهب الثنى بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والهل أيضا من فضله وجوده . فان قلت لا يمكن أن أجعل أعمالى وأنا عملتها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال منى وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فأعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رعى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إِبصار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تتفنى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجيه في الخلق شيئا بعد شيء . هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غاظت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله شيئا تحريره في كتاب الشكر فانه أليق به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مساهة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير في ذلك  
ومن ترك شيئا من  
ذلك والله عالم بنيته  
وعزيمته يشبه على ذلك  
بتيسير مرام ومن ذلك  
خفة للعدة من الطعام  
ثم تناول ما يأكل من  
الطعام إذا اقترن بذكر  
الله وبقظة الباطن  
أعان على قيام الليل  
لأن بالذكر يذهب  
داؤه فان وجد للطعام  
تقلا على للعدة فينبغي  
أن يعلم أن تقله على  
القلب أكثر فلا ينام  
حق يذيب الطعام  
بالذكر والتسلاوة  
والاستغفار قال بعضهم  
لأن أقص من عشائى  
لقمة أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لامنك فان كان العمل بالقدرة فالتدرة مفتاحه وهذا للفتح يد الله ومهما لم يسطك للفتح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لا محالة أرايت لورايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أفسست لم يكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قرية وإنما الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهمة خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرفت العوائق وتيسر الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وقضه وكرمه في إثارة إياك على الفاسق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفاسق وصرفها عنك وسلط أصدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فكل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واسطفاك بغضه وأبعد العاصي وأنتاه بعده لا أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تنصرف قدرتك إلى التدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجديلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبب ماستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتي قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو العاقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المبرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والفن وحرمتني منها فها لا جتمتها إلى أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قراء ما قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الفنى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وقورك لا تمتع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتمتع من ذلك والراءة الحسنة الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميعة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة وبغصص مثل ذلك القبح ولا تدري المفرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الفنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكميم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيني الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تغلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وبزال ذلك بالعلم الحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بنى العجب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم ليلة والأحوط  
أن يوتر قبل النوم  
فانه لا يدري ماذا يحدث  
ويستظهره وسواكه  
عنده ولا يدخل النوم  
إلا وهو على الطهارة  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا نام  
العبد وهو على الطهارة  
عرج بروحه إلى العرش  
فكانت رؤياه صادقة  
وإن لم ينم على الطهارة  
قصرت روحه عن  
البلوغ فتكون المنامات  
أضغاث أحلام  
لا تصدق » والريد  
للتأهل إذا نام في  
الفراش مع الزوجة  
ينتفض وضوءه باللمس  
ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والدم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك إبراهيم وإسماعيل ويعقوب فقال إني ابتليهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء أبتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا أخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بأمرأة فاحذر نفسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما اسكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلموا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي فتودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكاكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الانجذاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفاسق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يحرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

( يان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه )

اعلم أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كمجبه بالرأى الخطأ الذي يزين له بجعله فإبه العجب ثمانية أقسام : الأول أن يعجب ببدنه في جماله وهيبته ومجته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فإلتفت إلى جمال نفسه وبندى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في التكبر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنت في القبور حتى استقدرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة البيهقي في دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولا بين مردويه في تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل قهروا ، فيه الفرح بن فضالة ضعفه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التلذذ النفس باللس ولا يهدم يقظة القلب فأما إذا استرسل في التلذذ وغفل فتعجب الروح أيضا لمكان صلاته ومن الطهارة التي تشر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتزهد عن أنجاس القلب والحقن والحسد وقد ورد « من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما أجترم » وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم - من أشدّ منّا قوة - وكما اتّكل عوج على قوته وأعجب بها فافتلح جيلا يطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتبّ الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقره هذصف للنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد (١) وكذلك قول داود عليه السلام إن ابتليتني صبرت وكان إعجابي منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر وبورث العجب بالقوة المحجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة واللبادة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حصى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأذى آفة يسلبها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والنظن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا ونعمته الاستبداد بالرأى وترك الشورى واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليست قصر عقله وعلمه أنه ما أوفى من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفة الناس أكثر مما عرفة فكيف يعلم معرفة الناس من علم الله تعالى وأن بينهم عقله وينظر إلى الحق كيف يعجبون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يداهنه يقنى عليه فيزيده عجاوه ولا يظن بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزداد به عجا. الرابع : العجب بالنسب الشريف كمعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجر بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساوهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - أي لانفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف بالقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من أكرس الناس لم يقل من ينسب إلي نسبى ولكن قال أكرمهم أكثرهم للوثة ذكر أو أشدهم لاستعدادا (٢) وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا الصبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب (٣) »

الروح المحفوظ في النوم وانتقشت فيه هجائب النيب وغرائب الأنبياء ففي الصديقين من يكون في منامه مكالة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويسرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والهي كالأمر والنهي الظاهر يهي الله تعالى إن أدخل بهما بل تكون هذه الأوامر أكاد وأعظم وقمالات المخالفات الظاهرة تمحوها النسبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكرمهم للوثة ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر لوثة آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .



وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم <sup>(١)</sup> » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمالكم لا تنفعكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئا <sup>(٢)</sup> » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله « هما اتسوا إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق » فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لا أغني عنكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها بيلالها <sup>(٣)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب <sup>(٤)</sup> » فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والذئب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يبقى الله أن يضرب عليه فانه إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب اللقت فلا يؤذن في الشفاعته وإلى ما يفي عنه بسبب الشفاعته كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعته فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجي منه الشفاعته وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن أَرْضَى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعته عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تنفعهم شفاعتنا الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لاحتمال ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعته لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن اللعنة ولما كان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكفل لقاتلها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكفل لقاتلها في الآخرة فلا تنهاك في الذنوب وترك التقوى ابتكالا على رجاء الشفاعته بضاهي إثمها للريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأبناء والصالحاء للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتحنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والحنوع قلوبهم .

(١) حديث يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يا معشر بني هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للشفاعة وصفية ألا إن لكم رحما سأبلها بيلالها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها بيلالها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلامه ضعيف جدا .

فما بينه وبين الله تعالى  
فاذا أحل بها يغنى  
أن ينقطع عليه طريق  
الإرادة ويكون في  
ذلك الرجوع عن الله  
واستيجاب مقام اللقت  
فان ابتلى البدني بعض  
الأحايين بكسل وفور  
عزيمة يمنع من تجديد  
الطهارة عند النوم بعد  
الحدث بمسح أعضاءه  
بالماء مسحا حتى يخرج  
بهذا القدر عن زمرة  
العافلين حيث تقاعد  
عن فعل التيقظين  
وهكذا إذا كسل عن  
القيام عقيب الانقباض  
يجتهد أن يستاك  
ويعمس أعضاءه بالماء  
مسحا حتى يخرج في

فكيف يعجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في محازيرهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المقتوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانتهم وأقذارهم لاستكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الحياء بهم والملائكة آخذون بنواصيرهم يحرقونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والحزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم فخلع محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحشم والفلان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد محزنة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . - كم من قلة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يثنون عنه شيئا وهو في أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تشكل على من لا ينفكك ، وتنسى نعم من يملك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يبدو إليك فقره (١) » وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال غاد ورائع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بيننا رجل يتبختر في حلة قد أهجته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال أرفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يغلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضع في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الحزى والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تغلبته وانتباهاته عن زمرة المنافقين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كاللحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالبيت للسجى ويقول بأمك اللهم وضمت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاعف عني لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أهجته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أني در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان في صحيحه .

يخسرون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لمحبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استعسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولوعرفه تركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصفى إلى العارف وينهجه قد سلب الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون منهما لرأيه أبدا لا يفتربه إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بمرحلة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومداينة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يهوض في المذاهب ولا يصفى إليها ولا يسمعها ولكن يستند أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقرير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتمل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر الطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء للؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونموذبه من الاغترار بخيالات الجهال .

ثم كتبت ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### (كتاب ذم الغرور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يده مقاليد الأمور ، وبقدوته مفاتيح الخبرات والشعور ، مخرج أوليائهم من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائهم ورطبات الغرور ، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تهرم الحياة الدنيا ولم يهرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] لفتح السعادة التيقظ والنظرة ومنبع الشقاوة الغرور والفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والعرفة ولا وسيلة إليه سوى انتراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من التكسر والعصية ، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فلا كياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الاعجاب بالرأي هو حديث أبي ثعلبة التميمي فاذا رأيت شعا مطاما وهوى متبا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بحماسة نفسك وهو عند أبي داود والترمذي .

(كتاب ذم الغرور)

تحفظ به عبادك الصالحين  
اللهم إني أسألك  
إليك وجهي وجهي  
إليك وفوضت أمري  
إليك وألجأت ظهري  
إليك رهبة منك ورغبة  
إليك لا ملجأ ولا منجى  
منك إلا إليك آمنت  
بكتابتك التي أنزلت  
ونبيك الذي أرسلت  
اللهم قتي عذابك يوم  
تبعث عبادك الحمد لله  
الذي حكم قهر الحمد  
فه الذي بطن غير  
الحمد لله الذي ملك  
تقدر الحمد لله الذي  
هو يحيي الموتى وهو  
على كل شيء قدير اللهم  
إني أعوذ بك من  
غضبك وسوء عقابك

فلوهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وانفتحت قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا ليس له نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى وانفتحت قلوبهم ليعلموا أن الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومخاريجه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره الريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبقي على الحزم والبصيرة أمره ونهيه فشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف الغرور من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور، الجلية ظواهرها القبيحة سرورها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وعفلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق الغرورين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الآمال والوهم من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى النكر معروفا كالذي يتخذ للمسجد ويخزفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجلال ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالنافلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح محارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني - الآية. كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون سهر الحق واجتهادهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من الغريرين» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (٢) وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الإنسان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يخرقه فمهما كان الجهل معتقدا شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومغيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا يسمى الجهل الحاصل به غرور فافترور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بحوذه وفيه اقتلاع وفي بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه وقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن في خلق السموات والأرض وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقال ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمؤذنين، وينفثهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضم إلى ما قرأ عشرًا من أول الكهف وعشرًا من آخرها فحسن ويقول اللهم

الحير وهم غطشون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والفاسق فنورد لهم أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرته الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبة والدنيا تعدو الآخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا بين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقبيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدفوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في أن حضور للكتب خير من حضور للملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان : أحدهما أن الدنيا تعد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخرة قوله إن النقد خير من النسبة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبة في المقدار والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر الغرور يذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسبة فلا آركه وإذا حذر الطيب الفواكه ولذات الأطمعة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويعبون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والريح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب للنسبة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسبة فهذا غرور منتهى قبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويحتجهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأورثناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله لئن صلى الله عليه وسلم أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل أمنت بما جئت به ولطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أبغضني في أحب الساعات  
إليك واستعملني  
بأحب الأعمال إليك  
التي تقريني إليك زلي  
وتبعدني من سخطك  
بعدا أصالك فخطي  
وأستغفر لك فخطي  
وأدعوك فتسجيب لي  
اللهم لا تؤمنني مكرك  
ولا تولني غيرك ولا  
ترفع عني شرك ولا  
تنسئ ذكرك ولا تجعني  
من الغافلين . ورد  
أن من قال هذه  
الكلمات بمش الله  
تعالى إليه ثلاثة  
أعمال يوقفونه للصلاة  
فان صلى ودعا أمواطي  
دعائه وإن لم يتم تعبدت  
الأملاك في الهواء وكتب

وأريد به خاص ففعل به الغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسبثة أراد به خير امن  
نسبثة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك  
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا  
كان مثله والافالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتهداه على يقين وفي إدراكه كرتبة  
العلم على شك والصيد في ترده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء  
بالانفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجهز بقيت جائعا وعظم ضرري وإن  
أجهزت كان تعبي قليلا ورجحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكره وهو من الشفاء  
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من  
المرض وللوت فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو  
منتهى العمر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قبل فيه كذبا لم يفوتني إلا التمتع أيام  
حياتي وقد كنت في العدم من الأول إلى الآن لا أتم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قبل صدقا  
فأبقى في النار أبدا الأباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض اللحدين إن كان ما قبله  
حقا فقد غلصت وغلصنا وإن كان ما قبلنا حقا فقد غلصنا وهلكنا وما قال هذا عن شك منه في الآخرة  
ولكن كلم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من  
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان : أحدهما الإيمان  
والتصديق تقليدا للأنبياء والعلما وذلك أيضا بزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص  
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه  
النبت الفلاني فانه مطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل  
يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو علم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم  
أكثر منه عددا وأعز منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لاعلم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستقد  
كذبهم بقوله ولا يفتقر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا فكذلك  
من نظر إلى القرين بالآخرة والمخيرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها  
وجدم خبر خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلما  
واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم  
إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجدوا والآخرة وكذبوا  
الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك  
قول هذا الفنى الذى استترقه الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلما وهذا القدر  
من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به . وأما المدرك  
الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والألهم للأولياء ولا نطقن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر  
الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه  
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة  
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها  
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبر بالظاهر فيخبرون عن مشاهدة لاعن  
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من  
أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم  
ويسبح ويحمد ويكبر  
كل واحد ثلاثا وثلاثين  
ويتم المائة بلا إله إلا  
الله والله أكبر ولا حول  
ولا قوة إلا بالله العلى  
المظيم .

[ الباب السابع  
والأربعون في أدب  
الانتباه من النوم  
والعمل بالليل ]

إذا فرغ المؤمن من أذان  
المغرب صلى ركعتين  
خفيفتين بين الأذان  
والإقامة وكان العلما  
يصلون هاتين الركعتين  
في البيت يجعلون بهما  
قبل الخروج إلى الجماعة  
كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزوع عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي حطت عن الجنة التي هي ألبق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وخينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كاسها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم تزلزل استحقاق روائعها العارفون وتشمز من صمغ أظفارها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الخفافيش وانفتح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكسوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إماميين تقليدي وإماما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا السموات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من الغرورين فانهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد الله في جميع كتاب الله تعالى بمنوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لا أيضا مغرورون أعنى اللطمشين إلى الدنيا الفرحين بهم المترفين بتعبيها المحيين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة إلهامه فهم ذامثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولتذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فشاله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان الله من معاد فنحن أحق به من غيرنا وعن أوفر حفاظه وأسمد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيامة قبلها - وجملة أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منها بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخبثا بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظنه للؤمن ويقول اشتريت قصرا يبنى ويحرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يبنى واشتريت بستانا يحرب ويغنى ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يبنى وخبثا بألف دينار ولا يعوتون وزوجة من الحور العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

سنة مرتبة فيقتدى  
بهم نظامهم أنهما سنة  
وإذا صلى المغرب صلى  
ركعتي السنة بعد المغرب  
يعجل بهما فانها  
يرفان مع الفريضة  
يقرأ فيهما بقل يا أيها  
الكافرون وقل هو الله  
أحد ثم يسلم على ملائكة  
الليل والكرام  
الكاتبين فيقول مرحبا  
بملائكة الليل مرحبا  
بالمسكين الكرمين  
الكاتبين اكتبوا في  
صحيفتي أني أشهد أن  
لا إله إلا الله وأشهد أن  
محمد رسول الله وأشهد  
أن الجنة حق والنار  
حق والحوض حق

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأولينّ مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سوري عن خباب ابن الأرت أنه قال وكان لي طي العاص بن وائل دين جفت أنقاض فلم يقض لي قتلتي إلى آخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأولينّ مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى - وهذا كله من الفرور بالله . وسيله قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى      كذلك يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولائي كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل محسن محب لابل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران ينفض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه الكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملأه الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي ينفضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الفرور وهكذا انعم الله علينا ولذاتنا فأنها مملكات ومبعدات من الله فإن الله يحرم عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحرم أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والفرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرام ولا هذا بهوان ولكن الكريم من أكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهنته بمصيق غنيا كان أو فقيرا وهذا الفرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يحرف وجه كون الالتفات

والشفاعة      حقيق  
والصراط      ولليراز  
حق ، وأشهد أن  
الساعة آتية لا ريب  
فيها وأن الله يبعث من  
في القبور اللهم أودعك  
هذه الشهادة ليوم  
حاجتي إليها . اللهم  
احفظ بها وزري  
واغفرها ذنبي وتقل  
بها ميزاني وأوجب لي  
بها أمانتي وتجاوز عني  
يا أرحم الراحمين فإن  
واصل بين المشاءين  
في مسجد جماعته  
يكون جامعا بين  
الاعتكاف ومواصلة  
العشاءين وإن رأى  
انصرافه إلى منزله وأن  
للمواصلة بين العشاءين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي طي العاص بن وائل دين جفت أنقاض الحديث في نزول قوله تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحرم عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .



إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ماتقدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما نلهم ليزدادوا إنما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آتاه به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتقر بأمثال هذه الحيلالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل نحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله لاهل الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز للعبد الماهل أن يستدل بأهال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يعيل بالقاب إلى ما يوافق وهو التصديق بدلالته على السكرامة وهذا هو حد الغرور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإننا نرجو عفوه وانكالمهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تخمين واعتذارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته عاملة وكرمه عظيم وأبى معاصي العباد في بهار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبهم كاعتزاز العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاعتزاز بالله تعالى بقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى الغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الغرقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يأنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لمرقة لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اعتزاز بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطيب ويغض العاصي فكما أنه لا يغض الأب للطيب يغضه للأولاد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أطمأنت لدينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم فليفعلا . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بعلاغة النهار وتذهب آخره » ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين والحمد لله

بحبه للأب للطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لاتزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى آية كمن ظن أنه يشبع بأكل آية ويروى شرب آية ويصير طالما بتعلم آية ويصل إلى السكبة ويراه يمشى آية فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرء من أخيه وأمه وآية - إلا طى سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب - فان قلت فأين الخلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا رجور رحمة ومغفرة وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب. فاعلم أن الشيطان لا يغوى الانسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١) » وهذا هو الحق على الله تعالى غير الشيطان اسمه فهما رجاء حق خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في نبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعنى أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو ان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يبنى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأوان وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وزعم أن للاستأجر كريم أفترأ العقلاء في انتظاره متعنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والفرقة قبل المحسن قوم يقولون نرجوا الله ونضعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يرجعون فيها من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه. وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل إننا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطىء وأزله بقي مترددا فى الولد يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشبهه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويعمر قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يجبل إلى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم للفرورون باق - وسوف يطون حين يرون العذاب من أضل سبيلا - . ولتعلن نبأه بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون - أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقوع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بعمارة وبث بذر فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك - وأن ليس للانسان إلا ما سمى وأن سعيه سوف يرى - . كما ألقى فيها قوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أى ألم نسلمكم سنة الله فى عباده وأنه - توفى كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذى عرکم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير - .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفى الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وقرأ فى الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ نسيئا من حربه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاحة ولو واصل بين الشاميين بركتين يطيلهما لحسن وفى هاتين الركعتين يطيل القيام

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المأمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق الماصي  
 للنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب  
 عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يغفر الذنوب جميعا - وإن الله كريم يقبل  
 التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تسكف الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على  
 أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم -  
 أمرهم بالإنباء وقال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع المغفرة  
 مع التوبة فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو  
 في السوق فخطره أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرى الجمعة فأقيم على موضعك فكذب  
 الشيطان ومرة يدعو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير  
 الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أولسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور .  
 الثاني أن تغتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده  
 الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح  
 المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها  
 خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للناس من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط الدافع من النشاط  
 والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في  
 العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان  
 مالك ولا يذنب نفسك وتذنبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو  
 غرّة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الحوافر فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول  
 إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلده السكبار في النار أبدا لا يآب  
 مع أنه لم يضره كفرهم بل سلب العذاب والمحن والأمراض والمطل والفقر والجوع على جملة من عباده  
 في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه مستته في عباده وقد خوفه عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به  
 فالخوف والرجاء قائمان وسائقان يبعثان الناس على العمل فلا يبعث على العمل فهو غرور وغرور رجاء  
 كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإقبالهم على  
 الآخرة فذلك غرور فقد أخبر عليه السلام وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١)  
 وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات  
 ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أتهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار  
 في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات  
 وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهما كهم  
 في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقوا بكرم الله تعالى وفضلهم راجعون لغفره ومغفرته  
 كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان  
 هذا الأمر يدرك بالمعنى ويتألم بالمعنى فسلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق  
 هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيارواه معقل بن يسار  
 «يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم الكبير والعجب وهو حديث  
 أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزبه  
 أو مكررا آية فيه الدعاء  
 والتلاوة مثل أن يقرأ  
 مكررا - ربنا عليك  
 توكلنا وإليك أنبتنا  
 وإليك المصير - أو آية  
 أخرى في معناها  
 فيكون جامعا بين  
 التلاوة والصلاة والدعاء  
 ففي ذلك جمع اللهم  
 وظفر بالفضل ثم صلى  
 قبل الدعاء أربعا  
 وبعدها ركعتين ثم  
 ينصرف إلى منزله  
 أو موضع خلوته فيصلى  
 أربعا أخرى وقد كان  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يصلى في بيته أول  
 ما يدخل قبل أن يجلس  
 أربعا ويقرأ في هذه

بطعما لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال ينفري<sup>(١)</sup> فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخوينات القرآن ومعانيه وبمثل أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أى هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعبدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما يوترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بمعانيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة التورر بالله وبيان الفرق بين الرجاء والتورر ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصى إلا أن معاصيهم أكثر دم يتوقنون للفترة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قترى الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بشجرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يفتاب المسلمين ويمزق أعراسهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدذ ويكون نظره إلى عدد سبعته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسيحات والتهميلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة الغنائين والسكذابين والفسامين والمتناقضين يظهرون من الكلام ما لا يضررونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض التورر ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هديانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى قراته كان يده ويحسبه ويوازنه بتسيحاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخها فيا همما لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفا على قيراط يفوته فى الأجرة على النسخ ولا يهتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفعا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى المبرورين فاهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والتورر على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يختره اسكالا على أباطيل النى وتعالى الشيطان والهوى والله أعلم .

( بيان أصناف المفسرين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف )

الصنف الأول : أهل العلم والمفردون منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى وإلزامها الطاعات واغترتوا بعلمهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

الأربع سورة لقمان  
ويس وحم الدخان  
وتبارك الملك وإن أراد  
أن يخفف فيقرأ فيها  
آية الكرسي وآمن  
الرسول وأول سورة  
الحديد وآخر سورة  
الحشر وصلى بعد  
الأربع إحدى عشرة  
ركعة يقرأ فيها ثلثمائة  
آية من القرآن من  
- والسماء والطارق - إلى  
آخر القرآن ثلثمائة آية  
هكذا ذكر الشيخ  
أبو طالب المكي رحمه  
الله وإن أراد قرأ هذا  
القدر فى أقل من هذا  
العدد من الركعات  
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يظالمهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فاتهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام وسعرفة أخلاق النفس اللذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمرريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يشغ ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتياج وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق اللذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق الحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أفلح من زكاه - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية زكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يعرفك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان السكين معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهو ما فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيدساقية قول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيف ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (١) وقال أيضا « يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى » (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام « شر الناس العلماء السوء » (٣) وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يهتد مرة ولو شاء الله لمعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » (٤) فهذا أوامره بما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بدم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتناؤه أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده وضروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو أنه وشككه وطولاه وعرضه وعادته ومجملته

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالانقياد للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حيث شد أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتعبد يصلي ركعة يشفع بها وزه ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أوّل

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

ولم يعرف ما يحبه وبكره وما يفض عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس  
 جميع ما يفض به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على  
 الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلخفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه  
 متوسلا إليه بعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته  
 فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك  
 أقرب إلى نيله المراد من قربيه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه  
 لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسماء دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه واتقاء فلا ينصور  
 أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كخفاف  
 السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فمن عرف  
 الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا  
 مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراء عليه جزع  
 ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال  
 ابن مسعود كفى بحشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب فقيله  
 إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال  
 مرة الفقيه لا يدارى ولا يعارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن  
 الفقيه من قعه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به  
 خيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الغرورين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل  
 فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليحوجها الصفتان للمسومة  
 عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والملاء وإرادة السوء للأقران والنظر والطلب  
 الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرج عنها ولا  
 يلتفت إلى قوله عليه السلام «أدنى الرياء شرك» (١) وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال  
 ذرة من كبر» (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كاتنا كل النار الحطب» (٣) وإلى  
 قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف والمال يبتتان النفاق كما يثبت الماء البقل» (٤) وإلى غير ذلك  
 من الأخبار التي أو ردتها في جميع ربيع الممالك في الأخلاق الذمومة فهو لا زينو اظواهرهم وأهلوا  
 بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى  
 قلوبكم وأعمالكم» (٥) فتعمدوا الأعمال وما تعمدوا القلوب والقباب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من آتى الله  
 بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نزن أو كقبور الوقي ظاهرها مزين وباطنها  
 جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك  
 ضياقه إلى داره فحصى باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه  
 رجل زرع زراعا فثبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجر  
 رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فثبت لأن مفارص المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن

الليل يصلى بعد الوتر  
 ركعتين جالسا يقرأ  
 فيهما فإذا زلزلت  
 وألهاكم وقيل فعل  
 الركعتين قاعدا بمنزلة  
 الركعة قائما يشفع له  
 الوتر حتى إذا أراد  
 التهجيد يأتي به ويوتر  
 في آخر تهجده ونية  
 هاتين الركعتين نية  
 النفل لا غير ذلك  
 وكثيرا ما رأيت الناس  
 يتفاوضون في كيفية  
 نيتها وإن قرأ في كل  
 ليلة المسبحات وأضاف  
 إليها سورة الأهل  
 فحصر ستا فقد كان  
 العلماء يقرءون هذه  
 السور ويترقبون  
 بركتها فإذا استيقظ

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه  
 مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره  
 (٤) حديث حب الشرف والمال يبتتان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر  
 إلى صوركم الحديث تقدم.

لا يطمح القلب منها لانتم له الطاعات الظاهرة لإلامع الآفات الكثيرة بل هو كمر يض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ماضى ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقتع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلو الظاهر والجرب دائم به يتعجر من المادة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مدمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وإنما يتلى به العوام دون من بلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم إذ ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين وإنى لولبت الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لسمت في أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلى ذلا على الإسلام ونسى الغرور أن عدوه الذي حذر منه مولا هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالقر والمسكنة حتى عوث بن عمرو رضى الله عنه في بذاة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك هم ما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يغليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فأنما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بفساده والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الحول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحسب مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتوعد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات إنما ذلك عند الطمع في الملم فأما أنت ففرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالظمن فيه والكذب عليه لفضل وكذلك قد يتهى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من الملم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيفتر بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم لأن أحسن الأدب عند الاتقاء أن يذهب يباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصديق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام بنام على جهة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون اللوث والقيام إلى الخير فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما هم فانه هكذا يكون عند القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لأملاك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح للمسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تنسرب للماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هنع الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه فنيه بالليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر الماصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحق والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلموا من القلوب منابتها الجليلة القوية ولكمهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس مادي وغمض مدركه فلم يفتنوا لها وأهلوها وإيما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد بنت وقوت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق قراء يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والابراء والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمسك به من إطلاق لسان الطعن في الكافة للقبليين على الدنيا لا عن تنجيع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين الغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز واتقياء وتوقير وحسن ثناء فلو تميرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساء يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراؤه ووظائفه وعساه يستدر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبوقله ممن عرف حقه وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر بتقديمه في الفضل والورع وإيما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراهه وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولعلمهم يستفيدون منه وبرضون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فبحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للذنوب ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وهى مثل ذلك الثواب في إيثاره المحول

كان همه الله فهمه هو  
ولإفهمه غير الله  
والعبد إذا انتبه من  
النوم فباطنه عائد  
إلى طهارة الفطرة  
فلا يدع الباطن يتغير  
بغير ذكر الله تعالى  
حق لا يذهب عنه  
نور الفطرة الذي  
انتبه عليه ويكون  
قائرا إلى ربه يباطنه  
خوفا من ذكر الأغيار  
ومسما وفي الباطن  
بهذا للعباد قد اتقى  
طريق الأنوار وطرق  
النفحات الإلهية  
فجدبر أن تنصب إليه  
أقسام الليل انصبابا  
ويصير جناب القرب له  
موتلا ومآبا ويقول



والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا اختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائل وغسائه يصنف ويجهل فيه ظانا أنه يجمع علم الله ليتنفع به وإنما يريد به استنارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى للصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يغلو من الثناء على نفسه إما صريحا بالدعوى الطولية العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غيبة عن الظن فيه ، ولعله يعكس من الكلام للزيف ما يزيد تزييفه فيعزبه إلى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزبه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يفهمه أدنى تفسير كالذي يسرق قريبا فيتخذ قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجهل في تزيين ألفاظه وتسجيعة وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الزكاة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى تقع الناس وعسايا غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافا وإني لأقبل من ثقافك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفائهم فلو افرقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا افرقوا واشتغلوا بالأفادة تعابروا وتهاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أضع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالظن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول وإنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لعينة السليين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يتزأ عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوء ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بهد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الفرور الزكي لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوذ بآفة من الغفلة والاعتثار ومن المعرفة بخفايا الميوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصلوا العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوا من العلوم بحالهم همهم وتركوا المهم وهم به مقترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاعتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفناوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وصموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن التقية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الشئ إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهو لا مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاله

باللسان المدقة الذي  
أحيانا بعد ما أمانا  
وإليه النشور ويقرأ  
العشر الأواخر من  
سورة آل عمران ثم  
يقصد الماء الطهور  
قال الله تعالى - ويؤزل  
عليكم من السماء ماء  
ليطهركم به - وقال  
عز وجل - أنزل من  
السماء ماء فسال  
أودية بقدرها - قال  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما الماء  
القرآن والأودية  
القلوب فسالت  
بقدرها واحتملت  
ما وسدت والماء مطهر  
والقرآن مطهر والقرآن  
بالتطهير أجدر فالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليله لأجل مثاله مثال من به علة البواسير  
والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واسأله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة بتكرار  
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة  
لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المنفعة للسكين قد يسقط عليه حب الدنيا واتباع  
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتلافي  
فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات  
والديات والدعاوى والبيّنات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا  
احتاج غيره كان في الفتنة كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة وللأسلوق قد  
دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال  
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد  
بالفقه وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه  
فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم حيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم  
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم ثقلة  
أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بأدراك جلاله  
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهبة والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا آمنا من الله فغتر به  
متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك  
العلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك  
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشمر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى  
- فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -  
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشرط المعاملات وحفظ  
الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله وآله والبدن مكره وإنما العلم المهم هو  
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى  
وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فثاله في الاقتصاد على علم الفقه مثال من اقتصر من  
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن يقتصر عليه  
ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم  
الفقه على الخلافات ولم يهتم إلا بتعلم طريق المجادلة والإلزام وإخغام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة  
فهو طول الليل والنهار في التفقيش عن مناقضات أرباب المذاهب والمنفعة لم يوب الأقران والتلقف لأنواع  
التبسيات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم  
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو  
الصفات المذمومة وتبديلها بالحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق  
عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين  
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق  
الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتغل عليها علم المذهب وهو كتاب الله  
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من السكروا القلب وفساد الوضع  
والتركيب والتدعية فانما أبدعت لإظهار الغلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فزور هؤلاء أعد

يقوم غيره مقامه  
والقرآن والعلم لا يقوم  
غيرهما مقامهما ولا يسد  
مسددهما فالعلم الطهور  
يطهر الظاهر والعلم  
والقرآن يطهران  
الباطن ويذهبان  
رجز الشيطان فالنوم  
غفلة وهو من آثار  
الطبع وجدير أن  
يكون من رجز  
الشيطان لما فيه من  
النفقة عن الله تعالى  
وذلك أن الله تعالى أمر  
بقبض القبضة من  
التراب من وجه  
الأرض فكانت القبضة  
جهة الأرض والجلدة  
ظاهرها بشرة وباطنها  
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على  
الخالقين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة  
أولئك وإحاطهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لبعدهم إلا بإيمان ولا يصح إيمان  
إلا بأن تعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم  
يستقد منهم ولم يعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى قصصها ثم هم فرقتان ضالة ومحققة فالضالة هي التي  
تدعو إلى غير السنة والمحققة هي التي تدعو إلى السنة والغرور عامل لجميعهم . أما الضالة فلنقلها عن  
ضلالها وظنها بنفسها النجاء وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم ببعض وإنما أثبت من حيث إنها لم تنهم  
رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل خيبة . وأما الفرقة  
المحققة فأنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت  
أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل  
فليس بمؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطع أعمارها في تعلم الجدل  
والبعث عن القالات وهذيانا للبتدعة ومناقضاتهم وأهموا أنفسهم وقلوبهم حتى سميت عليهم ذنوبهم  
وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه  
لا تذاهه بالغبلة والإحجام وقلة الرياسة وعز الاتِّمَاء إلى الدِّب عن دين الله تعالى سميت بصيرته فلم  
يلتفت إلى القرن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا  
من أهل البدع والهوى لما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد  
قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكّموا فيه إلا لأن حيث رأوا حاجة وتوصوا بما خيل قبول فذكروا  
بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنهم أو بنضوه في  
الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل  
في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد  
هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١)» وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون  
فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حمرة من الغضب فقال: «ألهذا بعثتم أبا هذا أمرتم  
أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتموا» فقد زجرهم  
عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى  
كافة أهل اللل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام لما  
جادلهم إلا بتلاوة القرآن للزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها  
الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق  
الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجحنا  
أهل الأرض وهلكنا لم تنفنا نجاتهم ولو نجحنا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة  
أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضيعوا العمر بتحري مجادلتهم فمأنا  
نضيع العمر ولا نصره إلى ما ينفض في يوم قمرنا وفائقنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في  
تفاصيله ثم نرى أن للبتدع ليس يترك بدعته بمجذاله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته  
فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث  
خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إن خالق البشر من  
طين - فالبشرة والبشر  
عبارة عن ظاهره  
وصورته والأدمة عبارة  
عن باطنه وآدميته  
والأدمية جمع الأخلاق  
المجسدة وكان التراب  
موطن آدم إبلis  
ومن ذلك اكتسب  
ظلمة وصارت تلك  
الظلمة معبونة في طينة  
الآدمي . ومنها الصفات  
للدنوية والأخلاق  
الردية . ومنها الغفلة  
والسهو فإذا استعمل  
الماء وقرأ القرآن آتى  
بالمطهرين جميعا ويذهب  
عنه رجز الشيطان  
وأثر وطائته وبحكم له  
بالعلم والخروج من

والحسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما ينفذه الله تعالى وما يحبه لأنزه عما ينفذه وآتسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم من زعموا أنهم إذا اتكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد الضرر لأنهم يمجون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبجروا في علم الهبة إلا وهم محبوبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهونون ولولا أنه مقرب عند الله ما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالتسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من الفقيرين الضعفين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساعطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التسكين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليعتقديه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار وغرور بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص وينم الصفات للذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لصاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من التردددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن للرجوع في الأخلاق الممودة والنظر عن الذمومة هو العلم بفوائدها وقوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفه وشغل به دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الممودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمق طابت له الخلوة ومضى استوحش من مشاهدة الخلق لابل يرى قلبه يمتلئ بالخلوة إذا أحرق به المريدون وراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقتنعون منها بالتزيق بل يوثق من الله غليظ والمفترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة ينتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كابدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالخبر ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإعسا وقع الضرر لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بجملة ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة

حين الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النور الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء بما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طيعا جالبا للآثم والإثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من القية والكذب وعند الغضب للظهور

فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمته  
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف  
للرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة  
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقه في الوصف  
والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجمل فكذلك العلم بالخوف والحب  
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بمقاتلتها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق  
بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظم منهاج  
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم ، وفرقة أخرى منهم عدلوا  
عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور في بعض  
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطط وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع  
والعقل طلباً للإغراب ، وطائفة شغلوا بطارات النسك وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم  
بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزفات والتواجدولو  
على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا  
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله  
ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا  
لأسباب إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقة إلى قدمه بشدة  
حرصه على الدنيا لما يفسده هذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلاً ويضل خلقاً كثيراً ولا  
يغني وجه كونه مغروراً ، وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم  
يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على اللامر ،  
وبعضهم في الحاربي ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر  
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دوتهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفوراً  
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل  
الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم ، وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم  
الحديث أعنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الثرية العالية فهمة أحدهم أن  
يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد ما ليس  
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كحكمة الأسفار فانهم لا يعرفون العناية إلى فهم معاني  
السنة فليسهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم ، ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها  
لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضاً ولا يعملون به ، ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين  
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بتكثير الأسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .  
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقيمون بشرط السماع فإن السماع بمجرد وإن  
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التزم بعد الإثبات والعمل بعد  
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع  
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب  
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يخل ولا يسمع  
ولا يضي ولا يضبط وربما يشغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صح وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف  
الشیطان في هذه  
الواطن ، ولو أن  
التحفظ السراعي  
المراقب المحاسب كلما  
انطلقت النفس في مباح  
من كلام أو ما كنة  
إلى مخالطة الناس أو  
غير ذلك مما هو بعرضه  
تعمل عقد العزيمة  
كالجوض فيها لا يضي  
قولاً وفلاً عقب ذلك  
بتجديد الوضوء ثبت  
القلب على طهارته  
وزاخرته ولصكان  
الوضوء لصفاء البصيرة  
بنشابة الجفن الذي  
لا يزال بخفة حركته  
مجلو البصر وما يعقلها  
إلا العالمون - تنفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصنى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو خطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا يصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فإذا لم تحفظه لم تستمر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمين فيه من التغير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيراً أو غارقاً حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوتقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والعاقل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع الجنون والصبي في اللمد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق الجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في اللمد لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلمب والعاقل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللمد فليكتب سماع الجنين في البطن فإن فرقا بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعى حوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللمد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها»<sup>(١)</sup> وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أخفى أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يحدوا شيواً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهلاً وقبولاً غافلاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاهلهم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوا ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نبتك عليه تجد  
بركه وآثره ، ولو  
اغتسل عند هسنة  
للتجديدات والموارض  
والانتباه من النوم  
لكان أزيد في تنوير  
قلبه ولكان الأجدر  
أن الصبي يقتل لكل  
فريضة بأذلا مجهوده  
في الاستعداد للمناجاة  
الله ويحسد غسل  
الباطن بصدق الإجابة  
وقد قال الله تعالى  
- منيبين إليه واتقوه  
وأقيموا الصلاة -  
قدم الإجابة للدخول  
في الصلاة ولكن من  
رحمة الله تعالى وحكم  
الحيفية السهلة الصمحة  
أن رفع المرح وعوض

(١) حديث نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانین أصول الفقه فهذا عرور هؤلاء ولو سموهم على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا يعنيه <sup>(١)</sup> » فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترؤا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأقضى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يفتي جميع العمري تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلمة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالضيع له في معرفة لغة الترك والهند وإنما فارتقا لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الفريين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعاق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القدر الذي يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما جمعوها فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر عما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأصل الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى المعرفة وللب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقاعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يستند أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن الممدود منه ليعنه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل  
وجوز أداء مفترضات  
بوضوء واحد دفعا  
للحرج عن عامة الأمة  
وللخواص وأهل  
العزلة مطالبات من  
بواطنهم تحكم عليهم  
بالأولى وتلجئهم إلى  
سلوك طريق الأعلى  
فإذا قام إلى الصلاة وأراد  
استفتاح التمجيد يقول  
الله أكبر كبيرا والحمد لله  
كثيرا وسبحان الله  
بكرة وأصيلا ويقول  
سبحان الله والحمد لله  
الكلمات . عشر مرات  
ويقول الله أكبر  
ذو الملك والملوكوت  
والجبروت والكبرياء  
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيك في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والنزول فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم السكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتاوى بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برعه الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسره إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرى الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاهل طيبة نفس وقد قال تعالى - فإن طعن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الإنسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامه بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتن ضرورة تعاقبه حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق باكرام الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وإنما لم تكره بسبب ظاهر والا كره الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يمتدح الناس وخاف أن لا يعطيه لئلا ورد نفسه بينهما فاختار أهون الأملين وهو أن التسليم فسلمه فلافرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة لإيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يبدل للال فيختار أهون الأملين والسؤال في مظنة الحياء والبراء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مافي القلب وكذلك من يعطى اتفاقا لشر لسانه أو لشر سمعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بدائه في صخرة بيت المقدس فنادى بأوربا فأجابه ليك ياني الله أخرجه من الجنة لماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فيه لي قال قد فعلت ذلك ياني الله فأنصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك ياني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبك لك قال لا أنساني ما ذلك الذنب قال ما هو ياني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر هأن للمرأة فاشطع الجواب ، فقال يا أوربا ألا تهيبين قال ياني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينهيك أن الهبة من خير طيبة قلب لا تخيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختياره حتى تمتنع الدواهي من ذات نفسه لأن يضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها بماله لا سقط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والمبايع سقطت عنه فقد صدق فإن مطمع نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاهل حسنا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد  
أنت نور السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت بهاء السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت قيوم السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت رب السموات  
والأرض ومن فيهن  
ومن عطين أنت الحق  
وملك الحق وقاؤك  
حق والجنة حق والنار  
حق والنيبون حق  
ومحمد عليه السلام حق  
اللهم لك أسلمت وبك  
آمنت وعليك توكلت  
وبك خاسمت وإليك  
حاكمت فاغفر لي ما قدمت  
وما أخرت وما أسررت  
وما أعلنت أنت للقسم



«ثلاث مهلكات شح مطاع» (١) وإتباعه شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والغرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للغرورون لا يميزون بين الأمان والفضول والكسوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة المباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا للأنا فيه مجلدات والفرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل مأمم . فمنهم فرقة : أهلوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريية في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريية بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توسأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيق الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيها له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد المباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويقترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من خارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمل غيره ولا يتفكر فيها سواء ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسرارها وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء عيطانا يقال له الوهسان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت المؤخر لا إله إلا  
أنت اللهم آت نفسي  
تقواها وزكها أنت خير  
من زكها أنت وليها  
ومولاها اللهم اهدني  
لأحسن الأخلاق  
لا يهدي لأحسنها إلا  
أنت واصرف عني سيئها  
لا يصرف عني سيئها إلا  
أنت أسألك مسئلة  
البائس المسكين  
وأدعوك دعاء الفقير  
الذليل فلا تجعلني  
بدعائك رب شقيا  
وكن لي رءوفا رحما  
يا خير السائلين  
ويا أكرم المعطين ثم  
يصلي ركعتين تحية  
الطهارة يقرأ في  
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين وبحكم عليه بنقد العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيهدونه هذا وربما يغمثونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتعظ بأعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكليلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمنه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذبه ويفتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد الحانته بشعر أو كلام آخر لا تلذ به ذلك إلا للتلذذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيهم لا يعفون أنفسهم عن الغيبة وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألستم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويمجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتمرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يعجزون في الطريق من الرقت والجصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقته على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيحصى الله تعالى في كسب الحرام أو لا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذمير الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولوقام بتعهد السجدة غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه ثقل عليه . وفرقة أخرى : جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يظهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتعدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يهاور ويمدعين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسكه لم يسمح نفسه بلمعة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن حمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يحمد الله غفورا رحبا - ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد يقرأ فيها بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتجدد هكذا ثم يصلي ركعتين طويلتين أقصر من الأولين وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمنزل لو ترك المجاورة ولكن حب المصداق وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع الضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وقتعت من اللباس والطعام بالدون ومن السكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والمزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويغش من معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجون نفسه أكثر مما يرجو لهم ويحجب بعمله ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال لثقله في الظاهر وردة في الخيفة لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذئاب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرس لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والليل إلى الريدين له والثنين عليه والفرقة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويغتم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقد تطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيئات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح ثم لا يخلو هذا الغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح الغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخباثات باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب للتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم » (١) وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت ، أو فضلان أحدهما يضيئ وقتها والآخر يتسع وقتها فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن العصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لأقامه به على ما قاربه غيره وتقديم الأهم (١) حديث ما تقرب للتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم ، البخارى من حديث أبي هريرة بانظ ما تقرب إلى عبدى .

يصلى اثنتى عشرة ركعة  
أو ثمان ركعات أو يزيد  
على ذلك فإن في ذلك  
فضلا كثيرا والله أعلم .  
[ الباب الثامن  
والأربعون في تقسيم  
قيام الليل ]  
قال الله تعالى - والذين  
يبيتون لربهم سجدا  
وقياما - وقيل في تفسير  
قوله تعالى - فلا تعلم نفس  
ما أخفى لهم من قرة  
أعين جزاء بما كانوا  
يعملون - كان عملهم  
قيام الليل وقيل في  
تفسير قوله تعالى  
- استعينوا بالصبر  
والصلاة - استعينوا  
بصلاة الليل على مجاهدة  
النفس ومصارعة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم ما يفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا » : من أبر يارسل الله . قال أمك ثم من قل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك (١) » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل يبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميحاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة نفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب توبه النجاسة فيلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية الفموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب الغرور عليهم ولغفرون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والهيئة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وحيثهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمفسكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشائيل والهيئات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيز والقطمير ويعزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة هجوز سميت أن الشجمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان وقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أياتا وتعودت إيراد تلك الأيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شنائهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر لثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحتها وتمتعن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هجوزة ضيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ؟ قتل لها أجنث للاستهزاء بالملك وللإستخفاف بأهل حضرته والتلبس عليهم

وفي الخبر « عليكم قيام الليل فإنه مرضة لتركبكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهارة عن الأثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وعلي بن بكار . وحبيب العجمي . وكهمس ابن التها . وأبو حازم . ومحمد بن المسكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب العسبة .

خذوها فآلقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى القيل فمكذبا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزمى والرفع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في العزوف إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدكم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لو نوا الثياب لثلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم مخزقة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهو هؤلاء أظهر حماقة من كافة المقربين فانهم يتعممون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغب العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرهم . وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسماء والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأوائل والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحاتك يترك حياكنه ويلزمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في المباد إنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه . وفرقة أخرى: وقفت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عمل فلم أتعب نفسي . وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كفوا ما لا يمكن ، وإنما يفتربه من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كفوا قلع مادتهما بحيث يتقادكل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا ييكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أطايط وسواس يخدعهم الشيطان بهالاشتهاءهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدم  
وسبهم بأنسابهم  
الشيخ أبو طالب الكي  
في كتابه قوت القلوب  
فمن عجز عن ذلك  
يستحب له قيام ثلثه أو  
تلك . وأقل الاستحباب  
سدس الليل فيما أن  
ينام ثلث الليل الأول  
ويقوم نصفه وينام  
سدسه الآخر أو ينام  
النصف الأول ويقوم  
تلكه أو ينام السدس .  
روى أن داود عليه  
السلام قال يارب إني  
أحب أن أتعبك فأني  
وقت أقوم فأوحى الله  
تعالى إليه : يا داود  
لا تقم أول الليل ولا  
آخره فانه من قام أوله  
نام آخره ومن قام آخره  
نام أوله ولكن قم  
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتنا ، فهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله وله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إظهار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه ثم افهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومانع من المقامات النجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع النجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخاص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا بتفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجي فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة قصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتسكفوا بخدشهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستتاع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لشكر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتقار وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فأخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالتحصن عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالفات إلى كونه عيبا عيب ويشنفون فيه بكلمات مسلسلة تضع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يفنيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكما تشمعو من مبادئ المعرفة راحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابها فتقيدت قلوبهم بالالفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبداهة روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلهما فوقف ينظر إليها ويتمتع حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا يغالب النفس من أول الليل ويتفعل فإذا غلبه النوم بنام فإذا انتبه يتوضأ فيكون له قسومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى ينقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكبدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلي من الليل فإذا غلبها النوم تعلق بجمل قنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليس أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والالذات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وغطوا فان الله تعالى سميع حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام الضئيلة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بآله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السواكية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده قال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانعطاط عن ذروة الكمال - قال لأحب الآفلين - . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتقر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك بشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بعشكاة هي كالسائر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائت ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فأن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترأى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورقى الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فأروا إشراق نور الله قد تلاأفيه فغطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيجد يده إليه يأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذا السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجعله الزخرف ويصدق أيضا بما يحكي له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره بما أمر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمعترون منهم فرق

فإذا غلبه النوم فليتم

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذا الدين

فانه متين لمن يشاه

يغلبه » ولا تبغضن إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلق بالطالب ولا

ينبغي له أن يطلع الفجر

وهو نائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيمض في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فإذا استيقظ

قبل الفجر يكثر

الاستغفار والتسبيح

ويغتنم تلك الساعة وكما

يصلي بالليل يجلس

قليل بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يعمدون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالأجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لخط الله في كسبها وتعرضوا لخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند المعز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أم المصالح وربما يكون الأثم التفرقة على الساكنين وهم لا يعلمون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لالبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الوضع الذي أتفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده قراء وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومغتنقة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ومحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتري به ويرى أنه من الحيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في بيوتهم ويشغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع والحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملاك عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى . وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبد بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرقت مساجدكم وحلتم مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه (٣) » وفرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحاً وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فإن انتبعت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عيني . وحكى لي بعض القراء عن شيخ له أنه كان يأمر أصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة . وقد جاء في الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين . وقيل في تفسير قوله تعالى - تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تمحروا ولا تصفروا (٢) حديث إذا زخرقت مساجدكم وحلتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم أجده .



إنه رأى النكر واتسكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون آلاء وال في الصدقات على الفقراء والساكنين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء للمعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إتفاق المال في الحج فيحجبون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيراتهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويسقط لهم في الرزق ويرجعون محزونين مسلوبين يهوى بأحدهم بعينه بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال أثنى درهم قال بشر فأبى شيء تبتغي بحجك تزهذا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتتفق أثنى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعته ومعيلى يبنى عياله ومربي يقيم يفرحه وإن قوى قلبك تطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة اللهمان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا قتل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسخ الدجارات والشبهات انقضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قنعه باخراج السال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في توبة حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكتنجين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكتنجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال للسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجبايع والاتفاق على المساكن فهذا أفضل له من تجويمه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لاريا ومنعه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمع نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستدخار في خدمة أو من لهم فيه على الجلة غرض أو يسلون ذلك إلى من يهينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومبطلات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فمذا ومثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فإن لم يبيح الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما يرد له غيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل السكاء وربما تدخله رقة كرفة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول بسلام سلم أو نموذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كلا فتورا في المزينة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويحد من دعة القرب ما يفتقر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وفوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه وبذلك به خالق من المدعين والذي له ذلك ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجامع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك صانع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظم لم يغير منك صفة تغييراً غيراً فمالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالاً قويا أو ضعفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت لما ذكرت من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الانسان إذا قترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صبح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الانسان إذا أراد أن يستنزل الطير الملق في جو السماء مع بعده منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش الملقطة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبس بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لأقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل آدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياء وذلك معين له على دنياء فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فنجزع عن تقويم قلبه ونخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا اللهم الواحد بل هو كما يقال \* لو صبح منك الهوى أرشدت للحيل \* فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان فلا يجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثر في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور . فأقول أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والمعرفة فله ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة الربزية والنور الأصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الأشياء فالفطرة والكيس فطرة الحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكرهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن ، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتا <sup>(١)</sup> » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وماقسم الله خلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويحبب الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله <sup>(٢)</sup> » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى نورمت قدماء وقد يقول بعض من يحتاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فنعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة ابتلاء وابتلاء حالي وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكيم للأقوياء لا يتبعكم فيهم الحال وبصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويحبب الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله تقول من عبادته وفضله وخاقه فقال كيف عقله؟ قال الأسحق يصيب بمحمته أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم» (١) وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال ارجموه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالتكاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن فانت ييلادة وحماقة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجنيباً من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محراب القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال المعرفة وراه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم ينظرب في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليقين له أن لانبئة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ناز من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها وبصيرأهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأوركلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجمالمسال فإن ذلك هو للفسد لانية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى اللقى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها وفراعيها وآفاتها فيتقيا ومن ربيع العادات أسرار المايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الماسكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن المانع من الله الصفات الذمومة في الخلق فيعلم الذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن الذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يخلص حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن اللريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصرفت الدنيا في عينه فتركها واقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن الحبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه .

فليعلم ذلك فإننا رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقشور . قيل للحسن يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعدت طهورى لما بالى لا أقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوبا تقيد في ليله وقال النووى رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنوب أذنبته قليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاء فقلت في نفسي هذا مراء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكى فقلت ما بالك أتاك نسي بعض أهلك؟ فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجز الشيطان عن إغوائه إديأته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فأيته من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعيا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطيب وأشرف فوا على العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان يمداء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله وبقلى نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بآثاره بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينهم وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فنذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدري على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فمحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد الخالص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من ديب الخمل لا يشربه المرید فزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنعمات والحركات والتصنع في الزى والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم يقدمونه وقدموه في المحافل وحكوه على الملوك وال سلاطين فنجد ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذات لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوق في أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فمرو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمدارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الحاق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان غيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المریدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوق في العرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوق في الغيبة المخطورة بعد تركه الحلال التسع ووقع في السكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبق الضحك أو قتر عن بعض الأوراد جزت النفس أن يطلع عليه فيسقط قوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يغيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتري رأيهم عن طريق الله فيترك كون الطريق بتركه وإتمام ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا ينجز نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يفتن ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتغطي رأس البر بحجر كبير فجزوا عن الرقي من البر بسببه فرق قلبه لآخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لاهماله

أشد قلقت وجع يؤلمك  
قال أشد قلقت وما ذاك  
قال بابي منافي وسترى  
مسبل ولم أقرأ حزبي  
البارحة وما ذاك إلا  
بذنوب أحدثه . وقال  
بعضهم : الاحتلام  
عقوبة وهذا صحيح  
لأن الراعي التحفظ  
بحسن تحفظه وعلمه  
بما له يقدر ويتمكن  
من سد باب الاحتلام  
ولا يتطرق الاحتلام  
إلا على جاهل بما له أو  
مهمل حكم وقته وأدب  
حاله ومن كل تحفظه  
ورعايته وقيامه بأدب  
حاله قد يكون من ذنبه  
للموجب للاحتلام ووضع  
الرأس على الوسادة إذا  
كان ذاعزعة في ترك  
الوسادة وقد يتهمل للنوم  
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البثر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أمانه أو كفاه ذلك لم يشغل عليه أرايت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يشغل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتموا بغيره فلم يشغل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبار القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فإن قلت فمن يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يبينه أو لو اهتموا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمدهم ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب الثروة في قلوبهم فإنه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يقرن لها ولا يصنع بل راعى المشايبة إنما غرضه رعاية المشايبة ودفع الذئب عنها دون نظر المشايبة إليه فلم ير سائر الناس كالمشايبة التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضئ لغيره ويحترق في نفسه . فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لحلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة <sup>(١)</sup> » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يزعج الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصيحة وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سيطر عليها على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذا ذلك لأزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد وأشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فاعلم يخشى أن يفسد طريق الاعتناظ فأما أن تغرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فإن قلت فإن علم المريد هذه المسكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيحة أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي يقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار . فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذلك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخریج أحادیث الإحياء لمحافظة العراق  
وبله الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة  
من لا يكون ذلك ذنبه  
وله فيه نية للعون على  
القيام وقد يكون ذلك  
ذنباً بالنسبة إلى بعض  
الناس فإذا كان هذا  
القدر يصلح أن يكون  
ذنباً جالباً للاحتلام  
فقس على هذا ذنوب  
الأحوال فإنها تختص  
بأربابها وبمصرفها  
أصحابها وقد يرتفق  
بأنواع الرفق من  
الفرش الوطىء  
والوسادة ولا يعاقب  
بالاحتلام وغيره على  
فعله إذا كان عالماً بذنوبه  
يعرف مداخل الأمور  
وغايرها وكم من  
ناثم يسبق القائم لو فرغ  
علمه وحسن نيته وفي  
الحبر « إذا نام العبد

عليك لما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على تهرى ومكنك من التظن لجميع  
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدقه ويعجب بنفسه في قراره من الغرور كله فيكون إجمابه بنفسه  
غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت  
أنك بعلمك تخلصت منى فيجهلك قد وقعت فى حبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك  
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف  
نفسه وهجزه عن أقل القليل فاذا ندر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله  
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفي العجب ، فأقول : يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه  
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والالتفاف فيكون  
حاله الانسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن آمن مكر الله فهو خاسر  
بعدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت  
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون  
خائفا أن يسلب حالة فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر  
لا يحصى عنه وخوف لإنجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء  
فى قت الزرع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى  
إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعالمون كلهم هلكى إلا المتخلصون والمتخلصون  
على خطر عظيم فاذن الغرور هالك والمتخلص الغار من الغرور على خطر فذلك لا يفارق الخوف  
والحذر لقلب أولياء الله أبدا .

فتسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربيع المهاركات ، ويتلوه فى أول ربيع النجيات كتاب التوبة  
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين  
وبه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه  
ثلاث عقد فان عقد  
وذكر الله تعالى أغلقت  
عقدة وإن توصلاً أغلقت  
عقدة أخرى وإن صلى  
ركعتين أغلقت العقد  
كلها فأصبح نشيطا  
طيب النفس وإلا  
أصبح كسلان خبيث  
النفس « وفى خبر آخر  
« إن من نام حتى يصبح  
بال الشيطان فى أذنه »  
والذى يغفل بقيام الليل  
كثرة الاهتمام بأمور  
الدنيا وكثرة أشغال  
الدنيا وإتباع الجوارح  
والامتلاء من الطعام  
وكثرة الحديث واللغو  
واللغو وإهمال القبولة  
والموفق من يهتم بوقت  
ويصرف دأه ودوائه  
ولا يهمل فيهمل .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والعقل
على الجملة	وما هو للراد بهذه الأسماء
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٢	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثله
عيوب نفسه	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٣	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم
٦٤	العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٥	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين
٦٦	طريق الصوفية في استكشاف الحق
٦٧	وطريق النظر
٦٨	١٩ يان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٦٩	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل
٧٠	التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم
٧١	ولامن الطريق المعتاد
٧٢	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس
٧٣	ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٤	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧٥	٣٩ يان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب
٧٦	وهما وخوارها وقصودها وما يفي عنه
٧٧	ولا يؤاخذ به
٧٨	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع
٧٩	بالكلية عند الذكر أم لا
٨٠	٤٤ يان سرعة تقلب القلب وأقسام القلوب
٨١	في التغير والثبات
٨٢	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب)
٨٣	الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٨٤	وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات
٨٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٨٦	
٨٧	
٨٨	
٨٩	
٩٠	
٩١	
٩٢	
٩٣	
٩٤	
٩٥	
٩٦	
٩٧	
٩٨	
٩٩	
١٠٠	
١٠١	
١٠٢	
١٠٣	
١٠٤	
١٠٥	
١٠٦	
١٠٧	
١٠٨	
١٠٩	
١١٠	
١١١	
١١٢	
١١٣	
١١٤	
١١٥	
١١٦	
١١٧	
١١٨	
١١٩	
١٢٠	
١٢١	
١٢٢	
١٢٣	
١٢٤	
١٢٥	
١٢٦	
١٢٧	
١٢٨	
١٢٩	
١٣٠	
١٣١	
١٣٢	
١٣٣	
١٣٤	
١٣٥	
١٣٦	
١٣٧	
١٣٨	
١٣٩	
١٤٠	
١٤١	
١٤٢	
١٤٣	
١٤٤	
١٤٥	
١٤٦	
١٤٧	
١٤٨	
١٤٩	
١٥٠	
١٥١	
١٥٢	
١٥٣	
١٥٤	
١٥٥	
١٥٦	
١٥٧	
١٥٨	
١٥٩	
١٦٠	
١٦١	
١٦٢	
١٦٣	
١٦٤	
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	

صفحة	مقدمة
١٠٤	(كتاب آفات اللسان)
١٠٥	وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات
١٠٥	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٨	الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا ينبغيك
١١١	الآفة الثانية فضول الكلام
١١٢	الآفة الثالثة الخوض في الباطل
١١٣	الآفة الرابعة الرأى والجدال
١١٥	الآفة الخامسة الخصومة
١١٦	الآفة السادسة التعرف في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١١٧	الآفة السابعة الفحش والسب وبداءة اللسان
١١٩	الآفة الثامنة اللعن
١٢٣	الآفة التاسعة الفناء والشعر
١٢٤	الآفة العاشرة الزناح
١٢٨	الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
١٢٩	الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
١٣٠	الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٠	الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٣٤	بيان ما رخص فيه من الكذب
١٣٦	بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٣٨	الآفة الخامسة عشرة النية
١٤٠	بيان معنى النية وحدودها
١٤٢	بيان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٤٣	بيان الأسباب الباعثة على النية
١٤٥	بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية
١٤٧	بيان تحريم النية بالقلب
١٤٨	بيان الأعداء للرخصة في النية
١٥٠	بيان كفارة النية
١٥١	الآفة السادسة عشرة النجاسة
١٥٢	بيان حد النجاسة وما يجب في ردها
١٥٤	الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين
١٥٦	الآفة الثامنة عشرة للدخ
١٥٧	بيان ما على المدوح
١٥٨	الآفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ في حقوى الكلام
١٥٩	الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
١٦١	وهو الكتاب الخامس من ربيع المهلكات
١٦١	بيان ذم الغضب
١٦٣	بيان حقيقة الغضب
١٦٥	بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا
٢٦٨	بيان الأسباب المهيبة للغضب
١٦٩	بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧١	بيان فضيلة كظم الغيظ
١٧٢	بيان فضيلة الحلم
١٧٥	بيان القدر الذي يجوز الاتصاار والتشفي به من الكلام
١٧٧	القول في معنى الحقد وتأنيبه وفضيلة العفو والرفق
١٧٧	فضيلة العفو والاحسان
١٨١	فضيلة الرفق
١٨٣	القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته
١٨٥	بيان ذم الحسد
١٨٥	بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٨	بيان أسباب الحسد والنافعة
١٩٠	بيان السبب في كثرة الحسدين الأمثال والأقربان والإخوة وبني الم والأقارب وتأكد وكفته في غيرهم وضعفه
١٩٢	بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب



صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربيع	
للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	وهو الكتاب السادس من ربيع
وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة	للهلكات
الحول الخ	١٩٧ يان ذم الدنيا
يان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٢٠٦ يان المواعظ في ذم الدنيا وصفاتها
٢٧٠ يان فضيلة الحول	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧١ يان ذم حب الجاه	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع	الى استغرقت هم الخلق حتى أنسهم
حق لا يخلو عنه قلب إلا بشد يد المجاهدة	أنفسهم وخالفهم ومصدرهم ومورد
٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
الذي لاحقيقة له	وهو الكتاب السابع من ربيع
٢٧٨ يان ما محمد من حب الجاه وما يذم	للهلكات
٢٧٩ يان السبب في حب المدح والثناء	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
وارتياع النفس به وميل الطبع إليه	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين الدم
وبعضها للدم وقررتها منه	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨١ يان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الدم	والأيسر لها في أيدي الناس
٢٨٣ يان علاج كراهة الدم	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم	الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
والنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
يان ذم الرياء إلى آخره	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٥٠ حكايات البخلاء
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يرادى به	٢٥١ يان الإيثار وفضله
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من	٢٥٥ يان علاج البخل
ديب النمل	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	في ماله
والجل ، ومالا يحبط	٢٥٨ يان ذم التقى ومدح الفقر
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	

صفحة	صفحة
٣٤٤	٣٠٨
بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر	بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
٣٤٨	٣١١
بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	بيان الرخصة في كثرة الذنوب وكرهه
٣٥٨	٣١٣
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	اطلاع الناس عليه وكرهه ذمهم له
٣٥٩	٣١٣
بيان آفة العجب	بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٦٠	٣٢٠
بيان حقيقة العجب والإدلال وحدها بيان علاج العجب على الجملة	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٦٣	٣٢٣
بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٧	٣٢٦
(كتاب ذم الغرور)	(كتاب ذم الكبر والمعجب)
٣٦٨	٣٢٧
بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات وفيه شطران
٣٧٦	٣٢٧
بيان أصناف الغرور وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣٨٩	٣٢٩
الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة الخ	بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب
٣٩٢	٣٣٠
الصنف الثالث المتصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	بيان فضيلة التواضع
٣٩٥	٣٣٤
الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	بيان حقيقة الكبر وآفته
	٣٣٦
	بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه
	٣٣٨
	بيان مابه التكبر
	٣٤٣
	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له

[فت]

## فهرس

## بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالمماشى

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنطار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من الصلحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد فيهم	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها